من مينا إلي هرقل

فراعنة وبطالمة وأباطرة

St-Takla.org

بقلم

محمد عزمي

من مينا إلي هرقل

فراعنة وبطالمة وأباطرة

بقلم

محمد عرموش

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الكتاب يتناول ملخص تاريخ مصر في الفترة الممتدة من عصر الفرعون الأول الملك مينا إلي عصر الإمبراطور الروماني هرقل ، وفي تلك الفترة حكم مصر فراعنة وبطالمة وأباطرة

ويُعتبر عصر الملك مينا هو بداية كتابة التاريخ المصري أما عصر الإمبراطور هرقل فهو عصر ظهور الإسلام وبداية الفتوحات الإسلامية ثم دخول مصر في تاريخ الإسلام ، فأصبح المؤرخون يكتبون تاريخ مصر الإسلامية ، ومن هنا يمكن اعتبار أن هذا الكتاب يلقي الضوء علي تاريخ مصر من البداية وحتي الفتح العربي الإسلامي لها ، أي تاريخ مصر قبل الإسلام

كما يوضح الكتاب علاقة المصريين بالدين والآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ، وإيمانهم بالبعث والحياة الآخرة ، وأهمية القبور بالنسبة لهم في العصر الفرعوني وكيف كان المصري القديم مشغول طوال حياته ببناء قبر متميز علي قدر إمكانياته كي يحيا حياة متميزة في الآخرة طبقًا لإعتقاده ، فهناك فرق بين قبر ملك وقبر كاهن وقبر ضابط بالجيش وقبر شخص عادي وهكذا ، وكذلك يلقي الكتاب الضوء علي الثورة التي حدثت في عصر الأسرة السادسة الفرعونية والتي تسمي ثورة الجياع ، وكيف تم اقتحام المقابر ونهب ما فيها من ثروات وكيف تطور بناء المقابر وعمل ألغاز هندسية لإخفاء حجرة الدفن عن أعبن اللصوص ثم انتهي بهم الأمر إلي إخفاء المقبرة بالكامل والإكتفاء بإظهار المعبد الجنائزي

ويتحدث الكتاب عن علاقة بني إسرائيل بالعصر الفرعوني وكيف دخلوا مصر مع سيدنا يوسف عليه السلام وخرجوا بعد فترة طويلة مع سيدنا موسي عليه السلام ، ويتناول الكتاب عصور الاضمحلال التي مر بها العصر الفرعوني حتي نهايته ، ثم دخول الفرس ومن بعدهم الإسكندر الأكبر المقدوني وكيف قامت بعد ذلك دولة البطالمة في مصر بعد وفاة الإسكندر حيث قام بتأسيسها بطليموس الأول أحد قادة الإسكندر الذي قام بإجراء بعض التعديلات علي الديانة الفرعونية ومحاولة التوفيق بينها وبين الديانة الإغريقية وكيف تم نشر الحضارة الإغريقية واتخاذ الإسكندرية عاصمة لمصر لتصبح مثل جزيرة إغريقية في المحيط المصري ، ولماذا تطورت اللغة المصرية القديمة ، ويوضح الكتاب أيضًا بعض المعلومات عن عصر البطالمة وكيف كان امتداد للعصر الفرعوني ، وأشهر البطالمة الذين حكموا مصر واهم الأحداث في ذلك العصر ، ثم اضمحلال عصر البطالمة ، ثم سقوط مصر بل والمنطقة كلها في إيدي الرومان سنة ٣٠ قبل الميلاد بعد ضعف البطالمة ، ثم يتحدث الكتاب عن أشهر الأباطرة الرومان والإجراءات التي اتخذوها تجاه

مصر والمصريين ، ثم ظهور الديانة المسيحية واعتناق المصريين لها وانتشارها في مصر مما أزعج الأباطرة الرومان فقاموا باضطهاد المسيحيين في مصر ، ويشير الكتاب إلي زيارة العائلة المقدسة لمصر ، ويستمر السرد للأحداث ويوضح كيف تحولت الإمبراطورية الرومانية كلها رسميًا للديانة المسيحية ولكن علي مذهب مختلف عن مذهب الكنيسة المصرية فاستمر الاضطهاد ولكنه تحول إلي اضطهاد مذهبي

ويوضح الكتاب كيف عاني المصريون تحت الاحتلال الروماني ثم عودة الفرس مرة أخري لاحتلال مصر ثم استعادة الرومان لها ثم ظهور الإسلام في جزيرة العرب إلي أن تم هزيمة الفرس والروم وضم مصر وباقي المنطقة تحت الحكم الإسلامي حوالي سنة ٦٤٠م ، ليبدأ بعد ذلك تاريخ مصر الإسلامية

وهذا الكتاب لم يتوسع في ذكر تفاصيل الأحداث ولكنه يوضح فكرة عامة مختصرة عن تاريخ مصر قبل الإسلام ، ولنبدأ معًا في استعراض تاريخ مصر من مينا إلي هرقل بإيجاز ولكن دعنا نتفق أن قراءة كتب التاريخ قد تكون مملة للبعض ولذلك سأحاول تخفيف الملل بقدر الإمكان عن طريق سرد الأحداث علي شكل حوار بين شخصين أحدهما يسأل والآخر يجيب مستخدمًا ما تيسر له من كتب ومراجع تاريخية وبذلك يمكن تشجيع القارئ علي الاستمرار في القراءة ، كما أرجو أن يلتمس لي القارئ العذر عن أي خطأ قد يجده في الكتاب ويفترض فيه حسن النية ، والله من وراء القصد وهو المستعان

محمد عرموش

المحتويات

Contents

المقدمة ٣

المحتويات ٥

الفصل الأول العصر الفرعوني ٨

أهم مصادر التاريخ الفرعوني ٨

ملخص العصر الفرعوني ١٠

بناء قبر جيد في الدنيا يضمن لك حياة جيدة في الآخري (اعتقاد فرعوني) ١٢

علاقة البيئة الفيضية بنظام الحكم في مصر القديمة ١٣

أول حكومة في التاريخ كانت في مصر ١٤

الاحتفال بالعيد الثلاثيني عند الفراعنة ١٧

الفراعنة والحياة الآخرة (الآثار مقابر ومعابد فأين قصورهم)؟ ١٨

آلهة الفراعنة ١٩

أسئلة محاكمة الميت من وجهة نظر الفراعنة ٢٠

الأنبياء في مصر ٢٢

كيف كان يعيش المصري القديم في العصر الحجري ٢٣

الملك العقرب ٢٣

الملك مينا ٢٤

الملك زوسر ٢٦

الملك سنفرو ٢٨

الملك خوفو والهرم الأكبر ٣٠

الأسرة الخامسة ومتون الأهرام ٣٢

ثورة الجياع في العصر الفرعوني ٣٣

قصة القروي الفصيح ٣٦

نصائح الملك خيتي الرابع لابنه ٣٨

منتوحتب الثاني وبداية الدولة الوسطي ٣٩

رسائل الكاهن الماكر ٤٠

الملك امنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة الفرعونية ٤١

عندما انبهر المؤرخ اليوناني هيرودوت بمشروعات الملك امنمحات الثالث ٤٣

في عهد الملك سنوسرت الثالث أبحرت السفن المصرية في الجرانيت ٤٤

نهاية غامضة للأسرة ١٢ وعصر الاضمحلال الثاني ٤٦

من هم الهكسوس ؟ ٤٩
بني اسرائيل وعلاقتهم بالفراعنة ٥٠
الملك أحمس الأول وطرد الهكسوس وبداية الدولة الحديثة الفرعونية ٥٧
ماذا بعد أحمس ؟ ٥٩
الملكة حتشبسوت(ماعت كا رع) ٦٠
أول إمبراطورية في التاريخ كانت في مصر ٦١
تحتمس الثالث والإمبراطورية ٦٢
امنحتب الثاني يؤكد سيطرته ٦٦
الملك امنحتب الثالث وزوجته الملكة (تي) ٦٨
امنحتب الرابع (اخناتون) ٦٩
توت عنخ آمون يصل للحكم ٧١
قوانين حور محب آخر ملوك الأسرة ١٨ ..... ٧٢
الأسرة ١٩ الفرعونية ٧٣
رمسيس الثالث أبرز ملوك الأسرة رقم ٢٠ ..... ٧٦
عصر الاضمحلال الأخير ونهاية الفراعنة ٧٩
مملكة بني إسرائيل ٨٠
الحكم النوبي لمصر ٨١
بسماتيك الأول يحرر البلاد ٨٢
وأصبحت مصر ولاية فارسية سنة ٥٢٥ ق م ٨٤
نهاية العصر الفرعوني ٨٧
الفصل الثاني الإسكندر والبطالمة ٩٠
الإسكندر والبطالمة يسيطرون علي مصر ٩٠
الملك بطليموس الأول (سوتير) Ptolemy I Soter ٩٢
عصر البطالمة بعد بطليموس الأول ٩٥
عندما كانت تتوقف الحروب بسبب الألعاب الأوليمبية في العصر الهيلنستي ٩٦
الاسكندرية في عصر البطالمة مدينة إغريقية ٩٨
معركة رفح تلهب الحماس وتبعث الروح مرة أخري في الشعب المصري ٩٩
بطليموس الثاني عشر (الزمار) يتذلل لروما ١٠٢
الملكة كليوباترا السابعة وقصة نهاية دولة البطالمة في مصر ١٠٣
الفصل الثالث مصر ولاية رومانية ١٠٥
وأصبحت مصر ولاية رومانية ١٠٥
الإمبراطور كاليجولا ومؤامرة اليهود علي الوالي الروماني بالإسكندرية ١٠٨
الإمبراطور تراجانوس وإعادة القمح إلي المصريين ١٠٩
الإمبراطور ماركوس أوريليوس واندلاع ثورة عارمة في مصر ١١٠
الملكة زنوبيا تسيطر علي مصر وتتحدي الإمبراطورية الرومانية ١١٠

الديانة المسيحية في مصر ١١٢
الإمبراطور دقلديانوس وعندما كانت مصر أتعس ولاية في الإمبراطورية الرومانية ١١٣
العصر البيزنطي ١١٥
العصر القبطي ١١٧
الإمبراطور البيزنطي هرقل ١١٩
الكتب والمراجع ١٢٤

الفصل الأول

العصر الفرعوني

أهم مصادر التاريخ الفرعوني

- **ما هي أهم مصادر التاريخ الفرعوني ؟**
- **سنبدأ بحجر بالرمو وقد تم تسمية حجر بالرمو بهذا الاسم نسبة لمدينة بالرمو الإيطالية الموجود بها أكبر قطعة من هذا الحجر بعد تحطمه ويوجد في المتحف المصري بالقاهرة أربع قطع صغيرة اشترت مصلحة الآثار ثلاثة منها في عام ١٩١٠ وعثر أحد خفراء المصلحة فيما بعد علي القطعة الرابعة ملقاة بين الخرائب في منف أما القطعة السادسة فهي الآن في لندن في متحف الجامعة**
- **لماذا تتواجد آثار بهذه الأهمية خارج مصر ؟**
- **أعتقد أن هناك من أخذها من مصر أثناء فترات الاحتلال وما أكثرها في تاريخ مصر وكذلك هناك من حكام مصر من أهدي بعضها لبعض حكام العالم فضلًا عما تم تهريبه من محترفي سرقة الآثار ولكن ليس هذا موضوعنا لأنه يطول شرحه**
- **حسنًا فما المعلومات المتوفرة لديك عن حجر بالرمو ؟**
- **لقد ورد في صفحة ٦٣، ٦٤ بكتاب مصر الفرعونية "لأحمد فخري" عن هذا الحجر ما يلي : (في أواخر أيام الأسرة الخامسة المصرية أو ربما في أوائل الأسرة السادسة كان يقوم في معبد من معابد العاصمة في منف حجر لا يقل طوله عن مترين ويزيد ارتفاعه عن سبعين سنتيمترًا نقش وجهاه بنقوش في سطور رأسية كتبت فيها أسماء جميع من حكموا مصر منذ أيام ما قبل الأسرة الأولي مع مدة حكم كل منهم ، مقسمًا إلي سنوات وأهم ما حدث في كل سنة ولأمر ما حُطِّم هذا الحجر إلي قطع صغيرة عُثِر حتى الآن علي ستة منها أكبرها وأهمها موجودة في صقلية منذ ١٨٥٩ ونقلت إلي متحف مدينة بالرمو في عام ١٨٧٧ وما زالت هناك حتي الآن**
- **فماذا عن بردية تورين ؟**
- **أما بردية تورين فقد ورد عنها في صفحة ٦٥ بنفس المرجع السابق ما يلي : (حصل علي هذه البردية الرحالة الإيطالي دروفني في أوائل القرن التاسع عشر وقيل إنه عثر عليها في منف وكانت البردية في حالة جيدة عندما تسلمها دروفني ولكنها تهشمت بعد ذلك ونقلت إلي إيطاليا عقب الحصول عليها ووضعت في متحف تورين منذ ذلك الوقت وكانت تحتوي هذه البردية علي أكثر من ثلاثمائة اسم من أسماء الملوك وتحت اسم كل منهم عدد سنوات حكمه وهي تبدأ بالآلهة الذين حكموا مصر – – وتنتهي بأسماء الملوك قبيل الأسرة الثامنة عشرة)**

- يعجبني أن معك مصادرك تسعفك بقراءة ما تحتاجه ولكن بالتأكيد سرعة وصولك للكتب والصفحات المطلوبة تعني أنك متعايش معها بشكل شبه مستمر
- أنا يا صديقي دائمًا ما أهرب إلي التاريخ وأعيش في الماضي فهو يريحني نفسيًا عندما أعرف أن كل هذا إلي فناء
- وبالطبع مانيتون قد مات أليس كذلك ؟ أردت فقط أن نخفف قليلاُ من جدية الحديث
- نعم يا صديقي لقد مات مانيتون بكل تأكيد وقد كتب عنه أحمد فخري ما يلي : (كان مانيتون كاهنًا مصريًا في معبد في سمنود واشتهر بعلمه ومعرفته لتاريخ مصر ولغتها وأراد بطليموس الثاني " حوالي ٢٨٠ ق م " أن يستفيد من علمه وذلك بتكليفه بكتابة تاريخ لمصر استقي مصادره مما كان في المعابد ومكاتب الحكومة من وثائق ومما يبعث علي الحزن أن تاريخ مانيتون الأصلي فُقِد في حريق مكتبة الإسكندرية ولم يعثر حتي الآن علي أي نسخة كاملة أو ناقصة منه وكل ما وصل إلي أيدينا ليس إلا مقتطفات من ذلك التاريخ نقلها المؤرخ اليهودي يوسيفوس – – ووصل إلينا أيضًا من تاريخ مانيتون جداول بأسماء الأسرات والملوك وعدد سني حكمهم في مؤلفات بعض الكتاب وخاصة جوليوس الإفريقي "٢١٧ ميلادية " ولكن أفضل النصوص وأدقها هو ما جاء في الكتاب الذي قام بجمعه جيورجيوس سينكلوس)
- حسنًا فهل هناك مصادر أخري بخلاف حجر بالرمو وبردية تورين وتاريخ مانيتون ؟
- ومن مصادر التاريخ الفرعوني أيضًا ثبت الكرنك وثبت أبيدوس وثبت سقارة وما يسمي بنصوص الأنساب وكلها تحتوي علي أسماء ملوك وأحداث شهدتها فترات حكمهم ولكن كل مصدر منهم إما أنه تهشم وفقدت منه معلومات مهمة أو أن كاتبه كان له مقاصد خاصة في كتابته وبالتالي حذف أسماء بعض الملوك أو فترات كاملة من تاريخ مصر كانت لا تعجبه فمثلًا ثبت أبيدوس (أهمل ملوك إهناسيا الأسرتين التاسعة والعاشرة ولم يذكر إلا ملكين فقط من ملوك الأسرة الحادية عشرة – – ولم يذكر ثبت أبيدوس أي ملك من ملوك عصر الفترة الثانية –الاضمحلال الثاني– بما في ذلك ملوك الهكسوس الذين كانوا في نظر ملوك مصر أجانب مغتصبين لحرية البلاد ، ويبدأ بعد ذلك بملوك الأسرة الثامنة عشرة فيسميهم جميعًا إلي أن يصل إلي الملك امنحوتب الثالث فيتبعه بحور محب آخر ملوك الأسرة وأسقط "إخناتون" و "سمنخ كا رع" و "توت عنخ آمون" و "آي" لأنهم كانوا في رأيه ملوكًا مارقين وخارجين علي ديانة آمون وكذلك فعل بالملكة حتشبسوت لأن خروجها علي التقاليد واغتصابها العرش لنفسها جعلها ملكة غير شرعية في نظر الأجيال التالية) ، ويضيف الدكتور أحمد فخري ما يلي : (ومهما قيل عن نتائج الحفائر وما ظهر منها حتي الآن فلا يزال أمامنا الكثير من المناطق الأثرية في مصر الوسطي مازالت تحتفظ بأكثر ما أبقي عليه الزمن من مخلفاتها ، حتي طيبة نفسها عاصمة الإمبراطورية فإنه لم يتم حفرها أو بحثها البحث العلمي الكافي ، ولهذا يمكننا القول بأنه ما زال أمام

علم الآثار المصرية وقت طويل ربما يمتد إلي أكثر من بضع قرون قبل أن يستطيع علماء الآثار أن يقولوا بأنه لم يعد هناك مزيد من البحث ، وقبل أن يقول المؤرخون أنهم قد قالوا كلمتهم النهائية في تاريخ مصر ، وأنه لم تعد هناك فجوات في ذلك التاريخ)

- سبحان الله القائل : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الآية ٨٢ سورة غافر

ملخص العصر الفرعوني

- سنبدأ بملخص تاريخ الفراعنة علي أي حال وهو تاريخ يمكن تبسيطه كالآتي : ينقسم العصر الفرعوني إلي ثلاثة عصور رئيسية : عصر الدولة القديمة – عصر الدولة الوسطي – عصر الدولة الحديثة ، وتسبق هذه العصور الثلاثة عصر يسمي بالعصر العتيق ويلي كل عصر من هذه العصور فترة اضمحلال ، الاضمحلال الأول بين الدولة القديمة والدولة الوسطي ، والاضمحلال الثاني بين الدولة الوسطي والدولة الحديثة ، والاضمحلال الأخير في نهاية الدولة الحديثة ونهاية العصر الفرعوني بالكامل
- أعتذر عن المقاطعة ولكني تذكرت الآن أن هذا التقسيم كان موجود بالفعل في تسلسل عرض الآثار في المتحف المصري بميدان التحرير (الدولة القديمة والدولة الوسطي والدولة الحديثة)
- بالفعل ، وقد قام المؤرخ المصري القديم (مانيتون) بحصر عدد الأسر في العصر الفرعوني ، فذكر أنه مكون من ثلاثين أسرة فرعونية ، موزعة علي العصور الفرعونية المختلفة ، والأسرة الفرعونية تعني عائلة حكمت مصر فترة معينة وتبدأ بمؤسس لهذه الأسرة ثم يتبعه ويليه أبناءه ثم أحفاده حتي يظهر مؤسس آخر لأسرة جديدة وهكذا
- وهل يختلف عدد الملوك في كل أسرة عن الأخري ؟
- بالطبع يختلف عدد ملوك كل أسرة عن الأخري في أغلب الأحيان فمثلًا عدد ملوك الأسرة الثامنة عشرة عبارة عن ١٤ ملك وعدد ملوك الأسرة الرابعة عبارة عن سبعة ملوك بينما تكونت الأسرة الثامنة والعشرون من ملك واحد فقط
- وكيف كانت تنتهي كل أسرة لتبدأ أسرة جديدة ؟
- عادةً ما ينتهي حكم أي أسرة لعدة أسباب أهمها هو انتهاء نسل الذكور في هذه الأسرة فيأتي مؤسس جديد لأسرة جديدة ، ويشترط أن يتزوج من إحدي أميرات الأسرة الملكية السابقة حتي تجري الدماء الملكية في عروق أبناءه فيكتسب شرعية الحكم لأسرته
- فهل يمكن أن تذكر لي توزيع عدد الأسر علي كل دولة من الدول الثلاثة وعصور الإضمحلال مع ذكر أشهر ملوك كل عصر مشكورًا ؟

- **العصر العتيق (عصر تأسيس الدولة) : يتكون من أسرتين فقط (الأولي والثانية) من حوالي سنة ٣١٠٠ قبل الميلاد إلي حوالي سنة ٢٦٩٠ ق م ، وأشهر ملوك هذا العصر هو الملك مينا موحد القطرين والفرعون الأول في الأسرة الأولي**
- **طبعًا لقد اتفقنا أنه لا يوجد تاريخ دقيق في هذه العصور السحيقة**
- **بالتأكيد فتاريخ بداية العصر الفرعوني نفسه مختلف في عدة مراجع**
- **سأتركك تكمل هذا التلخيص الرائع ولكن اسمح لي أن نتكلم عن الملك مينا لأهميته في تاريخ مصر**
- **إذا تكلمنا عن الملك مينا لأهميته كما تريد فسوف تطلب نفس الطلب عن ملوك آخرين في العصر الفرعوني وسيطول الحديث**
- **لا توجد مشكلة إذا تكلمنا عن بعض ملوك الفراعنة المشهورين في بضع دقائق ، وأعتذر مرة أخري ، ولنكمل فقد وصلنا للدولة القديمة**
- **الدولة القديمة (عصر بناة الأهرام) : من الأسرة الثالثة إلي الأسرة السادسة من حوالي سنة ٢٦٩٠ ق م إلي حوالي سنة ٢١٨٠ ق م وأشهر ملوك هذا العصر الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة وصاحب الهرم المدرج بسقارة والملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة وكذلك خوفو وخفرع ومنقرع أشهر ملوك الأسرة الرابعة وأصحاب الأهرامات الثلاثة بالجيزة وبدون أن تقاطعني فسوف أذكر لك معلومات مختصرة عن بعض ملوك الدولة القديمة وعن أهراماتهم ، ودعني أكمل الحديث عن الاضمحلال الأول (عمت الفوضي البلاد) : من الأسرة السابعة إلي الأسرة العاشرة من حوالي سنة ٢١٨٠ ق م إلي حوالي سنة ٢٠٦٠ ق م ، ثم الدولة الوسطي (عصر الاهتمام بالسياسة الخارجية) : يتكون من الأسرة الحادية عشرة والأسرة الثانية عشرة فقط من سنة ٢٠٦٠ ق م إلي سنة ١٧١٠ ق م وأشهر ملوك هذا العصر ملوك الأسرة ١١ (منتوحتب) الأول والثاني وهكذا وملوك الأسرة ١٢ (امنمحات وسنوسرت) الأول والثاني وهكذا ، ثم الاضمحلال الثاني (تخلله احتلال الهكسوس لمصر) : من الأسرة ١٥ إلي الأسرة ١٧ من سنة ١٧١٠ ق م إلي سنة ١٥٦٠ ق م وأشهر ملوك هذا العصر الملك سقنن رع والملك كامس الذين كافحوا الهكسوس ولم يتمكنوا من طردهم ، ثم الدولة الحديثة (عصر الإمبراطورية المصرية) : من الأسرة ١٨ إلي الأسرة ٢٠ من سنة ١٥٨٠ ق م إلي سنة ١٠٨٥ ق م وأشهر ملوك هذا العصر الملك أحمس الأول وهو أول ملوك الأسرة ١٨ وطارد الهكسوس ، ومن أشهر ملوك هذا العصر ملوك الأسرة ١٨ بشكل عام مثل الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث مؤسس الإمبراطورية المصرية والملك امنحوتب الرابع (اخناتون) والملك توت عنخ آمون والملك حور محب وأشهر ملوك الأسرة ١٩ الملك سيتي الأول والملك رمسيس الثاني والملك مرنبتاح وأشهر ملوك الأسرة ٢٠ الملك رمسيس الثالث ثم الاضمحلال الأخير (نهاية الفراعنة وتخلله حكم مصر ملوك ليبيين ونوبيين وآشوريين وفرس علي فترات مختلفة): من الأسرة ٢١ إلي الأسرة ٣٠ من سنة ١٠٨٥ ق م**

إلي سنة ٣٤١ ق م وأشهر ملوك هذا العصر الملك شاشنق الأول وهو مصري من أصل ليبي وهو مؤسس الأسرة ٢٢ ومن أشهر ملوك هذا العصر أيضًا الملك بعنخي وهو مصري نوبي مؤسس الأسرة ٢٥ ، والملك بسماتيك الأول مؤسس الأسرة ٢٦ ، أما الملك (نقطانب الثاني) ويطلق عليه ايضا اسم (نخت نبف) الثاني أو (نختنبو) الثاني فهو آخر ملك في الأسرة الثلاثين الفرعونية أي أنه آخر فرعون مصري تقريبًا

- بالتأكيد قد لاحظت ما أنا فيه من حيرة بسبب محاولاتي لعدم مقاطعتك بسبب كل هذه الأسماء اللامعة التي ذكرتها ، فهل أثقل عليك إن طلبت معلومات عن بعضها ؟
- لقد لاحظت بالطبع اهتمامك ببعض أسماء الملوك وأنت محق بالطبع فكما قلت لك قلما تجد دولة مثل مصر لها تاريخ متصل بهذا الطول والامتداد فليس من الممكن أن نذكر مثل هذه الأسماء ولا نتحدث عنها وبالمناسبة وحتي لا تنسي ، لقد ماتوا جميعًا هم ورجال دولتهم وشعوبهم وأعداءهم وحلفاءهم ولم يبق منهم أحد فسبحان الحي الذي لا يموت
- أشكرك لأنك التمست لي العذر علي اهتمامي بمعرفة معلومات عن بعض ملوك الفراعنة ، وعلي تذكيري بالموت أيضًا وأرجو أن تحدثني عن بعض ملوك الفراعنة ولنبدأ بالملك مينا إذا سمحت
- سأحدثك عما تريد ولكن دعني أولًا أوضح بعض المعلومات المهمة عن ذلك العصر بشكل عام
- مثل ماذا ؟

<u>بناء قبر جيد في الدنيا يضمن لك حياة جيدة في الآخري (اعتقاد فرعوني)</u>

- فمثلًا بناء قبر جيد في الدنيا يضمن لك حياة جيدة في الآخرة وهو اعتقاد فرعوني معروف وستلاحظ أن المصري القديم كان يعتقد أن ما يوجد في مقبرته من صور حياته اليومية والطعام والشراب والأثاث كل هذا هو الذي سيضمن له السعادة في الآخرة
- من الطريف أن هذا ينطبق ظاهريًا فقط مع قول الشاعر " لا دار للمرء بعد الموت يسكنها – – – إلا التي كان قبل الموت يبنيها ، فإن بناها بخير طاب مسكنه – – – وإن بناها بشر خاب بانيها " وهذا الشعر بالطبع يعبر عن وسيلة البناء التي تعبر عن الأعمال الصالحة في الدنيا ورضا المولي عز وجل وليس ما كان يفعله المصري القديم من صور وتماثيل وتحنيط لأن كل هذا لا ينفع بشئ في الآخرة إنما الذي يبقي هو العمل الصالح ودعاء الأبناء والصدقات الجارية والله أعلم
- بكل تأكيد أما المصري القديم فقد كانت رغبته أن يتم بناء المقبرة في حياته ، فهداه تفكيره إلي عمل المدخل الموصل إلي حجرة الدفن علي شكل أحدور خارج البناء العلوي لكي يسحب عليه الجثمان ليستقر في حجرة الدفن ، ثم يسد مدخل الحجرة بكتلة من الحجر ويملأ المنحدر بالرمال ، وبهذه الطريقة استطاع المصري أن ينتهي من البناء العلوي دون حاجة لانتظار الانتهاء من مراسيم الدفن

أما عن العناصر الضرورية في الدولة القديمة لإعداد مصطبة يعتبرها المصري كاملة لضمان مستقبله في العالم الآخر فهي في رأي "عالم الآثار" ديفز كما يأتي : (١)اللوحة المشكلة علي هيئة باب " أي الباب الوهمي " وهذه غالبًا ما تحمل رسم المتوفى داخلًا وخارجًا أو تمثاله ، وعادة تكون حافلة بالدعوات (٢) تمثال وأسماء وألقاب المتوفى (٣)قائمة بأصناف الطعام والشراب تشمل نحو مائة صنف إذا كانت كاملة (٤) صورة المتوفى جالسًا أمام مائدة غنية بالطعام (٥) مواكب الخدم تحمل الزاد ، ومناظر ذبح الحيوانات للطعام (٦) النصوص التي تتحول بواسطتها المأكولات المصورة إلي حقيقة (٧) صورة زوجة المتوفى وأسرته والحيوانات الأليفة ، والخدم المقربين لضمان مصاحبتهم له في حياته الجديدة) وهذه المعلومات من كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول– د سيد توفيق مقتطفات من صفحة ١٠٣ وما بعدها

- **كل هذا مفهوم ولكن حتي الخدم يريد أن يقوموا علي خدمته مرة أخري في الحياة الآخرة ؟**
- **بكل تأكيد ، أما الذي قد يدهشك حقًا أنهم كانوا يتمنون ذلك ، لأنهم لا يملكون إمكانيات بناء مقابر خاصة بهم أو تحنيط جثثهم بعد موتهم أو إقامة تماثيل لهم وبالتالي لن يعودوا إلي الحياة مرة أخري ، فخير لهم في اعتقادهم أن يرسمهم سيدهم حتي يعودوا لخدمته أفضل من عدم العودة علي الإطلاق**
- **شئ عجيب فعلًا ، وماذا يميز ذلك العصر أيضًا ؟**

<u>علاقة البيئة الفيضية بنظام الحكم في مصر القديمة</u>

- **نظام الحكم في مصر كان مرتبط ببيئة المجتمع النهري أي البيئة الفيضية**
- **ماذا يعني ذلك ؟**
- **فلتستمع إلي ما قاله الدكتور جمال حمدان عن هذا الموضوع : حيث كتب ما ملخصه : الحقيقة الكبري في كيان مصر هي أنها بيئة فيضية ، لا تعتمد علي المطر في حياتها ، وإنما علي ماء النهر ، وقوامها هو زراعة الري – – ومن هنا بالدقة يبدأ كل الفرق في حياة المجتمع النهري وطبيعته ، ففي البلاد التي تعيش علي الأمطار مباشرةً يختزل المجهود البشري إلي حده الأدني ، فبعد قليل من إعداد الأرض والبذر ، يتوقف العمل أو يكاد حتي الحصاد ، وبين هذا وذاك فليس هناك من يحفر الترع والمصارف أو يقيم الجسور والسدود وأهم من هذا كله أن ليس هناك من يمكنه أن يحبس عنك المطر أو أن يتحكم في توزيعه ، من هنا فقد تكون الطبيعة سيدة الفلاح ولكن الفلاح بعد ذلك سيد نفسه ،**
- **كلام منطقي جدًا**
- **أما في بيئة الري فالأمر مختلف كل الاختلاف – – لابد من مجهود بشري ضخم أي لابد من شبكة غطائية كثيفة من الترع من كل مقياس ابتداء من قنوات الحمل وقنوات التغذية إلي مساقي الحقول**

حتي تزرع ، ثم ما جدوي تلك الشبكة إذا لم تسيطر علي أعناقها ورءوسها بالنواظم والقناطر والسدود ؟ أعني أي جدوي فيها بغير ضبط النهر ؟ ، وأكثر من هذا ما جدوي الجميع بغير ضبط الناس ؟

- **ما المقصود بضبط الناس ؟**
- **إن زراعة الري إذا تُرِكت بلا ضابط يمكن أن تضيع مصالح الناس المائية في مواجهة بعضها البعض مواجهة متعارضة دموية ، ذلك أن كل من يقيم علي أعلي الماء يستطيع أن يسئ استعماله إما بالإسراف أو بحبسه تمامًا عمن يقع أسفله أي أن كل حوض علوي يستطيع أن يتحكم في حياة أو موت كل حوض سفلي وكل من يقع علي أفواه الترع يستطيع أن يهدد حقوق المياه لمن يقع علي نهايات الترع ، كذلك يمكن للمحاباة والتحيز أن تسخو بالماء لمن تريد وتقبضه عمَّن تريد ، المحصلة إذن واضحة : بغير ضبط النهر يتحول النيل النبيل إلي شلال حطم جارف ، وبغير ضبط الناس يتحول توزيع الماء إلي عملية دموية ويسيطر علي الحقول قانون الغاب والأدغال ، في ظل هذا الإطار الطبيعي يصبح التنظيم الاجتماعي شرطًا أساسيًا للحياة ويتحتم علي الجميع أن يتنازل طواعية عن كثير من حريته ليخضع لسُلطة عامة أعلي توزع العدل والماء بين الجميع ،**
- **سُلطة الحكومة ؟**
- **سُلطة عامة أقوي بكثير مما يمكن أن تتطلبه بيئة لا تعتمد علي نهر فيضي في حياتها ، وبذلك لا تكون الطبيعة وحدها سيدة الفلاح ، وإنما بين الاثنين يضيف الري سيدًا آخر هو الحاكم ،**
- **أضاف الري سيد آخر هو الحاكم ، تحليل رائع وبعد**
- **فإذا ما التفتنا إلي مصر القديمة بصورتها الفرعونية فستجابهنا هذه الملامح ، ملامح المجتمع الهيدرولوجي إلي حد نادر المثال ، فقد عُد فرعون ضلعًا أساسيًا في مثلث الإنتاج إلي جانب الضلعين الطبيعيين الماء والشمس**
- **لذلك عبدوا الحاكم والشمس والنهر ، فماذا عن المجتمع**
- **هذا عن الحكومة أما عن المجتمع فهو أساسًا مجتمع تعاوني منظم – – وهنا نجد في القرية المصرية في صميم تركيبها وسيكولوجيتها وزراعتها قدرًا كبيرًا متوطنًا ومتأصلًا من التعاونية والمشاركة التلقائية ، فهي خلية بشرية متلاصقة متلاحمة**
- **لقد اتضح لي أهمية دور الحاكم في مصر القديمة ،**

<u>أول حكومة في التاريخ كانت في مصر</u>

- **فليس من المستغرب أن أول حكومة في التاريخ كانت في مصر كما يوضح د جمال حمدان في موضع آخر من كتابه القاهرة حيث كتب ما يلي : (--- فالبيئة كما رأينا فيضية ، والمجتمع مجتمع هيدرولوجي ، ولهذا أصبح الري مرادفًا للتنظيم ، والتنظيم المركزي ، الذي يخضع فيه الجميع طواعية**

لسلطة عامة مطلقة . وإن كان هذا من أقوي عوامل ظهور الوحدة السياسية المبكرة في مصر ، كما أنه علم الشعب "أن" النظام أساس الحضارة ، إلا أن هذا أيضًا بدأ دور الحكومة الطاغي وأرسي نواة الموظفين الثقيلة ، وأصبحت البيروقراطية المركزية عنصرًا أصيلًا في مركب الحضارة المصرية ، بل ثقلا عنيدا في موكبها .

- البيروقراطية عريقة في مصر بكل تأكيد
- أصبحت مصر مجتمعًا حكوميًا كما نقول ، فالحكومة وحدها هي التي تملك زمام المبادرة وإمكانيات العمل ، العمل الكبير علي أية حال ، وقد كان لهذا قيمته في بعض المراحل – – ، ولو أنه ربما خلق في جميعها شيئًا من روح التواكل والتكاسل والسلبية وخنق ملكات المبادأة وحوافز التلقائية في السكان ، وهنا ، مرة أخري ، نجد أن الحكومة المركزية الأولي في التاريخ ليست ميزة صافية بلا شوائب ولا كانت مكسبًا بلا ثمن ، والذي يتعمق تاريخ مصر الاجتماعي ستروعه ولا شك تلك البيروقراطية العاتية التي تمتد علي طوله بغير انقطاع ، حتي لتشكل نغمة دالة عليه وملمحًا أساسيًا آخر من ملامحه ، فالبيروقراطية في مصر قديمة قدم الحضارة الفرعونية ، مع الأهرام تبدأ ، وفيها تتلخص ،--- ويكفي بعدها أن نري صور كبار الموظفين علي النقوش والآثار القديمة وأن نعرف أخبارهم المتواترة في البرديات والسجلات العديدة حتي ندرك خطورة الدور الذي لعبته الهيئة البيروقراطية في القديم ، بل إن شئت رمزًا بليغًا ، ففي النحت تجده ابتداء من تمثال الكاتب حتي تمثال شيخ البلد فهذه جميعًا نصب تذكارية وتاريخ محفوظ أو محفور للبيروقراطية الفرعونية الثقيلة
- من هنا يمكن القول أن الشعب المصري يحتاج أو احتاج حاكمًا قويًا علي طول تاريخه ، وحاجة الشعب إلي هذا الحاكم القوي تفوق كثيرًا حاجة هذا الحاكم للشعب أليس كذلك ؟
- نعم فهناك تناسب طردي بين قوة الحاكم وإحساس الشعب بالأمن ، فكلما كان الحاكم قويًا كلما شعر الشعب بالأمن ، فهو دائمًا يحتاج إلي المبادرة من أعلي ، ودائمًا ينتظر ما سيحدث لا ما سيصنعه هو ، فهو غالبًا لا يصنع شيئًا من تلقاء نفسه بل عليه أن يتلقي التوجيهات من أعلي ، من حاكم ترنو إليه الأبصار وتتعلق به الآمال ، وإذا تأملنا الآثار الفرعونية في طول البلاد وعرضها سنجد أن أروعها وأكثرها تم بناءه في فترات السيطرة الكاملة للحكومة المركزية في الثلاث دول القديمة والوسطي والحديثة ولن نجد آثارًا بهذه الروعة في فترات الاضمحلال خلال العصر الفرعوني ، فلم تحدث إنجازات معمارية يمكن مقارنتها بما حدث في هذه الدول الثلاث
- وهل استمرت هذه الظاهرة بعد الفراعنة ؟
- إذا تركنا العصر الفرعوني واستعرضنا عصر البطالمة ثم العصر الروماني في مصر سنجد الإنجازات تتحقق في فترات حكم الأقوياء فقط ، وحتي بعد فتح مصر وانضمامها إلي العالم الإسلامي سنجد أن رغبة الحاكم في حدوث أي أعمال ضخمة تكون هي المحركة للأحداث ، لأن المبادرة تأتي من أعلي

غالبًا ، فتأمل وراجع معظم الإنشاءات والمشروعات الكبري في تاريخ مصر منذ عصر الفراعنة كالأهرامات والمعابد قديمًا والأعمال المعمارية الضخمة في العصر المملوكي وعصر أسرة محمد علي وحفر قناة السويس وبناء السد العالي وكذلك الانتصارات الكبري في تاريخ مصر ، وحتي الهزائم والانكسارات والإخفاقات ستجد أن المحرك للأحداث غالبًا لا يكون الشعب ، بالرغم من أن الشعب هو الذي يصنع كل هذا ولكن ليس من تلقاء نفسه في معظم الأحوال

- إلي هذا الحد ينعدم دور الشعب كمحرك للأحداث ؟ حتي بعد انتهاء أسباب حاجة الشعب للحاكم كأحد أضلاع مثلث الحياة إذا جاز التعبير ؟
- للأسف استمرت هذه الظاهرة حتي بعد انعدام وجود المبرر لحدوثها ، وقد تكلم عن هذه الاستمرارية الدكتور جمال حمدان فقال : – فعلي طرفي النقيض الأقصي والمطلق من مصر الاقتصادية ، وعلي خلاف مصر الاجتماعية ، إلي حد بعيد ، لم تكد مصر السياسية تتغير أو تعرف التغير ، فهي إن لم تكن بعيدة تمامًا عن التغير فإنها بلا نزاع آخر وأقل ما يتغير في مصر ، إنها قمة الاستمرارية والثوابت وقاع الانقطاع والمتغيرات في مصر ، لكنها للأسف والأسي بالطبع أسوأ استمرارية وشر الثوابت علي وجه اليقين والإطلاق ، ذلك أنها النقطة السوداء والشوهاء في الاستمرارية المصرية جميعًا ، مثلما هي الوحيدة التي لم تعرف الانقطاع أو التغير قبل العصر الحديث وبعده ، إنها الاستمرارية السلبية بامتياز ، مثلما هي قمة سلبيات الاستمرارية بيقين ، والسؤال ببساطة هل تغيرت مصر المعاصرة عن مصر الحديثة ، والحديثة عن القديمة ، في قضية التركيب الاجتماعي – السياسي ونظام الحكم والسلطة ، وإلي أي حد ؟ ، التغير الجوهري في الشكل ، أما الجوهر فلم يكد يتغير ، وهذا الجوهر هو الطغيان الشرقي ، الطغيان الفرعوني ، بكل أعمدته التقليدية ، فهو الخط المستمر والقاسم المشترك الأعظم ، الذي يجري خلال تاريخ مصر كله منذ مينا ، المتغير الوحيد هو الشكل ، – – فقديما كان الفلاحون عبيد فرعون ثم عبيد السلطان ، وحديثًا فإذا لم نكن قد صرنا حقًا أو نوعًا عبيد الرئيس ، فنحن يقينًا مازلنا بين فراعنة وفلاحين ، ورعايا لا مواطنين ، – – – وبمزيد من التوضيح ، فنحن في مصر الحديثة قد بدأنا حياتنا النيابية العصرية بالأخذ بالنموذج الغربي الديموقراطي البورجوازي الليبرالي المتعدد الأحزاب ، بل وذلك منذ وقت مبكر نسبيًا تحت – الخديو اسماعيل – وقبل كثير من الدول الأخري ، غير أن ذلك لم يكن للأسف إلا كقشرة وطلاء وواجهة ديموقراطية شكلية بحتة لخلفية اجتماعية محض إقطاعية طبقية رجعية ، ولأرضية استبدادية غاشمة من الحكم المطلق والطغيان المعهود ، فالحرية كلمة مستوردة لم تدخل قاموس السياسة المصرية إلا منذ الطهطاوي والمثل الفرنسي ، ولكن كأسم لا كفعل ، فالقاعدة الأصولية في مصر ، والتي لا تزال مرعية بأمانة – – هي أن كل من يختلف مع الحاكم فهو خائن بطريقة أو بأخري ، أو علي الأقل فإنه هو الحقد الذي لم يجد له قط علاجًا ، ذلك أن الرأي – كالقوة وكالفعل – ملك للحاكم فقط وحكر عليه وحده ، أما المعارضة فلم تعرفها مصر منذ الفرعونية – – إلا رمزًا وإلا شكلًا والرأي الآخر لم يوجد إلا في نفس صاحبه

فقط – – من هنا جميعًا فإن هذه الديموقراطية البرلمانية المستوردة ليست إلا غلافًا جذابًا وقناعًا براقًا للديكتاتورية الأصيلة والأصلية ، لذا يمكننا – والديموقراطية أكثر شئ نسبية إن لم تكن أكثر شئ مطاطًا – أن نسميها بحق الديموقراطية الشرقية كمرادف محلي أو عصري للطغيان الشرقي ويمكنك أيضًا أن تسميها ديموقراطية العالم الثالث – – – وما هي إلا الغراب يقلد مشية الطاووس – –وكما في دول الشرق الأوسط والعالم المتخلف ليس ثمة شئ في سياسة مصر الخارجية اسمه الشعب من الوجهة العملية ، ولا أوهام في هذا أو انفعال ، فصناعة السياسة الخارجية وتشكيلها وتوجيهها هي عمليًا وواقعيًا بغض النظر عن الشكليات السطحية المموهة حكر لرجل واحد هو الحاكم – – – وأنه حاكم مطلق خارجيًا كما هو داخليًا ، ولا يكاد يوجد حاكم في العالم القديم أو الحديث ينفرد بوضع سياسة بلده الخارجية كحاكم مصر ، وقد عبر بعض المعلقين الأمريكيين مؤخرًا علي هذه الظاهرة بقولهم إن السياسة الخارجية في هذا الجزء من العالم سياسة شخصية أساسًا ، الدور الشخصي للحاكم هو الدور المحوري إن لم يكن الأوحد فيها ، وفي هذا بالدقة تكمن جذور المأساة العظمي ، فمكان مصر ومكانتها الدولية كقوة سياسية ، انتصارها وهزيمتها مصيرها وبقاؤها – – إلخ كل أولئك بين يدي شخص واحد – – – – – لقد تغيرت مصر الحديثة والمعاصرة في جميع نواحي الحضارة المادية واللامادية والحياة الاقتصادية والاجتماعية بدرجات متفاوتات ، وذلك علي الأقل بحكم العصر والحضارة الحديثة المُعدية ، تمامًا مثلما تغير كل العالم الثالث ولربما تفوقت مصر في مدي هذا التغيير ، غير أنها من أسف لم تكد تتغير من ناحية نظام الحكم ، ففي هذا لا جديد تحت الشمس

- ماذا لديك أيضًا عن ذلك العصر ؟

<u>الاحتفال بالعيد الثلاثيني عند الفراعنة</u>

- عيد السد أو عيد الحب سد كما ورد في كتاب مصر الفرعونية لشيخ الأثريين أحمد فخري : كان هذا الاحتفال معروفًا في مصر دون شك قبل الأسرة الأولي بزمن كبير ، ويرجع أصله إلي عادة ما زالت تمارسها بعض الشعوب الإفريقية حتي الآن ، وهي تحديد ثلاثين سنة لحكم أي زعيم ، لأن رخاء الناس يتوقف علي قوة ذلك الزعيم ، فإذا امتد عمره أكثر من ذلك قضوا عليه في حفل ديني
- شئ عجيب حقًا
- كما تقدم البعض الآخر في تفكيره وقبل من الزعيم أن يثبت قوته باصطياد أسد أو قتل عدو فيشتري بذلك سنوات أخري من الحياة ، وتقدم آخرون أكثر من ذلك فجعلوا الزعيم يحصل علي سنوات أخري باسترضائه للإله بتشييد معبد جديد أو تقديم قرابين خاصة في حفل يثبت فيه هذا الزعيم استمتاعه بالصحة الوفيرة ،
- أما هذا فمقدور عليه

- **ويظهر أن هذه العادة كانت معروفة ومتبعة في مصر في وقت مبكر قبل عصر الأسرات ، ووصلت إلي مرحلتها الأخيرة وهي تجديد الحق في البقاء في الحكم قبل أن تنتهي فترة الثلاثين سنة ويكون ذلك في احتفال وفق مراسيم خاصة يثبت فيها الزعيم قوته ، ويشيد لهذه المناسبة بعض المباني الخاصة – – وظل ملوك مصر منذ الأسرة الأولي حتي آخر أيام حضارتها ، مخلصين لهذا التقليد وكثيرًا ما نري الإشارة إليه ، ونري بعض طقوسه علي جدران المعابد في جميع العصور حتي ما شيد منها في أيام الرومان**

<u>الفراعنة والحياة الآخرة (الآثار مقابر ومعابد فأين قصورهم)؟</u>

- **هل تسمح أن نتناول موضوع الديانة الفرعونية بشكل أكثر تفصيلًا لأنه من الواضح أنها السبب في كل ما تركوه من آثار ؟**
- **بالفعل إن معظم ما تركه الفراعنة إن لم يكن كله يتعلق بما بعد الموت أما قصورهم وبيوتهم وما إلي ذلك من أمور دنيوية فلم يتبقي منها شئ علي ما أعلم وقد يكون قصر التيه أو اللابرنت بالفيوم من الآثار الدنيوية ولكن كان له دور ديني أيضًا**
- **إذن فآثارهم مقابر ومعابد فقط تقريبًا أليس كذلك ؟**
- **نعم لأن الدنيا بالنسبة لهم كانت تمهيد للآخرة فتراهم يحتفظون بأغلي ما يملكون من ذهب واحجار كريمة وتحف وغير ذلك في قبورهم وليس في بيوتهم**
- **لأنه يعتبر قبره هو بيته في الآخرة والله أعلم صحيح ؟**
- **هذا ما يبدو ، حتي إذا عادت روحه إلي قبره يجد كل ما تركه به وعندما يقرأ النص المخصص والتعاويذ اللازمة تتحول كل ما في المقبرة من رسوم وتماثيل وكتابة إلي حقيقة ، وتجده أيضًا يكتب أعماله الصالحه وانتصاراته وأمجاده وكل ما يفخر به في الدنيا يضعه أو يكتبه في قبره**
- **فإذا حصل أحدهم علي شهادة تقدير مثلًا بلغة عصرنا الحالي أو ميدالية أو هدايا قيمة يضعها في مقبرته وأكيد أنت تعرف أمثلة علي ذلك**
- **بمناسبة هذا الكلام هناك موقف يمكن ذكره يؤكد كلامك بالفعل فمثلًا حدث في عصر أحد ملوك الأسرة الخامسة وكان اسمه نفر اير كا رع موقف قد ورد بكتاب معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول– د سيد توفيق صفحة ٨٩ حيث كتب : (نعرف اسم الملك نفر اير كا رع من عدة مقابر لكبار موظفيه علي سبيل المثال مقبرة "رع ور " التي اكتشفها سليم حسن عام ١٩٢٩ وهذا القبر لا تقل حجراته عن الخمسين وعثر فيه علي أكثر من مائة تمثال أكثرها مهشم وكان "رع ور " يحمل أكثر من ثلاثين لقبًا من بينها لقب مدير القصر الملكي ، ونذكر هنا حادثة لطيفة تدل علي عطف الملك ذكرها "رع ور " في مقبرته فقد حدث ذات مرة في احتفال رسمي أن الملك وكز بعصاه ساق رع ور من غير قصد ولاحظ**

الملك هذا واعتذر عما بدر منه وقال له " انك أحب رجل لدي وأخص الناس بعطفي " ولم يكتف بذلك بل جعل هذه الحقيقة واضحة للناس فأمر بنقشها علي حجر لكي تودع في قبر رع ور ، وهناك حادث مشابه حدث للوزير والقاضي " واش بتاح") ، ومن هذه القصة يتضح مدي جبروت ملوك مصر الفراعنة مما يجعل مثل هذا الحدث العادي إشادة بعطف الملك وسنلاحظ أيضًا أن الحاشية فقط هي التي تحظي بهذه الرعاية أما باقي الشعب فالوضع مختلف كما سنري عند الحديث عن الثورة العارمة التي حدثت في نهاية الدولة القديمة

- **المهم في هذه القصة هو الحجر الذي أوصي الملك بوضعه في قبر رع ور وهذا ما يعنينا في موضوعنا**
- **نعم إنها إشارة واضحة لأهمية محتويات المقابر الفرعونية**
- **إذن يكفي أن تكون غنيًا وذو منصب محترم ومن صفوة المجتمع ولك نفوذ كبير ولك العديد من الألقاب الفخمة كي تبني قبرًا يليق بك ثم تعيش حياة رائعة في الآخرة ومعك خدمك وحاشيتك وزوجتك وأموالك ولا عزاء للفقراء أليس كذلك ؟**
- **بالطبع مقبرة ملك تختلف عن مقبرة قائد بالجيش أو مقبرة كاهن أو أحد كبار الموظفين بالدولة فمثلًا الملك حور محب آخر ملوك الأسرة ١٨ كانت له مقبرتين بني أحدهما قبل أن يتولي الملك ثم شيد الأخري بعد أن أصبح ملك لأن الوضع قد اختلف ، وأكيد قد شاهدت محتويات مقبرة الملك توت عنخ آمون التي كانت مختفية عن أعين اللصوص حتي تم اكتشافها ، ووجد فيها كنوز رائعة بالرغم من أنه لم يكن ملكًا في نفس أهمية تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو غيرهم من ملوك الفراعنة**
- **ولكن ماذا عن آلهة الفراعنة ؟**

<u>آلهة الفراعنة</u>

- **طبعًا ليس من الممكن أن أذكر هنا أسماء جميع الآلهة التي وردت في موسوعة سليم حسن وذلك لكثرتها ولكن سأحدثك عن بعض هذه الآلهة في إيجاز لتوضيح بعض النقاط فمثلًا إذا تحدثنا عن عدد الآلهة بالكامل تقريبًا سنجد أنها تزيد عن عدد المقاطعات لأن بعض المقاطعات كان لها أكثر من إله أما عدد هذه المقاطعات بالكامل فيبلغ عشرين مقاطعة في الوجه البحري واثنين و عشرين مقاطعة في الوجه القبلي أي اثنان وأربعون مقاطعة طبقًا لما ورد بالجزء الأول من موسوعة مصر القديمة لسليم حسن ويمكن إعطاء بعض الأمثلة عن إله كل مقاطعة فمثلًا المقاطعة الأولي في الوجه القبلي كان المعبود فيها أربعة آلهة منهم الإله الكبش خنوم والإله ست أما آمون رع الشهير فقد كان يعبد في عدة مقاطعات مع آلهة أخري مثل المقاطعة السادسة والمقاطعة السابعة عشرة في الوجه البحري والمقاطعة الرابعة في الوجه القبلي وعلي فكرة الكبش خنوم أيضًا كان يعبد في العديد من المقاطعات**

وعندما تم توحيد جميع المقاطعات وضم الشمال للجنوب وتكونت الدولة المصرية والحكومة المركزية استطاع الكهنة وما أدراك ما الكهنة استطاعوا أن يحافظوا علي جميع الآلهة والتوفيق بينها بقدر الإمكان في جميع المقاطعات بحيث تعترف كل مقاطعة بكل الآلهة الخاصة بالمقاطعات الأخري لأن كل إله له وظيفة مختلفة عن الآخر وأصبح له دور مهم في حياة المصريين القدماء فنجدهم يوزعون الأدوار علي الآلهة فيوجد إله للخصوبة وإله للحب والغزل وإلاهان للحرب وإله التحنيط وإله الشمس وهكذا وبالتالي لم يفقد أي إله سلطاته في العبودية في باقي المقاطعات ولكن معبده الرئيسي الخاص به يكون في المقاطعة الأصلية التي نشأ بها ، وطبعًا كل هذا كلام فارغ وكفر والعياذ بالله لكن هذا ما حدث وهذا الذي أدي إلي بناء كل هذا الحشد الرهيب من المباني الدينية بكافة أشكالها وأحجامها لعبادة هذه الآلهة التي ازدحم بها الجزء الأول من كتاب موسوعة سليم حسن مصر القديمة وعلي فكرة لم تكن الحيوانات فقط التي يقدس بعضها الفراعنة ولكن كان هناك بعض الطيور والزواحف والأشجار ايضًا ومن أمثلة الحيوانات المقدسة التي تقمصتها الآلهة البقرة والثعلب والقطة والذئب ومن أمثلة الطيور الصقر والأوز ومن أمثلة الزواحف الثعبان والتمساح ومن أمثلة الشجر المقدس شجرة الجميز التي ظهرت في العديد من اللوحات الفرعونية بل إن الحشرات أيضًا لم يتركوها بل كانوا يقدسون الجعران وهناك العديد من الأساطير التي تم اختراعها بواسطة الكهنة مثل اسطورة إيزيس وأوزوريس الشهيرة وكل ما أريد أن تعرفه علي الأقل أن هذه الآلهة كانت محور حياة المصريين القدماء وبسببهم أقيمت كل هذه الآثار التي نراها حاليًا وإذا أردت أن تعرف المزيد عنها فيجب أن تقرأ الكتب الخاصة بذلك وجدير بالذكر أن أسماء ملوك الفراعنة كانت مرتبطة إلي حد كبير بأسماء الآلهة فمثلًا الملك خوفو مرتبط باسم الإله خنوم (والواقع إن اسم خوفو هو الاسم المختصر له إذ أن الاسم الكامل هو "خنم خواف وي " أي الإله خنم هو الذي يحميني ") واسم رمسيس أصله (رع مس سو) أي الإله رع هو الذي أنجبه

- فماذا عن الحساب في الآخرة من وجهة نظر الفراعنة ؟

<u>أسئلة محاكمة الميت من وجهة نظر الفراعنة</u>

- بالطبع كانوا يعتقدون أن هناك حساب في الآخرة ، وقد وردت أسئلة محاكمة الميت في كتاب (مصر علمت العالم) للدكتور وسيم السيسي – الدار المصرية اللبنانية – الطبعة الأولي ٢٠١٣ حيث كتب الأسئلة الآتية : هل حفظت جسدك طاهرًا ؟ ، هل قتلت نفسا بغير حق ؟ ، هل عذبت حيوانًا ؟ ، هل تعلقت بالدنيا بسلاسل من ذهب ؟ ، هل عميت من أمور الآخرة ؟ ، هل صنت نفسك ولسانك عن الشهادة الزور ؟ ، هل عرفت السحر الأسود ودنست نفسك به ؟ ، هل تذكرت الإله وسألته دومًا الهداية والرشد ؟ ، هل خنت جارك أو صديقك الذي ائتمنك علي عرض بيته ؟ ، هل اعتنيت بالنباتات

وأطفأت ظمأها ؟ ، هل عاملت الحيوانات بالرفق والشفقة كما تود أن يعاملك بالرفق من هو أقوي منك ؟ ، هل استمعت لصوت ضميرك ؟ ، هل كرهت إنسانًا ؟ ، هل جلبت الرضا لقلب أمك والشرف لبيت أبيك ؟ ، هل أعطيت خبزك للمحتاج ؟ وبعض ثمار حقلك للمنهكين ؟ ، هل امتدت يدك لسرقة ما ليس لك ؟ ، هل كنت في أي حال تكذب ؟ ، يجيب المتوفي عن هذه الأسئلة ثم يضيف : كنت عينًا للأعمي ، ويدًا للمشلول ، ورجلًا للكسيح ، وأبًا لليتيم ، ولم أجعل أحد يبكي مني ، وإن قلبي نقي ويداي طاهرتان ، وعندما ترجح كفة قلب المتوفي ، ، يعلن تحوتي براءة قلب المتوفي من الذنوب

- **إنها أسئلة رائعة بالفعل**
- **بالتأكيد فأي حضارة ناجحة لابد أن تقوم علي أخلاق حميدة**
- **فعلًا إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا**
- **بالطبع ، ولكن كل هذا مع عبادة غير الله لا يجدي في الآخرة ، فمن أعظم الظلم أن يترك البشر عبادة الله وحده ويعبدون البشر والحيوانات والطيور والجمادات ويسيطر عليهم الكهنة والفراعنة ويستعبدونهم ثم يقنعونهم بأن بناء القبر له أهمية خاصة فيتمنون أن يصبحوا خدمًا لسادتهم في الدنيا والآخرة ، فكلما أعددت مقبرتك بشكل لائق كلما كانت حياتك في الآخرة أفضل وكلما كنت تشغل وظيفة كبري في الدولة الفرعونية ستكون بالتأكيد قادر علي تشييد مقبرة محترمة تليق بك وفيها كل ما تتمناه**
- **كل هذا مفهوم ولكن بالنسبة لأسئلة المحاكمة التي ذكرت أن الميت يتعرض لها أمام الآلهة ، هل كان الآلهة في اعتقاده يسجلون كل أعماله وأقواله في الدنيا حتي يحاسبونه عليها**
- **المؤكد أنه هو الذي كان يسجل أعماله في مقبرته**
- **وهل كان يعتقد أن آلهته ستصدق ما كتبه بنفسه أم أن لها مرجعيات أخري ، بل الأغرب من ذلك إذا لم يقم بحفظ جثمانه ويوصي بتحنيطه بعد الموت هل آلهته لن تستطيع إعادته إلي ما كان عليه ؟**
- **سبحان الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، أما موضوع الديانة الفرعونية فلا تكثر الأسئلة فيه حتي لا يعتقد البعض أنك تنتقدها فتتعرض للوم من المفتونين بها بدون علم مع أني لا أعتقد أن لومهم سيجدي معك**
- **بالطبع فهذه الحضارة كانت محل احترام الجميع ولكن العقيدة شئ آخر وربما كانت فتنة للكثيرين وقد قال المولي عز وجل عنهم {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }** سورة الفجر من ١٠ إلي ١٤
- **صدق الله العظيم**
- **هل كان هناك أنبياء خلال العصر الفرعوني ؟**
- **لم يسجل الفراعنة بالطبع أي شئ عن الأنبياء فقد كان كل منهم عندما يكتب التاريخ يحذف من قوائم الملوك من يخالف عبادة آلهته فما بالك بمن يخالف معتقداتهم بالكامل ، فلم تسجل علي آثارهم أي**

إشارة لوجود نبي أو رسول بالرغم من حضور العديد من الرسل والأنبياء إلي مصر خلال العصر الفرعوني إلا أن هناك إشارة إلي إسرائيل في لوحة مرنبتاح الشهيرة عندما نصل إلي الحديث عنها إن شاء الله

- ولكن هل لديك كتابات عن موضوع الأنبياء في مصر ؟

الأنبياء في مصر

- بالتأكيد وهذا بعض ما ورد بكتاب عندما دخلت مصر في دين الله للدكتور محمد عمارة وهي مقتطفات دونتها من صفحة ٤ إلي صفحة ١٠ : - - إن ما بقي لنا من قصص نبي الله ورسول مصر إدريس – عليه السلام – ليوحي بأن هذا العمق الحضاري والسبق في التمدن ، اللذين تميزت بهما مصر قبل سائر الحضارات ، إنما كانت لهما عروة وثقي بعلم النبوة الذي جاء به رسولها إدريس عليه السلام – – فيقولون أنه أقام ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله - - فعرفهم السياسة المدنية وقرر لهم قواعدها وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم فإن الله عز وجل أفهمه أسرار الفلك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه وأفهمه عدد السنين والحساب - - - وعبر هذا التاريخ المصري الذي هو أطول وأعرق ما حفظت ذاكرة الإنسانية من التاريخ ظلت ومضات التوحيد الديني في مصر شاهدة علي انتماء المصريين إلي دين الله ولقد تمثل ذلك فيمن زارها وعاش فيها من الأنبياء والمرسلين وفيمن ولد فيها ونشأ وبعث منهم – ممن قص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم – وأيضًا في حكمائها الذين جددوا الدعوة إلي التوحيد ورفعوا راياته في مواجهة الوثنية والذين قد يكونون أنبياء ورسلًا ممن لم يرد ذكر لأسمائهم في القرآن الكريم - - فإلي مصر رحل إبراهيم الخليل – عليه السلام – وهو أبو الأنبياء ومن بنات مصر هاجر عليها السلام أنجب نبي الله ورسوله إسماعيل عليه السلام – وإلي مصر جاء يوسف عليه السلام وفيها أوحي إليه ربه وبها بلغ الرسالة وعمل وساس وأصلح - - - وباستدعاء من يوسف جاء نبي الله يعقوب وعدد من بنيه إلي مصر وعاش فيها وعبد الله ودعا إليه – وفي مصر ولد ونشأ وتعلم نبي الله موسي وأخوه هارون عليهما السلام وأوحي الله إليهم وأنزل عليهم التوراة والألواح فجابهت حرية التوحيد عبودية الفرعونية علي ضفاف وادي النيل - - وإلي مصر لجأ المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام مع أمه سيدة نساء العالمين طلبًا للأمن

- إن أفضل ما في حواري معك أنه ليس معك وحدك فأنت كما لوكنت تستدعي المؤرخين والكتاب والمفكرين وغيرهم للجلوس معنًا للرد علي الاستفسارات ، فعلًا إن خير جليس في الزمان كتاب ، فهل أطمع في الاستفسار عن حياة المصري القديم في العصر الحجري قبل تأسيس الدولة المصرية ؟

كيف كان يعيش المصري القديم في العصر الحجري

- **(كان المصري في ذلك الوقت جامعًا للقوت يحصل علي حاجته مما يجده من ثمار الأشجار ومما يستطيع أن يصطاده من أسماك النهر والبحيرات ، أو من الطيور وصغار الحيوانات ، ومثل هذه الحياة تستلزم التنقل الدائم ولا تحتاج إلي ضرورة إقامة العائلات علي مقربة من بعضها ، كما أنها لا تحتاج إلي أثاث ثقيل يحمله الإنسان معه ، وجاء اليوم الذي عرف فيه الإنسان[1] أنه يستطيع أن يستنبت بعض حبوب النباتات البرية ويحصل منها علي كميات كبيرة بعد زرعها ، وبعبارة أخري أخذ المصري يتحول تدريجيًا من جامع للقوت إلي منتج له ، فأجبرته الزراعة علي الإقامة في مكان معين ليرعى حقله وليحصل علي ثماره ، كما بدأ الإنسان يستأنس الحيوانات أيضًا[2] ، ويبني له مستقرًا يأوي إليه ويضع فيه محصوله ، كما بدأ أيضًا يصنع من بعض النباتات ومن الطين أوان لحفظ حاجياته ، وعندما وصل الإنسان إلي هذه المرحلة ، أي بعد ترك اعتماده علي حياة الصيد وجمع القوت اعتمادًا كاملًا ، أخذ يودع حياة العصر الحجري القديم وأخذ يبدأ العصر الحجري المتوسط الذي حسن فيه الإنسان بعض أدواته وأخذ يرتقي قليلًا قليلًا في مدارج المدنية ، وبدأ يتحلى ببعض أدوات الزينة ، وما جاء العصر النيوليتي أو العصر الحجري الحديث حتي كان هذا الإنسان يعيش في قري صغيرة)[3] ، (وتسمي الفترة بين بداية العصر النيوليتي " أي العصر الحجري الحديث " وبين ظهور الأسرات في مصر ، وتقرب من ألفي سنة العصر الحجري النحاسي أحيانًا – ونستطيع أن نقول إنه كان لكل من حضارتي الدلتا والصعيد مميزات خاصة)[4] وبعد انتهاء العصر الحجري بدأ عصر الأسرات الفرعونية**
- **فهل حان الوقت للحديث عن الملك مينا الشهير بموحد القطرين ؟**
- **بل سنتحدث عن الملك العقرب**
- **ومن هو الملك العقرب وما حكايته ؟**

الملك العقرب

- **نعرف جميعًا اسم الملك مينا كموحد للقطرين وكأول فراعنة الأسرة الأولي الفرعونية ، ولكن القليل يعرف الملك المسمي بالملك العقرب والذي تم في عهده محاولة لتوحيد القطرين في مصر وإن لم تنجح هذه المحاولة ولم تستمر طويلًا ، إلا أنها كانت محاولة سبقت ما أنجزه الملك مينا بفترة ، فمما لا شك فيه أن هناك تطورًا كبيرًا قد حدث في مصر حوالي سنة ٣٣٠٠ قبل الميلاد ، إذ أن البلاد كانت في**

---

[1] كل ما عرفه الإنسان ويتعلمه بإرادة الخالق عز وجل فهو سبحانه الذي يلهم الإنسان العلم والمعرفة المناسبة لكل مرحلة من حياة الإنسان علي الأرض ولا شأن للصدفة في ما يتعلمه الإنسان وإنما هي أسباب يسببها المولي عز وجل

[2] {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} {وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} (٧١) ، (٧٢) سورة يس

[3] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صفحة ٣٥-٣٦

[4] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صفحة ٣٧

مرحلة انتقال من العصر الحجري الحديث إلي عصر بداية الأسرات ، بمعني أن طبيعة البلاد والمصلحة المشتركة نقلتهم من حياة القرية إلي المدينة ومنهما إلي حياة الأقاليم التي كانت تتمثل في إمارات صغيرة ، وبدأت هذه الأقاليم تتحد مع بعضها البعض بوسيلة أو أخري ، فقد فرض بعضها نفوذه علي البعض الآخر عن طريق الحرب أو عن طريق النمو الطبيعي وتغلب المصالح المشتركة ووصلوا في النهاية إلي مملكتين ، مملكة الشمال وتتمثل في الدلتا وعاصمتها مدينة (بي) بوتو بمعني المقر أو العرش (قرب دسوق) وإلهها الصقر حورس وتاجها التاج الأحمر ورمزها النحلة ، أما المملكة الأخري ففي الجنوب وعاصمتها مدينة (نخن) بمعني الحصن (قرب إدفو) وإلهها أيضًا الصقر حورس وتاجها التاج الأبيض ورمزها نبات السوت (ربما البوص أو الخيرزان) ، ونعرف من الملوك المحاربين الملك العقرب ، الذي كان أغلب الظن أحد ملوك مصر قبل الملك مينا (نعرمر) مؤسس الأسرة الأولي الفرعونية ، وتدل آثار الملك العقرب التي عثر عليها في نخن أنه قام بأعمال إنشائية ، فمثلًا نراه علي دبوس قتاله لابسًا التاج الأبيض ماسكًا بفأس يضرب بها الأرض ، ربما يشق ترعة جديدة أو يقوم بأحد المراسم الدينية ، وفوق هذا نري مجموعة من الألوية تمثل مقاطعات الصعيد ويتدلي منها طيور مذبوحة ربما لتعبر عن قبائل الدلتا وقد يدل هذا علي انتصار الملك العقرب علي الشمال وتوحيد البلاد ، ومن الملاحظ أن هذه الوحدة قد انفصمت عراها لأسباب دينية تقريبًا ثم عادت من جديد في أول العصر التاريخي ، عندما أخضع أهل الجنوب أهل الشمال ، وقامت الوحدة التاريخية التي بدأتها الأسرة الأولي التي أنهت عصر ما قبل التاريخ وبدأت التأريخ منذ الملك مينا ، وهناك خلاف حول شخصية موحد مصر ، هل هو الملك نعرمر أم ابنه الملك حور عحا (بمعني الصقر المحارب) ؟ فمينا لم يكن اسمًا أو لقبًا مستخدمًا أثناء حياة الفرعون ، ولكنه نعت أطلقه عليه أبناء الأجيال التالية وهو يعني الخالد وهناك خلاف أيضًا حول تاريخ توحيد القطرين ويظن بعض المؤرخون أنه تم حوالي سنة ٢٩٢٠ قبل الميلاد[٥]

- **فلنتحدث عن الملك مينا**

<u>الملك مينا</u>

- **يُعد الملك مينا أول شخصية بارزة في تاريخ مصر بل إن مصر لم تصبح دولة موحدة إلا في عهده فهو كما نعلم جميعًا موحد القطرين وهو الملك الأول في الأسرة الأولي الفرعونية يُعد الملك مينا أول شخصية بارزة في تاريخ مصر بل إن مصر لم تصبح دولة موحدة إلا في عهده فهو كما نعلم جميعًا موحد القطرين وهو الملك الأول في الأسرة الأولي الفرعونية وقد وردت عدة أسماء للفرعون الأول موحد القطرين منها (مني = مينا= منا = نعرمر = نارمر) وقد استخدم الدكتور سيد توفيق اسم**

[٥] نقلًا عن كتاب (هؤلاء حكموا مصر) – حمدي عثمان – الهيئة المصرية العامة للكتاب

"مني" للفرعون الأول كما ورد في تاريخ مانيتون وبردية تورين وقائمة أبيدوس بأن الفرعون الأول هو "مني" بمعني الخالد أو المثبت وهو مؤسس الدولة والجد الأكبر لجميع ملوك الفراعنة تقريبا ويقول عنه سليم حسن أنه قد كانت له مهابة في قلوب الفراعنة الذين خلفوه حتى أنهم ألهوه بعد موته وبقيت عبادته زمنًا طويلًا حتى أنه بعد عشرين قرنًا من وفاته وجد تمثاله محمول في مقدمة كل تماثيل الملوك الآخرين في احتفال ديني في عهد رمسيس الثالث في معبده ويقول سليم حسن أن ملوك الأسرة الأولي يبلغ عددهم سبعة فقط واستمروا نحو ٢٠٠ سنة من سنة ٣٢٠٠ ق م إلي سنة ٣٠٠٠ ق م والملك مينا قد وضع أساس متين لكل من جاء بعده من الفراعنة فالنظام الحكومي والإداري الذي كانت تسير عليه البلاد في عهده بقي نحو ٣٠٠٠ سنة لم يطرأ عليه تغيير إلا نادرًا

- أعتقد أن هذا النظام الحكومي موجود حتي وقت قريب وليس فقط ٣٠٠٠ سنة
- أما كلمة فرعون فقد أتت من اللفظ المصري القديم "برعو" أي القصر العظيم وتعتبر لوحة الملك مينا من أهم الآثار الفرعونية الموجودة حاليًا واللوحة توضح معاركه لتوحيد القطرين ، وظهوره بتاج الوجه القبلي علي أحد أوجه اللوحة وبتاج الوجه البحري علي الوجه الآخر ، وقد عثر عليها العالم البريطاني كويبل في هيراكونبوليس بالقرب من إدفو وهى من حجر الشيست الأخضر. وتعتبر لوحة نارمر من أول اللوحات التاريخية، كتبت ورسمت في عهد الفرعون نارمر الذي وحد الوجهين المصريين
- هل يمكن شرح المرسوم علي هذه اللوحة ؟ فقد بحثت عنها وهي أمامنا الآن علي شاشة الكمبيوتر
- حسنًا فلتتأمل معي أولا الوجه الأول من اللوحة : في أعلى اللوحة نجد وجهان لإمرأه لها أذنى وقرنى بقره وهى الإلهه حتحور وبين والوجهين نجد واجهة القصر "السِرخ" ونقش بداخله اسم نعرمر. وفي الصورة اسفلها نجد الفرعون مصورا بحجم كبير يلبس تاج مصر العليا(الجنوبية)الأبيض ويمسك بيده سلاحه ليضرب به أحد أعدائه الشماليين (التي تميزه باروكة الشماليين)، وخلف الملك حامل صندل الملك ومعه وعاء من الماء. وأمام الملك نجد الإله حورس في هيئةالصقر وهو يقدم للملك رأس أسير وجسمه عبارة عن علامة الأرض عند المصريين القدماء ويخرج منها نبات البردى أى دليل على أنها أرض الشمال ومعنى ذلك أن حورس يقدم للملك أرض الدلتا ليحكمها ويبسط عليها نفوذه. بعد ذلك نجد في أسفل اللوحة اثنان من الأعداء يهربان وبجوار كل منهما اسم مقاطعته (بوتو وسايس) كل منهما ينظر ورائه دليلًا على قوة ما يهربان منه، وبجوارهما رسما لحصنهما الذي استولى عليه نارمر. ثانيًا الوجه الثاني : نجد أولا في أعلى الصورة المنحوتة نفس وجهى المعبودة حتحور وبينهما السِرخ، أسفلها منظر يصور انتهاء الحرب ويمشى الملك في موكب النصر المتجه لمعبد مدينة بوتو المقدسة، وهنا يلبس الملك التاج الأحمر تاج الدلتا وورائه حامل الصندل وأمام الملك كبير وزرائه وفوقه كلمة "سات" يعنى وزير، وأمام الوزير حملة الأعلام. ومن الأعلام نستنتج أن مصر القديمة كانت أول من يكوّن حكومة مركزية في التاريخ، حيث يرجع تاريخ تلك اللوحة وهذا الحدث إلى ٣١٠٠ سنة قبل

الميلاد. ونجد على أقصى اليمين مجموعة من الأسرى مقطعة رقابهم وموضوعة بين أقدامهم ونرى أن جميع الأسرى أقدامهم مواجهة لبعضها ما عدا إثنين منهم، وذلك تمييزًا لهما ويعتقد أنهما قائدين من الشمال. أسفل هذا المشهد نجد صورة لحيوانين خرافيين متشابكة الأعناق ليشكلوا بؤرة الصلاية لطحن كحل الملك وفى نهاية اللوحة نجد الملك مصوّرا على هيئة "ثور" قوي دليلًا على قوته يدمر أحد حصون الأعداء ويطأ بقدمه أحد الأعداء

- **من الواضح أن الملك كان يقاتل بشراسة وعنف لم تشهده البلاد من قبل وقد قام بالتمثيل بالجثث ووضع رأس كل قتيل بين ساقيه ، وهي رسالة لكل من تسول له نفسه أن يفكر في عصيان الملك**
- **بالتأكيد فقد وضع مينا القوانين والقواعد التي ستطبق علي عصره وما بعده من عصور ويجب أن نتذكر أن هؤلاء القتلي هم من أهل مصر أيضًا ولكنهم كانوا يعيشون في الشمال أي في الوجه البحري أي أنهم ليسوا من دولة معادية لمصر بل هم نصف مصر الشمالي**
- **الطريف أنه قد قامت حروب طاحنة بين شمال وجنوب الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث حتي أصبحت علي الحالة التي عليها الآن ، فهل الحروب لتوحيد الدولة أمر حتمي حدث في عدة أماكن من العالم القديم والحديث ؟**
- **علي أي حال لقد وضع مينا القانون فأنت إذا خالفت مينا فأنت لا تخالف شخص الملك مينا بل إنك تخالف القانون وسيصبح هذا هو الطبيعي والدائم في مصر بعد ذلك فالحاكم هو القانون بل هو مصر نفسها فإذا أسأت له أو انتقدته فأنت تسئ إلي مصر وتنتقدها فمصر ستصبح هي حاكمها**

<u>الملك زوسر</u>

- **سبحان الله ، نحن لم نتكلم في تاريخ مصر حتي هذه اللحظة إلا عن الملك مينا فقط ، فكيف وصل بنا الكلام إلي كل هذا ، فهل عصر الملك مينا قد تكرر في جميع عصور التاريخ المصري مع تغيير اسم الحاكم فقط ؟**
- **علي أي حال كان من الطبيعي أن يستغرق الكلام عن الملك مينا كل هذا الوقت لأن البداية والتأسيس يحتوي علي تفاصيل كثيرة مطلوب توضيحها أما بعد ذلك فسيكون الكلام عن باقي الفراعنة أكثر وضوحًا دون الحاجة إلي كل ما قد قيل عن الملك مينا**
- **حسنًا فمن الفرعون الذي سنتحدث عنه بعد الملك مينا ؟**
- **أعتقد أن الملك زوسر هو الذي يستحق أن ننتقل للحديث عنه فهو ثاني شخصية بارزة في التاريخ الفرعوني فهو مؤسس الأسرة الثالثة الفرعونية وقد بدأ عصر الدولة القديمة حوالي سنة ٢٦٩٠ ق م بالأسرة الثالثة وفي الحقيقة عصر الدولة القديمة يتميز أنه عصر بناة الأهرام لذلك ستجد أسماء عديدة في هذا العصر تعرفها ويعرفها معظم الناس حاليًا مثل مؤسس هذه الأسرة وهو الملك زوسر الذي بُني**

في عهده هرم سقارة المدرج الشهير وعلي فكرة هذه الأسرة مكونة من خمسة ملوك فقط أولهم الملك زوسر وهو يعتبر من الشخصيات البارزة وقد دام ملكه حوالي ٢٩ سنة علي عرش مصر وهو صاحب أول هرم في التاريخ وبالرغم من أنه كان علي الأرجح ابنا لآخر ملوك الأسرة الثانية فقد اعتبره القدماء مؤسسًا لأسرة مالكة جديدة ولقد حكم الملك جُسر" زوسر" طبقًا لما ورد في تاريخ مانيتون ٢٩ سنة رأت فيهم مصر نهضة شاملة ، وجوسر هو الاسم المستخدم في كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتي الفتح العربي والمكون من قسمين كتب أحدهما الدكتور سيد توفيق والآخر الدكتور سيد الناصري وقد تم استخدام كلمة جوسر بتعطيش الجيم وهو اسم يعني المقدس في اللغة المصرية القديمة ، (وليس من شك في أن أهم الآثار التي وصلت إلينا من عصر الأسرة الثالثة هي تلك المجموعة الهرمية التي أمر الملك جسر "زوسر" ببنائها بسقارة – – ومن الطريف أن الملك جسر قبل أن يبدأ في بناء مجموعته الجنائزية في سقارة سار علي نهج من سبقوه من ملوك الأسرتين الأولي والثانية فبني مقبرته الأولي علي شكل مصطبة كبيرة الحجم وهي من الطوب اللبن– – أما مقبرته الثانية بسقارة ونقصد بذلك الهرم المدرج فقد ترك تشييدها لوزيره الشاب أيمحتب وهو المهندس الذي استخدم الحجر علي نطاق واسع لأول مرة – – وقد خلد هذا البناء الضخم مهندسه أيمحتب) الذي (كان واحدًا من أولئك النوابغ الذين تظهر عبقريتهم في أكثر من ميدان واحد فلم يقتصر نبوغه علي فن العمارة والنحت فأحدث التطور الأكبر في الفن المصري بل نبغ أيضًا في الطب وألف فيه ، كما ألف في الحكمة وألهه المصريون بعد وفاته وعبدوه وشيدوا له المعابد في أواخر أيام حضارتهم)

- فما هي أبعاد هرم سقارة المدرج ؟
- أما عن أبعاد هذا الهرم فقد أثبتت الأبحاث الحديثة وما تعري وتهدم من بعض أجزاء الهرم "هرم سقارة المدرج" أنه بني علي أساس تصميمات مختلفة– –وأصبحت قاعدة الهرم بعد كل هذه التعديلات ١٢١ متر من الشرق إلي الغرب و ١٠٩ متر من الشمال إلي الجنوب وارتفاع الهرم يصل إلي ٥٩.٦٤ متر– – وغير هذا فهناك العديد من الممرات والغرف التي حفرت في الصخر الطبيعي تحت بناء الهرم وتشعبت في اتجاهات مختلفة بأطوال متباينة وعلي أعماق مختلفة ووجد بها عشرات الآلاف من الأواني الحجرية الضخمة ويعتقد بأن عددها يزيد علي ٣٠٠٠٠ إناء من المرمر والجرانيت والديوريت والشست وهي تمثل الإتقان الذي وصلت إليه صناعة الأواني في عصر الملك جسر وقد زينت إحدى جدران هذه الغرف بثلاثة أبواب وهمية مثل عليها الملك جسر يقوم بطقوس عيد السد يصاحبه اسمه وألقابه ، وكانت فترة حكم زوسر لمصر فترة زاهرة ولكن منذ وفاته حتي آخر أيام الأسرة لم يخلفه علي العرش من نستطيع أن نقارنه به ، ويذكر مانيتون أسماء ثمانية ملوك حكموا في هذه الأسرة بينما لا نجد في ثبت أبيدوس إلا أسماء ستة ملوك فقط ، أما بردية تورين المهشمة فلم تحفظ لنا غير خمسة أسماء ، (وكانت فترة حكم الأسرة الثالثة مائة سنة علي الأرجح وقد بدأت بعهد زاهر وهو عهد زوسر

ولكن سرعان ما توقفت تلك النهضة ولم تتابع تقدمها علي الصورة التي كنا نتوقعها ، فقد رأينا كيف عرفت مصر تشييد الهرم المدرج ، ومضت عشرات السنين بعد ذلك فلم تخط الخطوة التالية وهي معرفة بناء الهرم الكامل – ظلت مصر نحو أربعمائة سنة وهي تبني مقابر ملوكها في الأسرتين الأولي والثانية علي شكل مصاطب مستطيلة الشكل حتي ولد معماري نابغ وهو إيمحوتب فارتفع بقبر الملك وجعل منه هرمًا مدرجًا وظل تجديد إيمحوتب مثلًا أعلي مدة تقرب من قرن كامل حتي انتهت أيام الأسرة الثالثة وبدأت الأسرة الرابعة) (أما الملك حوني آخر ملوك هذه الأسرة فقد حكم ٢٤ سنة ويذكر نقش يحمل اسمه في جزيرة الفنتين أنه أقام عند الجندل الأول حصنًا ليؤمن حدود مصر الجنوبية وهذا النقش هو الإشارة الوحيدة للأحداث السياسية التي تمت في عهده كما بدأ خلال فترة حكمه ببناء هرمه في ميدوم " ٧٥ كم جنوب القاهرة " ولكنه مات قبل أن يتمه ، فأكمله الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة)

الملك سنفرو

- الأسرة الرابعة التي تضم خوفو وخفرع ومنقرع ؟
- نعم ولكننا سنتحدث أولًا عن مؤسس هذه الأسرة وهو الملك سنفرو
- كلي آذان صاغية
- أسس الملك سنفرو الأسرة الرابعة – – ويري مانيتون أنه حكم ٢٩ سنة وبردية تورين ٢٤ عاما كما نعرف من حجر بالرمو أنه قام ببعثات حربية إلي بلاد النوبة وأحضر معه من هناك ٧٠٠٠ أسير ، ٢٠٠٠٠٠ رأسًا من الماشية وبعد ذلك اتجه إلي ليبيا وانتصر عليها وعاد منها ومعه ١١٠٠٠ أسير و ١٣١ ألف رأس من الماشية
- ألا توجد مبالغات في هذه الأرقام ؟
- إن هذا مدون علي حجر بالرمو ، فإذا كنت لا تصدقه فاذهب إلي إيطاليا وراجعه بنفسك
- لا داعي استمر
- كما يذكر حجر بالرمو أيضًا أنه أرسل أسطولًا بحريًا إلي لبنان لإحضار أخشاب الأرز) وكان سنفرو متزوجًا من الأميرة حتب حرس ابنة الملك حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة والتي كانت تحمل بحكم دمها الملكي حق وراثة العرش وأنجب منها ابنه خوفو الملك الشهير وكان نظام وراثة الحكم كما ذكرنا إذا انقطع نسل الذكور من الأسرة المالكة فإن الملك الجديد لا بد أن يتزوج من إحدي بنات البيت الملكي السابق حتي يجري الدم الفرعوني في عروق أبناءه كما فعل سنفرو مع ابنة الملك حوني ولقد أكمل الملك سنفرو هرم الملك حوني في ميدوم بالفيوم وشيد لنفسه هرمين في دهشور ، الأول يسمي الهرم المنكسر الأضلاع ويبلغ ارتفاعه ١٠١.١٥ متر ويبدو أنه الحلقة التالية لتقدم فكرة بناء المقبرة الملكية

بعد المصطبة المدرجة الخاصة بالملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة وكتب سليم حسن عن سنفرو ما يلي (وكانت كل القوة مجتمعة في يد الملك الذي حل محل رؤساء القبائل ، ولما كان الملك هو الوارث لمعبود القبائل أصبح القوم يعتقدون فيه أنه إله حقيقي)

- فما أبعاد الهرم المنكسر ؟
- الهرم المنكسر عبارة عن قاعدة ضخمة عالية بنيت جوانبها بزاوية ٥٤.١٤ درجة وفوق هذه القاعدة بني القسم الثاني بزاوية قدرها ٤٣.٢١ درجة ونتج عن تغيير الزاوية ذلك الهرم المنكسر الأضلاع ، أما طول ضلع قاعدته المربعة فهو ١٨٨.٦ مترًا ، ويمتاز هذا الهرم عن جميع أهرام مصر بأن له مدخلين ، مدخل في الجهة الشمالية والآخر في الواجهة الغربية ، كما يمتاز أيضًا بأن الكساء الخارجي له لا يزال علي حالته الأولي ، وإلي الشمال من هذا الهرم علي بعد لا يقل عن ٢ كم نجد الهرم الثاني لسنفرو والذي يعتبر أول هرم حقيقي في تاريخ العمارة المصرية ويبلغ ارتفاعه حوالي ٩٩ متر وطول ضلع قاعدته حوالي ٢٢٠ مترًا ،
- وهل ترك سنفرو آثار أخري ؟
- ضمن آثار الملك سنفرو وجدت قائمة كاملة لأغلب الأقاليم المصرية في ذلك الوقت فيما تعتبر أول وثيقة لتقسيمات مصر الإدارية في عصر يرجع إلي أكثر من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، وإذا تكلمنا عن الملك سنفرو سنجد أن عصره امتلأ بحوادث كثيرة منها الحملة البحرية التي أرسلها إلي الموانى السورية وعادت هذه الحملة بحوالي أربعين سفينة محملة بالأخشاب التي تستخدم في البناء وتم قطعها من غابات لبنان ويبدو أن الملك سنفرو كان ملكًا جادًا لأن سليم حسن كتب عنه ما يلي بالحرف الواحد : وكانت مصر في عهد هذا الفرعون مملكة متحدة ثابتة الأركان) ، وعندما يتنقل في أرجاء قصره أو خارجه كان لزامًا علي رعيته أن يركعوا أمام جلالته ويقبلوا التراب الذي تحت قدميه علي حد تعبير سليم حسن وبعد وفاته كان القبر الذي يضم رفاته موضع تقديس وكانت حاشيته وعظماء البلاد في عهده تدفن حول قبره أو بالقرب منه حتي يقدموا له خدماتهم في الدار الآخرة بنفس الولاء والإخلاص
- يريد خدماتهم وإخلاصهم في الدنيا والآخرة ، فأين القصر الذي كان يعيش فيه ؟
- أما عن سبب عدم وجود آثار تخص بيوت وقصور الفراعنة فيقول سليم حسن (وقد كان للآلهة في هذا الزمن السحيق معابد من حجر علي حين أن الملك كان يسكن في مأوي بسيط من الطوب اللبن أو من طين النيل المجفف في الشمس ولم يكن لأحد الحق في أن يسكن في مساكن من الحجر إلا الموتى لأنهم كانوا يعدون كالآلهة) وهذه المعلومات بالطبع نقلًا عن موسوعة سليم حسن – مصر القديمة – الجزء الأول وكتاب هؤلاء حكموا مصر لحمدي عثمان
- وقبل أن تقولها أنت سأقول أنا : لقد مات سنفرو وماتت حاشيته ومات شعبه ومات أعداءه أيضًا

- **بكل تأكيد ، فأهم درس في التاريخ أن الدنيا لا تدوم لأحد ، والآن سنقرأ عن أشهر ملك في الأسرة الرابعة وصاحب أشهر بناء في التاريخ يُعد من عجائب الدنيا**

<u>الملك خوفو والهرم الأكبر</u>

- **الملك خوفو بالطبع**
- **بعد أن مات سنفرو جاء الملك خوفو للحكم وأيًا كان السبب الرئيسي لبناءه هذا الهرم العملاق وأيًا كانت ظروف حكمه إلا أن الهرم الموجود حاليًا باسمه يعتبر من عجائب الدنيا بالفعل فيكفي أن اذكر لك بعض الحقائق عن هذا الهرم لتعرف حجم العمل الذي تم فيه رغم أن فترة حكم خوفو لم تتجاوز العشرين عامًا مما يدل علي أن فن الإدارة وتنظيم الأعمال كان متقدمًا في عهده لإنجاز هذا العمل الضخم في توقيت قصير نسبيًا ،**
- **ألم يكن سبب بناء هذا الهرم توفير قبر ومثوي أبدي للملك ؟**
- **بالطبع كما فعل من قبله من الملوك ويعتقد بعض علماء الآثار أن من أسباب بناء هذا الهرم أيضًا أن الملك قرر تأمين شعبه ضد البطالة وخاصة في الفترات التي تتوقف فيها أعمال الزراعة ولذلك كان يتم العمل في الهرم في هذه الفترات فقط من السنة وهي فترات مرتبطة طبعا بتوقيتات حدوث فيضان النيل**
- **فما أبعاد هذا الهرم ؟**
- **يبلغ طول قاعدة الهرم ٢٢٧.٥ متر وارتفاعه حوالي ١٣٧ متر وعدد أحجاره تقريبًا مليونين وثلاثمائة ألف حجر ومتوسط وزن الحجر الواحد حوالي ٢.٥ طن يعني وزن الهرم بالكامل ستة ملايين طن تقريبًا وحجمه ٢.٥ مليون متر مكعب وبالرغم إن خوفو كان يريد أن يكون هذا الهرم المقر الأبدي لجثمانه إلا أن حلمه لم يتحقق وقد تم اقتحام حجرة الدفن في عهد الثورة التي كانت في نهاية الأسرة السادسة الفرعونية لأن حجرة الدفن الخاصة بالملك خوفو خالية تمامًا وعليها آثار تخريب واضحة من مخلفات الأسرة السادسة**
- **الأسرة السادسة ، سبحان الله ، لم يستمر تواجد الملك في حجرة دفنه بهذا الهرم العملاق إلا لمدة أسرتين فقط ؟**
- **نعم وسوف نتكلم عن الثورة التي حدثت في عصر الأسرة السادسة في حينها ويقول سليم حسن عن الملك خوفو (وربما يتوهم البعض أن بناء الهرم الأكبر قد شغل خوفو عن باقي أعمال ملكه ولكن الواقع أننا نجد له آثارًا باقية في مدن ملكه وقد ترك خوفو اسمه منقوشًا في مناجم النحاس والفيروز في شبه جزيرة سيناء) (والظاهر أن بعد وفاة خوفو قامت منازعات علي الملك إذ نجد في قوائم الملوك التي وصلت إلينا أن الملك الذي خلف خوفو هو ددف رع ولكن بعض العلماء ينكرون ذلك وقد استمر في الحكم مدة ثمانية أعوام) وهذه الصراعات استمرت حتي في عصر خفرع صاحب الهرم**

المعروف باسمه في الجيزة حيث أن خفرع لم تكن بيده مطلق الصلاحيات في الحكم أو بمعني أصح سلطاته كانت غير كاملة علي مصر بسبب هذه الصراعات مع أبناء ددف رع أخوه ومع كل هذه الصراعات استطاع بعزيمة فولاذية بناء هرمه الفخم بجوار هرم خوفو وقد أنجب خفرع ١٦ فرد من الذكور والإناث وفي الغالب أن الفرعون منقرع أحد هؤلاء وقد خلف أبوه في الحكم وبني هرمه الصغير بجوار هرم خوفو وهرم خفرع كما نعلم جميعًا

- يبدو أن منقرع كان ملكًا طيبًا
- تقريبًا فيقول عنه د سيد توفيق : (– –لم تستطع الآثار المصرية المعروفة لدينا الآن أن تعطينا الشئ الكثير عن حياة الملك منكاورع وإن تغلبت الذكري الطيبة عند الحديث عنه في العصور المتأخرة – – بعكس ما اتصف به والده خعفرع وجده خوفو من قوة واستبداد – – والاحتمال كبير في صدق هذه الرواية لسبب بسيط هو أن بناء مثل هذين الهرمين الكبيرين وما يتبعهما من معابد للملكين خوفو وخعفرع لا شك حمّلا الدولة ما لا تستطيع من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية – –
- فماذا عن هرم منقرع ؟
- يقع هرم منكاورع في الركن الجنوبي من الهضبة ويبلغ ارتفاعه الآن ٦٢ متر " كان ٦٦.٥ متر" وطول ضلع قاعدته ١٠٨.٥ متر – – وعلي الرغم من أن فترة حكم منكاورع قد تزيد عن ١٨ عامًا فإنه لم يستطيع أن يتم تشييد هرمه الصغير وما يتبعه من معابد فأكملها له ابنه شبسكاف – – ولم يقم شبسكاف بتشييد هرم له في الجيزة واتخذ منطقة سقارة جبانة له وقام في جنوبها بتشييد تابوت ضخم مستطيل (١٠٠×٧٥ متر وارتفاع ١٨ متر) بني من الحجر الرملي – – وهو المعروف الآن بمصطبة فرعون ويبدو أن نفوذ كهنة الشمس ازداد وازداد معه قوة وسيطرة الإله رع في هليوبوليس – – ومن أهم الأسباب التي سمحت لهم بتحقيق هذه السياسة أن ملوك الأسرة الرابعة بعد الملك خعفرع كانوا ملوكا ضعافًا فاستطاع هؤلاء الكهنة أن يفرضوا سيادتهم ويسقطوا الأسرة الرابعة – – وجعلوا بعد ذلك الإله رع إله الدولة وقللوا من أهمية الإله حورس الذي كان يهيمن علي مصر قبل ذلك كإله للدولة)
- ما رأيك في موضوع غلبة إله علي إله ؟ والعياذ بالله من هذا الكلام ، فإنني أشعر عند كلام عن آلهة الفراعنة أنني في حاجة إلي الكثير من الاستغفار مما يقال
- مسألة غلبة إله علي إله بالطبع كلام غير صحيح ولكن الموضوع له علاقة بالمصالح المرتبطة بالكهنة أنفسهم فكل معبد له ما يشبه الأوقاف من الأراضي وخلافه تدر مبالغ كبيرة لكهنة المعبد وكلما زادت أهمية أحد المعابد زاد بالتالي دخله ولتسهيل الموضوع يمكن إعطاء مثال أن كهنة كل معبد كانوا يديرون مشروعات تدر أرباحًا ضخمة كما لو كانت شركات وأسماء الآلهة عبارة عن أسماء لهذه الشركات (شركة رع – شركة حورس وهكذا) {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (٢٢) سورة الأنبياء

- أي أن الموضوع كله مرتبط بمصالح الكهنة ليس أكثر والمنافسة فيما بينهم ؟
- بالتأكيد ، ولكن دعنا نأخذ فكرة بسيطة وسريعة عن الأسرة الخامسة
- لا مانع

<u>الأسرة الخامسة ومتون الأهرام</u>

- الأسرة الخامسة مكونة من تسعة ملوك أولهم يسمي (أو سر كاف) وآخرهم الفرعون (أوناس) وهي أسرة من بناة الأهرامات ولكنها ليست علي نفس مستوي الأسرة الرابعة من الشهرة حاليًا (ويؤكد حجر بالرمو بأن ملوك الأسرة الخامسة تميزوا بإقامة المعابد الكثيرة ، أما هيرودوت فأوضح أن هذه الأسرة تميزت بنزعة دينية خالصة ، ويفضل الترتيب الآتي لملوك هذه الأسرة : وسر كاف – ساحورع – نفر إير كا رع – شبسكارع – نفر اف رع – ني وسر رع – من كاو حور – جد كا رع اسسي – ونيس) ،
- (ونعرف من المصادر التاريخية أن وسر كاف هو أول ملك شيد معبد لإله الشمس رع في منطقة أبو غراب " علي بعد ميل شمال أبو صير جنوب الجيزة) ، ثم (أتي ساحورع بعد الملك وسر كاف وقد حكم طبقا لما جاء في حجر بلرمو ١٤ سنة وإن كانت بردية تورين تعطيه ١٢ سنة فقط أما مانيتون فيذكر له ١٣ عاما – – اهتم بتزيين المعابد بالمناظر والنقوش ، التي نعرف منها نشاط الملك ساحورع الحربي فنعرف أنه قام بحملات ضد الليبيين الذين حاولوا غزو الدلتا وضد البدو في الشمال الشرقي ، ونعرف أيضًا أنه أرسل أسطولًا إلي شواطئ فينيقيا – –
- لماذا كان يريد الليبيون غزو الدلتا ؟
- إنه معروف بالاستعمار الاستيطاني ولم يكفوا عن هذه المحاولات كما سنري طوال التاريخ الفرعوني وقد كان ملوك الفراعنة يلقنوهم دروسًا كثيرة دون جدوي إلي أن نجحوا في النهاية عن طريق الهجرات السلمية التدريجية إلي البقاء في مصر بل ووصلوا للحكم كما سنري في عصر الاضمحلال الأخير للفراعنة ، المهم أنه أتي بعد ساحورع أخوه نفراير كارع المعروف بكاكاي ويشير حجر بلرمو الذي تم نقشه – أغلب الظن – في عهده أنه حكم فترة عشر سنوات ، ويعطيه المؤرخ مانيتون عشرين عامًا – – أصدر نفر اير كا رع مرسومًا بإعفاء رجال الدين وفلاحي المعابد من القيام بأعمال أخري تتصل بمشاريع الإصلاح في الدولة هذا المرسوم الذي ساعد علي تقوية الكهنة وزاد من نفوذهم وفي نفس الوقت بدأ يتقلص نفوذ الملك وأخذت سلطته تضعف وبالتالي أخذت سلطة الحكومة المركزية تضعف مما أدي فيما بعد إلي انهيار الدولة القديمة وبداية عصر الاضمحلال الأول
- أليس هذا هو الملك الذي وكز بعصاه ساق رع ور
- نعم ، ويبدو أنك قوي الملاحظة أيضًا
- بعض ما عندكم

- – أتي بعد الملك كاكاي الملك شبسكا رع وتلاه الملك نفر اف رع وكل ما نعرفه عن هذين الملكين خلاف اسميهما هو فترة حكمهما فقد حكم الأول ٧ سنوات والثاني ٤ سنوات – – بعد ذلك جاء إلي العرش الملك ني وسر رع الذي حكم فترة تقرب من ثلاثين سنة وقام ببناء هرمه ومعبده لإله الشمس رع في منطقة أبو صير) ، (الملك ونيس " أوناس " آخر ملوك الأسرة الخامسة حكم فترة ثلاثين عامًا وهو أول ملك نقش في حجرة دفنه نصوص اصطلح علي تسميتها بنصوص الأهرام – متون الأهرام – وهي التي كشف عنها –عالم الآثار الشهير – ماسبيرو عام ١٨٨٠ في هرمه المشيد في الركن الجنوبي الغربي لسور الهرم المدرج بسقارة وهي عبارة عن مجموعة تعاويذ وصلوات وطقوس دينية مختلفة تم اختيارها بواسطة الكهنة – ويصل ارتفاع هرم ونيس الآن ١٩ متر بعد أن كان في الأصل ٤٤ متر وطول قاعدته المربعة ٦٧ متر وهو مهدم إلي حد كبير – – وانتهت الأسرة الخامسة وإن لم تترك لنا أهرامات ضخمة مثل أهرامات الأسرة الرابعة إلا أنها تركت ثروة لغوية تمثلت في نصوص الأهرام هذا بجانب مناظر الحياة اليومية الممثلة علي جدران مقابر كبار رجال الدولة) والآن حان الوقت للكلام عن موضوع مثير في تاريخ مصر وهو الثورة التي حدثت في عهد الأسرة السادسة
- وعصر الاضمحلال الأول أليس كذلك ؟

ثورة الجياع في العصر الفرعوني

- نعم ، جاءت الأسرة السادسة وهي مكونة من خمسة ملوك وقد دامت هذه الأسرة لمدة حوالي قرنين من الزمان وهذه الأسرة من الأسر التي يكتنفها الغموض والتي لا يعلم عنها التاريخ إلا القليل لكن هناك ملك تكلم عنه سليم حسن بحماس شديد وهذا الملك اسمه الملك (بيبي الأول) ويقول عنه (وهو يعد بحق من أكبر الفراعنة الذين قبضوا علي ناصية الحال في مصر في كل عصور تاريخها بحزم ونشاط) وقد عثر العلماء علي تمثال لهذا الملك آية في دقة الصنع من النحاس ويعد من أعظم الكنوز التي تم العثور عليها وعلي فكرة هذا الملك كان محبوب من شعبه لكن للاسف علي ما يبدو لم يكن يعيش حياة أسرية سعيدة لدرجة أنه أمر بمحاكمة زوجته في بعض النقوش التي وردت من آثار عصره القليلة الباقية ولم يعلم العلماء السبب الحقيقي وراء هذه المحاكمة لعدم وجود تفاصيلها في النقوش وكان لهذا الملك هرم في سقارة يمتاز في إخفاء حجرة الدفن والعناية بوضع العقبات في طريق الوصول إليها
- ولكن ما الداعي لإخفاء حجرة الدفن ؟
- علي ما يبدو لقد مرت عملية الدفن بعدة مراحل ، كان أولها بالطبع المصاطب والأهرامات الواضحة للجميع علي اعتبار أنه لا يوجد أي خوف أو قلق من اقتحامها وتحدي سلطة الدولة والفرعون المؤله ، ولكن بعد أن زادت الاضطرابات والسرقة والجرأة علي المقدسات ، قرر الملوك أن يأمروا المهندسين

بعمل حيل كثيرة وألغاز هندسية وعقبات حتي لا يستطيع أحد أن يصل إلي حجرة الدفن ، وكانت هذه المرحلة الثانية ، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فقد كانت إخفاء المقبرة بالكامل عن الأعين كما حدث في وادي الملوك ، والاكتفاء بتشييد المعابد فقط في أماكن واضحة للجميع

- بالنسبة للملك بيبي الأول كان في المرحلة الثانية بالطبع
- نعم ولكن رغم هذه التحفظات التي بُذِلت في هذا السبيل كما يقول سليم حسن فإن اللصوص استطاعوا الوصول إلي تابوت الملك المصنوع من حجر البازلت وهشموه ومزقوا جثة هذا الفرعون ومن المحتمل أن هذا التخريب البالغ قد حدث في نهاية هذه الأسرة في الفترة التي كانت الثورة متأججة في البلاد وجدير بالذكر أن بيبي الأول قام بحملة إلي فلسطين يصاحبها الأسطول وتعتبر هذه الحملة الأولي من نوعها في التاريخ حيث صاحب الحملة البرية أسطول بحري يحميها وكان سبب هذه الحملة منع هجرة الأسيويين إلي مصر بعد تجمعهم بشكل ملحوظ في فلسطين استعدادًا للهجرة إلي مصر
- لهذا الحد مصر كانت مطمع للاستعمار الاستيطاني من الشرق والغرب ؟
- بالتأكيد لهذا فقد قرر بيبي الأول إحباط المحاولة من بدايتها أما الملك الذي جاء بعده وهو ابنه الكبير (مرن رع) فقد تم العثور علي مومياؤه سليمة سنة ١٨٨٠م داخل هرمه وتعتبر أقدم جثة تم العثور عليها بقيت إلي وقتنا هذا وطبعا تم العثور عليها بدون كنوز لأن القبر تم نهبه وتلاحظ عند العثور علي هذه الجثة أن الملك مات صبيًا صغيرًا وجاء بعده الملك بيبي الثاني أخوه وكان عهده يتميز بإرسال العديد من البعثات خارج مصر وخاصة إلي بلاد الصومال بالاستعانة بالأقزام وفي عهده قامت الثورة
- وما الأسباب التي أدت لهذه الثورة ؟
- لقد حكم هذا الملك أطول فترة ممكنة في التاريخ الفرعوني وربما في تاريخ العالم – – واستمر يحكم ٩٤ سنة وهي رواية ليس من سبيل إلي تأكيدها أو نقضها ، فلقد احتفل بالعيد الثلاثيني مرتين علي الأقل – وطال الحكم بالملك بيبي الثاني الذي استبدت به شيخوخته ثم بدأ يتبدل حال الحكومة المركزية فدب فيها الضعف وقلت هيبتها وفي نفس الوقت زاد سلطان حكام الأقاليم وزادت ثروتهم وقل ولاءهم لصاحب العرش – – واشتدت المظالم مما أدي إلي القيام بثورة ، ثورة علي كل شئ ، ثورة علي الظلم وعلي الحكم وحتي علي الآلهة – – ولقد تولي الحكم بعد بيبي الثاني ملك وملكة الأول يدعي "مرن رع" وحكم سنة واحدة والثانية الملكة "تيت أقرت " أو "تيتوكريس" التي حكمت فترة تقرب من سنتين ثم بعدها سادت الفوضي البلاد وانتهت أيام الأسرة السادسة وبانتهائها انتهت الدولة القديمة
- كيف كانت ثورة علي الآلهة ؟

- **المقصود هنا ثورة علي الديانة الفرعونية نفسها ، لأن المصري في ذلك الوقت كان يشعر بالجوع والظلم دون أن ينتظر حياة سعيدة في الآخرة لعدم إمكانية بناء قبر يضمن له حياة سعيدة في الآخرة كما ذكرنا ، فأصبح مع إهمال شأنه يشعر بضياع الدنيا والآخرة معًا فثار علي كل شئ**
- **وماذا كانت مظاهر هذه الثورة ؟**
- **لقد قرر الثوار أن يفسدوا علي أصحاب القبور آخرتهم فاقتحموا جميع المقابر ونبشوها ونهبوا محتوياتها وسرقوا كل ما وجدوه**
- **وهل تم التأريخ لهذه الثورة ؟**
- **نعم وأريد أن أضع بين يديك وصف لعصر الاضمحلال كتبه أحد المصريين القدماء في مقطوعة أدبية رائعة تصف الثورة التي حدثت بعد ضعف السلطة المركزية بعد عهد الملك بيبي الثاني (من ٢١٨١ إلي ٢٠٤٠ ق م وهي تمثل الفترة التي تفصل بين نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة والوسطي – – ولقد استمرت ما يقرب من قرن ونصف وتشمل الأسرات من السابعة حتي نهاية العاشرة – – لقد سقطت مصر في هوة عميقة من الاضمحلال بعد موت الملك بيبي الثاني ، فانهار صرح الملكية وتدهورت سلطة البلاد المركزية وبدأ الشعب يفكر في الثورة ليتحرر من قيوده فكانت الثورة ، ثورة علي قدسية الملوك وقدسية الآلهة – – وازدهر الأدب التهذيبي في ظل هذه الثورة ويصف لنا الحكيم المصري "أيب ور" الذي يحتمل أنه عاش في أواخر عهد الملك بيبي الثاني أو أحد خلفائه الضعاف ، البلاد وصفًا ممتعًا علي الرغم مما فيه من قسوة "من وجهة نظره " فيعدد صور البؤس ويؤنب الملك الحاكم علي استهتاره وضعفه بقوله " ما هذا الذي يحدث في مصر ؟ إن النيل لا يزال يأتي بفيضانه وليس هناك من يقوم بحرث حقله ، لماذا حقًا أصبح الفقراء يمتلكون الكنوز ؟ ، إن من كان لا يملك نعلًا أصبح الآن من الأثرياء – – لماذا حقًا عم الحزن الأشراف ؟ بينما ساد الفرح والسرور الفقراء – – أنظر كيف أصبحت نساء الأشراف متسولات ، ومن لم يمتلك خرقة ينام عليها أصبح اليوم وهو صاحب سرير ، ومن كان يفتقد الرغيف أصبح الآن يمتلك مخزنًا من الغلال ، انظروا : إن من كان لا يمتلك ثورًا أصبح الآن من أصحاب القطعان ") تأمل بنفسك هذه المقطوعة مرة أخري لتكتشف الكثير لأن ما يأسف عليه هذا الأديب كان يحدث عكسه تمامًا قبل الاضمحلال ،**
- **لا أدري لماذا هو حزين كل هذا الحزن علي أن الفقراء أصبحوا أغنياء**
- **لقد لاحظت معي عند تأمل ما كتبه الحكيم المصري أنه مستاء لأن الفقراء وعامة الشعب أصبحوا أغنياء ومعهم أموال كثيرة وأن الملك وحاشيته وكبار رجال الدولة يعيشون حياة سيئة ومن هنا يتضح أن الطبقة العليا في الدولة هي الجديرة بالحياة الكريمة بل وبالدفن الكريم أيضًا إذا جاز التعبير أما عامة الشعب فيري المؤرخ المصري القديم أنه من البؤس علي حد تعبيره أن يراه يتنعم بالحياة وهذا شئ محير جدًا**

- لاحظ أيضا أن هذا الحكيم وأمثاله هم أحد أهم مصادر التاريخ الفرعوني وبالتالي من الممكن أن يكونوا قد حذفوا فترات التوحيد وظهور الأنبياء وغياب ألوهية الفرعون وفقدانه السيطرة علي أنحاء مملكته واعتبروها فترات مظلمة من وجهة نظرهم بالطبع وربما والله أعلم تكون هذه الفترات هي ومضات النور القليلة التي عرفت فيها مصر دين الله سبحانه وتعالي ثم تعود وتترك عبادة الخالق وتعبد المخلوق {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي } (٣٨) سورة القصص
- بقي أن نتحدث عن قصة القروي الفصيح الشهيرة والتي تعبر أيضًا عن فترة الاضمحلال
- وما هي قصة القروي الفصيح

<u>قصة القروي الفصيح</u>

- عندما كتب المظلوم شكواه بأسلوب رائع فلم يتم الاستجابة لها حتي يتم الاستمتاع بالمزيد من الشكاوي الرائعة فهي قصة طريفة من العصر الفرعوني وقد كتب أحداثها أديب من العصر الأهناسي ويسمي هذا العصر بالعصر الإهناسي نسبة إلي مدينة إهناسيا حيث كانت مكان عاصمة الدولة في ذلك العصر بدلا من منف وطيبة وغيرهم ، والقصة في حد ذاتها بسيطة في وقائعها إلا أنها تمتاز ببلاغة الأسلوب ويبدو أن الهدف ليس القصة نفسها بل الشكاوى التسعة التي ناقش فيها القروي النظم الاجتماعية والفوارق بين الطبقات كما طالب بمحو الظلم وإعطاء كل ذي حق حقه وحماية الفقير من الحاكم الغني الظالم ، وتعود أحداثها إلي عصر الملك نب-كاو-رع أحد ملوك أهناسيا في الأسرة العاشرة الفرعونية
- لقد شوقتني لسماع أحداث هذه القصة
- تتلخص مقدمة هذه القصة في أن قرويًا يدعي خون أنبو ، أحس أن مخازن الغلال في منزله كادت تفرغ مما فيها ، فاستأذن زوجته في السفر إلي العاصمة أهناسيا للحصول علي المزيد من الطعام والغلة التي تكفي أولاده وطلب منها أن تعد له ما يكفيه من زاد الطريق وخرج هذا القروي من قريته حقل الملح بالقرب من وادي النطرون يحمل علي حميره بعض السلع التي اشتهرت بها قريته وكان عليه أن يخترق في طريقه إلي العاصمة ضيعة رنسي مرو مدير القصر الفرعوني ، وكان أحد عماله ويدعي جحوتي نخت طماعًا فلما رأي حمير خون أنبو بمنظرها الخلاب وما عليها من سلع ثمينة متنوعة طمع فيها ، ففكر في حيلة للاستيلاء عليها بطريقة تخدع القروي ويستسلم لها ، وقد أمر خادمه بأن يسرع بإحضار بعض قطع من قماش الكتان وأسرع فمدها علي الطريق الضيق بين ماء الترعة وحقل القمح ، فاحتار القروي إين يتجه فلم يكن أمامه إلا أن يميل بحميره فيسير علي الجانب الذي به القمح فصاح فيه جحوتي نخت وبالطبع فقد انتهز الحمار الفرصة التي انشغل فيها صاحبه بالكلام وملأ فمه بحزمة من القمح وحينئذ كشف جحوتي نخت عن مؤامرته الدنيئة للاستيلاء علي حمير القروي بحجة أنه أكل قمحه

- **واستولي عليه بالفعل ؟**
- **نعم هكذا تقول القصة ثم اتجه القروي إلي الجنوب ليلتقي رئيس الحجاب رنسي مرو بعد أن ظل عشرة أيام كاملة يتوسل إلي جحوتي نخت ليعيد إليه حقه ، وقد استمع كبير الحجاب إلي الشكوي وسرعان ما نقلها إلي جلالة الملك نب كاو رع فسارع الملك بدوره نتيجة إعجابه ببلاغة هذا القروي بإصدار توجيهاته إلي كبير الحجاب بأن يلزم الصمت حتي يستمر القروي في شكواه حتي يمكن للملك الاستمتاع ببلاغة القروي وفصاحته في التعبير**
- **وهل يغني الإعجاب بالفصاحة عن الطعام ؟**
- **لقد أصدر الملك توجيهاته في ذات الوقت بأن يتولي رنسي تدبير حياة أسرة القروي بإرسال المعونات الغذائية إليهم دون أن يعلم القروي شيئًا عن ذلك ، وفي نهاية القصة اقتص الملك من الظالم بأن أخذ كل ما كان يملكه وأعطاه لذلك القروي الفصيح ولم يكتف بأن رد إليه ما سرق منه وهذا يعني أنه قد عوضه عما أصابه من ألم**
- **فماذا كان يقول القروي في شكواه ؟**
- **يقول القروي مخاطبًا رنسي ليحثه علي العدل في شكواه الأولي :إذا نزلت إلي بحيرة العدالة من المؤكد أنك ستبحر فيها مع ريح مواتية ، ولن يقتلع شراعك ، ولن تتقدم سفينتك ببطء ، ولن يصيب ساريتك الضرر ، ولن تنكسر عوارض السواري ، ولن تجرفك المياه ولن تعاني من مشاق النهر ولن تشاهد وجوهًا مرعبة ، بيد أن الأسماك ستتجه إليك وقد فزعت بسرعة وسوف تصطاد الطيور السمينة لأنك أب لليتيم وزوج للأرملة وأخ للمطلقة ، ومئزر لمن فقد أمه ، أيها الخالي من كل حسد ، الرجل العظيم المجرد من الشراسة ، الذي يقضي علي الكذب ويوقظ الحقيقة تعال علي صوت من يتحدث إليه وأجهز علي الشر ، أقم العدالة أيها الرجل الممدوح الذي يمتدحه الذين يمدحون ، اطرد ضيقي ، لاحظ أنني أرزح تحت وطأة حزني ، لقد وهنت بسببه**
- **أسلوب بليغ بالفعل**
- **لقد اختصرت لك القصة من كتاب الخطاب السياسي في مصر القديمة للدكتور مصطفي النشار –أستاذ الفلسفة القديمة**
- **حسنًا فهل هناك ما يستحق أن يُذكر أيضًا من عصر الأضمحلال الأول ؟**
- **نعم هناك نصائح مشهورة من ذلك العصر تسمي نصائح الملك خيتي الرابع لابنه وسوف أقرأها لك من كتاب هؤلاء حكموا مصر – من مينا إلي مبارك – إعداد حمدي عثمان – والمراجعة العلمية د ناصر الأنصاري**
- **وكيف وصل الملك خيتي الرابع للحكم في ظل كل هذه الفوضي والاضمحلال ؟**

نصائح الملك خيتي الرابع لابنه

- **كان الملك خيتي الأول من أبرز من حكموا مصر في فترة الاضطرابات وتعدد الأسر الفرعونية وتعدد الحكام (خلال عصر الاضمحلال الأول) فقد استطاع الأمير خيتي حاكم الإقليم العشرين من أقاليم الصعيد في ظل الاضطرابات التي سادت الفترة الانتقالية الأولي من نهاية الأسرة السادسة حتي قيام الأسرة الحادية عشرة ، استطاع أن يؤسس الأسرة التاسعة الفرعونية حوالي سنة ٢١٣٤ قبل الميلاد ، ويتخذ من عاصمة إقليمه وهي مدينة أهناسيا عند مدخل الفيوم عاصمة لمصر ، ولقبه الأثريون باسم الملك خيتي الأول ، ويسمي هذا العصر بالعصر الإهناسي ، أما الملك خيتي الرابع (واح كا رع) فقد جلس علي عرش أهناسيا خلال الأسرة العاشرة ، وكان ملك حازم ، ومشهور بوصيته لابنه (مري كا رع) تلك الوصية التي تلقي الضوء علي ذلك العصر ، والتي يعطي فيها خلاصة تجاربه لابنه حتي لا يقع فيما وقع فيه هو من أخطاء ويبدأ هذه النصائح بتحذير ابنه من أي تابع له يكثر من الكلام وراءه أتباع كثيرون فإن هذا الشخص يسبب الانقسام بين الناس ، ويوصيه بأن يكون فنانًا في الحديث ، وينصحه بأن ينهج سبيل آبائه وأجداده وأن يكثر من قراءة ما خلفوه من كتب الحكمة ، وألا يفعل الشر وأن يتحلي بالصبر ويترك وراءه ذكري حسنة من حب الناس له ، ويحذر ابنه من الطمع ، وينصحه بأن يعتني بتثبيت حدوده وأن يعلي من شأن رجاله ويقويهم ، وينصحه باتباع الحق وإقامة العدل ، ويحذره من ظلم الأرملة ، ويوصيه بألا يحرم شخصًا من ثروة أبيه ، وألا يطرد الموظفين من وظائفهم وألا يعاقب أحدًا دون خطأ وينصح ابنه بالعناية بهم وتقريبهم منه وأن يمنحهم الحقوق ، ويكافئهم بإعطائهم بعض الماشية ، ويحذره بشده أن يميز ابن شخص غني علي ابن شخص فقير ، بل يجب أن يقدر كل إنسان حسب كفاءته الشخصية ، ويوصيه بالإكثار من إقامة المنشآت الدينية وتقديم القرابين - - - ، ويختم نصائحه بحث ابنه علي طاعة الإله والخوف منه ، - - ويذكره بألا ينسي آخرته وأن يعمل لليوم الآخر وأن يذكر دائمًا نعم الإله عليه**
- **إنها نصائح قيمة جدًا بلا شك**
- **تلك كانت نصائح ثالث ملوك الأسرة العاشرة الفرعونية إلي رابع ملوك تلك الأسرة**
- **ولكن كيف انتهي عصر الاضمحلال الأول وبدأ عصر الدولة الوسطي ؟**
- **تعتقد في رأيك ما المتغير الذي يجب أن يحدث في مثل هذه الأحوال لتتغير ؟**
- **تقصد ظهور شخصية بارزة علي مسرح الأحداث ؟**
- **بالتأكيد ، فالأوضاع قد وصلت لمرحلة تحتاج لشخص من وزن مينا وزوسر وسنفرو**
- **ومن يكون هذا الشخص الذي بدأ عصر الدولة الوسطي وانتهي عصر الاضمحلال الأول عند ظهوره ؟**
- **إنه منتوحتب الثاني ولكنها قصة تستحق أن تروي ، ولكن قل لي بماذا كنت ستشعر إذا كنت قد ولدت وعشت في عصر الاضمحلال الأول ؟**

- **كنت علي الأرجح سأموت قبل أن أعرف ما حدث**
- **هذه إجابة رائعة**
- **لقد عرفت أنها ستروقك ، المهم ، هات ما عندك مشكورًا من البداية**

منتوحتب الثاني وبداية الدولة الوسطي

- **القصة بدأت بظهور عائلة محترمة في طيبة وقد ذكرنا أن عصر الاضمحلال الأول من الأسرة السابعة إلي العاشرة وكانت الأسرتين السابعة والثامنة تحكمان مصر من (منف) أما التاسعة والعاشرة فمن (إهناسيا) وكلاهما في الوجه البحري في شمال مصر وكانت طبعًا الأقاليم والمقاطعات شبه مستقلة عن الحكومة المركزية ، ووسط كل هذه الظروف وأثناءها ظهرت عائلة محترمة في الجنوب وتحديدًا في مدينة طيبة التي يقال عنها أنها مدينة الأقصر الحالية وكان عميد هذه العائلة رجل قوي وكان حاكم لهذه المنطقة وكان اسمه (إنيو تف) وظل هذا الرجل وكل من جاء بعده في هذه العائلة علي خلاف واضح مع ملوك الأسرة العاشرة في إهناسيا بل وقد وقعت بعض الحروب بين الطرفين وقد تم توسيع نطاق حكم هذه العائلة الحاكمة حتي شمل خمسة أقاليم في جنوب مصر وكان هذا في عهد (إنيوتف الثاني) الذي حكم طيبة لمدة خمسين عامًا كما يقول أحمد فخري ثم تلاه في هذه العائلة إنيوتف الثالث ثم (منتو حوتب الأول) ثم (منتو حوتب الثاني) وهنا يتوقف التاريخ ويغير مجراه فقد جاء قائد من مؤسسي الدول ومن الشخصيات الفذة البارزة وهو منتو حوتب الثاني الذي لم يحكم الجنوب فحسب مثل سابقيه وجدوده ولكنه استطاع الإطاحة بملوك الشمال الضعفاء في إهناسيا ليصبح مؤسس الأسرة الحادية عشرة بل مؤسس الدولة الوسطي بالكامل ، وإذا اعتبرنا أن مينا مؤسس الدولة القديمة فإن منتو حوتب الثاني هو مؤسس الدولة الوسطي وكان ذلك حوالي سنة ٢٠٥٢ ق م**
- **مينا قد وحد القطرين أما منتوحتب الثاني فقد وحد جميع مقاطعات مصر المفككة**
- **بالتأكيد ، ويقول عنه أحمد فخري في كتابه الرائع مصر الفرعونية (ولهذا يري بعض المؤرخين اعتبار من سبقه من ملوك هذه الأسرة والتسعة أعوام الأولي من حكمه وقتًا معاصرًا للأسرة العاشرة وأن الأسرة الحادية عشرة تبدأ من هذا التاريخ فقط ، لكن الإنصاف في البحث يحتم علينا اعتبار أيام الأسرة الحادية عشرة منذ عهد إنيوتف الأكبر أي قبل ذلك باثنين وثمانين عامًا) ويتضح من كلام الأستاذ أحمد فخري أن الأسرة الحادية عشرة الفرعونية كانت علي التوازي مع الأسرة العاشرة ولكن إحداهما في الجنوب والأخري في الشمال ، وهكذا عادت الحكومة المركزية القوية وسيطرت وأعادت كل شئ إلي أصله وعاد الفن والبناء والمعمار وعادت الأمجاد الفرعونية ومكتوب في موسوعة د ناصر الأنصاري (حكام مصر) إن بداية الأسرة الحادية عشرة سنة ٢٠٦٠ ق م واعتبر أن إنيوتف الكبير الأول هو أول ملك في هذه الأسرة واسمه في الموسوعة (انتف الأول) أو (سهرتاوي) أما منتوحتب الثاني فقد**

ذكره علي أنه الملك الخامس في هذه الأسرة المكونة من ثمانية ملوك وآخرهم الملك منتوحتب الخامس وعلي العموم هذه الأسرة كانت تمهيدًا للأسرة الثانية عشرة وهيئت لها الجو للاستقرار والبناء ،

- وهل شعر الشعب بالرخاء في ذلك العصر ؟
- لقد شعر الشعب بالأمان والاستقرار وهو أهم ما يعنيه في هرم الحاجات الذي ذكرناه
- ولا يوفر الأمن والاستقرار والعدل إلا الحكام الأقوياء بالطبع
- لقد قال أحمد فخري (وما من شك في أن أكثر ملوك الدولة الوسطي لم يكونوا عتاة أو متجبرين في الأرض بل نعرف عن أكثرهم أنهم كانوا فخورين بعدلهم بين الناس وسهرهم علي رعايتهم ولهذا سرعان ما أطمأن الناس إلي حكامهم وتركوا أمر سعادتهم بين أيديهم)
- يبدو أن المصري دائمًا يترك أمر سعادته بين أيدي حكامه
- وقد تم العثور علي بعض الرسائل المكتوبة علي أوراق البردي تنتمي إلي عصر الأسرة الحادية عشرة وتحتوي عند تأملها علي معلومات كثيرة عن هذا العصر وهي من الآثار المشهورة بين المهتمين بتاريخ الفراعنة ومعروفة باسم رسائل الكاهن الماكر
- وعلي ماذا كانت تحتوي هذه الرسائل ؟

<u>رسائل الكاهن الماكر</u>

- ضيفنا الآن في الحوار هو (الكاهن المزارع "حقا نخت " وهو شيخ شحيح ماكر اضطر إلي السفر إلي الشمال وترك بقية عائلته في طيبة تحت رعاية ابنه الأكبر الذي كتب له عدة رسائل "تم العثور عليها " تعطينا صورة طريفة من صور المجتمع في هذه الفترة) ، وهذه مقتفطات قليلة جدا من رسائله بدون تعليق : (كيف حالكم في معيشتكم ورفاهيتكم وصحتكم – – إنكم أشبه بمن يأكل حتي يشبع ويغمض عينيه بينما يموت الناس جوعًا في البلاد كلها ، لقد نزلت إلي الجنوب وحصلت علي مؤونة لكم بقدر ما استطعت ، أليس النيل منخفضًا جدًا ؟ حسنا فقد جاءنا المحصول متناسب مع ذلك – – فإنكم ترون أنني تمكنت من إعالتكم حتي اليوم – – إن نصف الحياة خير من الموت الكامل – لا يوجد أحد في أي مكان يحصل علي مثل هذه المؤن – – احرثوا الأرض ولا تكفوا عن العمل – ما أسعدكم لأني أعولكم – –)
- يبدو أنه لا يخلو عصر من وجود البخلاء ، ولكن كيف انتهي عصر الأسرة الحادية عشرة وبدأ عصر الأسرة الثانية عشرة ؟
- عندما تُذكر الأسرة الثانية عشرة يُذكر مؤسسها بالطبع الملك امنمحات الأول ، فلقد ساد عدم الاستقرار نهاية عصر الأسرة الحادية عشرة لمدة حوالي سبع سنوات بعد أنتهاء عصر الملك منتوحتب الثالث الذي كان آخر الملوك الأقوياء في هذه الأسرة ويبدو أن امنمحات الأول قد استغل ذلك لتأسيس أسرته

- **وكيف اكتسب شرعيته في الحكم وهو ليس من البيت المالك**
- **هذا الموضوع كان متيسرًا أيام الفراعنة ويتلخص في اختراع نبوءة ينسبونها للآلهة تبشر بتولي شخص معين حكم مصر أي أن تعيينه بإرادة الآلهة وسنري ذلك أكثر من مرة أثناء حديثنا عن العصر الفرعوني وجدير بالذكر أن أشهر نبوءة في تاريخ الفراعنة هي المكتوبة علي لوحة تسمي لوحة الحلم بين مخالب أبو الهول وموجودة حتي الآن وسوف أحدثك عنها عند الوصول إليها أما ما حدث بالنسبة لبداية الاسرة الثانية عشرة فقد قام آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة علي ما يبدو بتكليف وزيره (إمنمحات) بإحضار الأحجار اللازمة لتشييد المعابد وعمل التابوت الخاص به فقام امنمحات هذا بإعداد حملة كبيرة جدًا إلي وادي الحمامات لقطع الأحجار وأخذ معه ما يقرب من عشرة آلاف شخص وطبعًا هذا العدد كان مبالغ فيه جدًا ولا يتناسب مع طبيعة المهمة لأنه كان قد قرر إنهاء حالة الفوضي والإنقلاب علي الملك وتأسيس أسرة حاكمة جديدة باستخدام هذه القوة الكبيرة التي أصبحت تحت قيادته**
- **علي أي حال يبدو أن امنمحات لم يكن شخصية عادية أليس كذلك ؟**

<u>الملك امنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة الفرعونية</u>

- **بالتأكيد فقد قال عنه أحمد فخري : لم يكن امنمحات إلا رجلا عصاميا من الشعب رفعه ذكاءه وجده إلي المكان الذي يستحقه – – وكان من بين أساليب رده علي خصومه كتابة البردية المعروفة باسم تنبوءات نفرتي المحفوظة الآن في متحف لينجراد والتي أطنبت في وصف ما سيحل بمصر من فوضي وأن إنقاذها سيتم علي يدي ملك سيأتي من الجنوب يسمي أميني " امنمحات" ابن امرأة من النوبة ويولد في الصعيد سيهزم الأسيويون أمام مذابحه ويقع الليبيون صرعي أمام لهيبه – – ولم يكن المقصود من كتابة تلك البردية إلا الترويج بين الشعب لهذا الحاكم الجديد ومحاولة إقناع الناس بأن اختياره لإنقاذ مصر أمر أرادته الآلهة منذ أبعد الأزمنة – – وطالت الأيام بأمنمحات حتي وصل حكمه إلي ثلاثين عاما ولم يقدر له أن يموت وهو في شيخوخته ميتة هادئة بل مات غيلة وهو في قصره ، إذ انتهز أعداؤه فرصة غياب ابنه وولي عهده وشريكه في الملك سنوسرت ، في حملة علي ليبيا ودبروا مقتله – ونعرف بعض التفاصيل عن تلك النهاية من برديتين إحداهما من بردية شخص يسمي سنوهي ، أما البردية الثانية فهي معروفة باسم نصائح امنمحات لابنه وقد كتبت دون شك بعد موت الملك وكأنها علي لسانه من العالم الآخر يتحدث فيها إلي ابنه ويوصيه كيف يسوس الملك – – وكانت من أحب الموضوعات الأدبية إلي قلوب المصريين في الدولة الحديثة من الأسرة ١٨ حتي الأسرة ٢٠ وكانت موضع دراسة كثير من العلماء**
- **هذا يعني أن الفراعنة كانوا يهتمون بدراسة تاريخهم وما حدث في الأسر السابقة**

- بالتأكيد (وتمتاز الأسرة الثانية عشرة بما أنتجه صانعوا الحلي وبخاصة لأميرات البيت المالك إذ جمعت تلك الحلي بين الدقة المتناهية في الصناعة والذوق الفني الرفيع) كما يمتاز هذا العصر بنشاط دبلوماسي كبير وعلاقات واسعة مع دول الجوار ، كما اهتمت هذه الأسرة بالجنوب وقامت بتعيين حاكم مصري جنوب الشلال الثالث وأقامت حصنًا ومخزنًا كبيرًا للتجار هناك كما أقامت هذه الأسرة مشاريع للري واهتمت بالزراعة وبنهر النيل اهتمام خاص كما ازدهر في عهد هذه الأسرة الأدب والفن
- يبدو أن هذه الأسرة كانت مسيطرة تمامًا ولها العديد من الإنجازات
- نعم وسوف أقرأ لك بعض إنجازات هذه الأسرة لأنها تستحق بالفعل ويقول الرافعي عن هذه الأسرة في كتابه تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة : وتمتاز هذه الأسرة عامةً بأنها نزلت قليلًا عن السلطة القدسية التي كانت لملوك الدولة القديمة ، وتقربت إلي الشعب بإقامتها منار العدل ، وبالعديد من الإصلاحات والأعمال الإقتصادية والعمرانية التي زادت من رخاء الشعب ، وقد استمر حكم هذه الأسرة ما يقرب من مائتي عام ، تقدمت البلاد تقدمًا عظيمًا في شتي النواحي ، وكانت مصر في عهدها أقوي دولة في المنطقة ، وكان الملك سنوسرت الأول ثاني ملوك هذه الأسرة ، وقد أقام مسلة شهيرة باقية إلي الآن (بالمطرية) ويبلغ ارتفاعها ٦٦ قدمًا ، وهي قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر ، وقد أقامها في مدخل المعبد والمدرسة الجامعة اللذين بناهما في عين شمس (التي يسميها اليونانيون هليوبوليس) – مدينة أون – وهي أقدم مسلة قائمة في مكانها الأصلي ، ويقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه (موكب الشمس ج٢ صفحة ١٣٠) إن مسلة عين شمس إحدي خمس مسلات مازالت في مكانها الأصلي وأما باقي مسلات الفراعنة فقد نقلها الضعف والهوي السياسي إلي ما وراء البحار إلي لندن وباريس ونيويورك وروما واستانبول وفي روما وحدها مسلات تسع
- الضعف والهوي السياسي ، يا له من تعبير ، وتخيل معي إذا كان الفراعنة سيعرفون إلي أين ستذهب آثاراهم هل كانوا سيشيدونها ؟
- بل تخيل إذا عاد أحدهم إلي قبره كما يدعون في يوم من الأيام
- سيجد جميع محتويات القبر في جميع متاحف العالم بالتأكيد ، المهم فماذا عن باقي مشروعات هذه الأسرة ؟
- من أهم المشروعات العملاقة لهذه الأسرة بلا شك مشروعات الملك امنمحات الثالث التي انبهر بها المؤرخ هيرودوت المعروف عندما حضر إلي مصر وكتب عنها وبمناسبة الحديث عن امنمحات الثالث فإنه توجد حاليا بمتحف اللوفر بفرنسا رأس تمثال رائعة لهذا الملك
- هيرودوت هذا هو الذي قال قولته الشهيرة أن مصر هبة النيل فماذا قال عن هذه المشروعات

عندما انبهر المؤرخ اليوناني هيرودوت بمشروعات الملك امنمحات الثالث

- **ورد بالجزء الأول من موسوعة تاريخ مصر للأستاذ أحمد حسين صفحة ٨٠ وما بعدها وتحت عنوان امنمحات الثالث حوالي ١٨٤٢ قبل الميلاد : حكم امنمحات الثالث مصر وقد سمي باسم ني ماعت رع ويعتبره المؤرخون من أعظم من حكموا مصر ، ودام حكمه خمسًا وأربعين سنة مرت علي مصر في هدوء وسلام وملئت بالمشاريع الكبري العمرانية ، كان أعظمها بطبيعة الحال نظام الري الذي ابتكره للوجه البحري بأن اتخذ من منخفض اقليم الفيوم الذي ينخفض في بعض أجزائه عن البحر بـ ١٢٩ قدمًا خزانًا للماء حيث لا تزال بحيرة قارون آية علي ذلك فشيدوا علي الفتحة في سلسلة الجبال التي تربط وادي النيل بمنخفض الفيوم سدًا عظيمًا – سد اللاهون– فنشأت هذه البحيرة الهائلة في التاريخ التي عرفت باسم بحيرة موريس والتي كانت تمد النيل بعد ذلك بالماء خلال فترة التحاريق أشبه بخزان أسوان أو السد العالي في عصرنا الحديث ، وبهذا ضرب عدة عصافير بحجر واحد ، فهو أنقذ الفيوم من الغرق الذي كانت تتعرض له كل عام ، واستصلح أراضي زراعية قام باستغلالها بالفعل ومد النيل بالماء أيام التحاريق ، ومن الأعمال العمرانية العظيمة التي تنسب إلي امنمحات الثالث ، القصر العظيم الذي اطلق عليه اليونانيون اسم قصر اللابيرانت – قصر التيه – وكان طوله يبلغ ألف قدم وعرضه ثمانمائة وقد استعمل معهدًا دينيًا وإداريًا ، وقد وصف هيرودوت هذين الأثرين ونعني بهما بحيرة موريس وقصر اللابيرانت ، فقد رآهما رأي العيان ووصف ما رأي عامة وسجل انبهاره كما ورد في كتاب هيرودوت يتحدث عن مصر لمحمد صقر خفاجة**
- **فماذا قال هيرودوت ؟**
- **يقول : إن اللابيرانت عمل يعجز عن وصفه البيان ، إذ لو قدر لإمرئ أن يجمع معرضًا للمباني والآثار الفنية التي شيدها اليونانيون لبدت عملًا أقل من هذه اللابيرانت – – – – ثم ينتقل هيرودوت للتحدث عن بحيرة موريس فيقول : ومع أن اللابيرانت علي هذه الدرجة من العظمة ، لكن البحيرة المسماة ببحيرة موريس والتي بني اللابيرانت بالقرب منها تثير إعجابًا أشد ، وراح هيرودوت يسجل أبعاد الخزان العظيم وكيف يصل إليها الماء من النيل لمدة ستة أشهر ثم يرجع منها إلي النيل مدة ستة أشهر ثانية ، وهي القناة المعروفة اليوم باسم بحر يوسف ، كما تحدث هيرودوت عن تمثالين لامنمحات الثالث ، وفترة حكم امنمحات الثالث حل فيها النعيم والأمن والسكينة علي البلاد ، حتي ترنم القوم بالفرعون قائلين : أنه يكسو القطرين جنة خضراء أكبر من النيل العظيم ، لقد زاد القطرين قوة ، كيف لا وهو نفس الحياة المرطب للأنوف ، هو الذي يوزع الخيرات علي تابعيه ، هو المغذي لخلفاءه ، هو الفداء وفي فمه الخير**

- **يبدو أن الحاكم هو كل شئ في مصر وكلما قرأت لي أكثر كلما يتأكد هذا المعني ، مع أن الشعب هو الذي يصنع كل شئ ولكن لابد أن تأتيه المبادرة من أعلي وبقوة ، فالحاكم القوي كل ما عليه أن يرغب فقط في فعل أي شئ**
- **بالتأكيد إن رغبة الحاكم في مصر تلعب الدور المحوري إن لم يكن الدور الوحيد في تنفيذ أي مشروع ولكن من الإنصاف أن نقول أن الحاكم القوي إذا كان عادلًا في نفس الوقت يكون ذلك من حسن حظ الشعب فهو لا يملك تغييره علي أي حال**
- **قد يكون ما تقوله صحيحًا ولكن هناك اعتبارات أخري في غاية الأهمية والخطورة وهي أن مصر كانت في ذلك الوقت دولة قوية ذات سيادة بل أقوي دولة في المنطقة وبالتالي فإن حاكمها كان لا يخضع لأي ضغوط خارجية تفرض عليه اتخاذ قرارات معينة ليست نابعة منه شخصيًا**
- **بالفعل معك كل الحق فمصر في ذلك الوقت لم تعرف التبعية ولم يتم السيطرة عليها أو علي حكامها بأي صورة من الخارج فكانت كل مشاكلها واضطراباتها تحدث داخلها فقط فإذا حكمها حاكم قوي وعادل لا يوجد ما يمنعه علي الإطلاق من فعل ما يريد دون أن يضع في اعتباره الموقف الدولي أو توازنات من أي نوع في المنطقة أو أي شئ من هذا القبيل ، كما أن كل ما يجمعه الحاكم وحاشيته وكهنته وكبار رجال دولته لا يخرج من مصر بل يتم إنفاقه داخلها ، وبالتالي فإن جميع خيرات مصر تبقي داخل مصر**
- **حسنًا ، فهل توجد إنجازات أو مواقف تاريخية أخري مهمة لهذه الأسرة ؟**

<u>في عهد الملك سنوسرت الثالث أبحرت السفن المصرية في الجرانيت</u>

- **حدث موقف تاريخي نادر عندما قرر الملك سنوسرت الثالث ١٨٧٤-١٨٥٥ ق.م. إجراء أعمال حربية في النوبة لتأمين حدود مصر الجنوبية فقد وجد عقبة كبيرة أمام سفن الأسطول ، فشق لأسطوله طريقًا بين صخور الشلال الأول ، وأنشأ مهندسوه هذا الطريق المائي في أصعب مناطق الشلال الجرانيتية لمسافة مائتين وستين قدمًا بعرض أربعة وثلاثين قدمًا وعمق ستة وعشرين قدمًا ، وحمل علي النوبة عدة حملات وطدت فيها السلطة المصرية ، وشيد حصنين متقابلين في آخر الحدود الجنوبية للدولة علي شاطئ النيل ، ولا تزال آثار هذين الحصنين باقية الآن تشهد لمصر في تلك الأوقات بالبراعة الحربية والكفاية في اختيار مواقع الدفاع الحصينة ، والمقدرة علي تشييد الحصون المنيعة ، وكان سنوسرت الثالث من أهم ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية بالدولة الوسطي ، وقد نصب لوحته المشهورة التي يتحدث فيها إلي المصريين عن الكفاح الوطني ويحثهم عليه**
- **إن هؤلاء الملوك كانوا حريصين علي كتابة وتسجيل أمجادهم فماذا كتب علي هذه اللوحة ؟**

- **بعض من المكتوب علي اللوحة نقلًا عن كتاب تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة – تاليف عبد الرحمن الرافعي – صفحة ٥٤: (– – ولقد جعلت تخوم بلادي أبعد مما وصل إليه أجدادي ، وزدت في مساحتها علي ما ورثته ، وإني ملك يقول وينفذ ، وما يختلج في فؤادي تفعله يدي ، وإني طموح إلي السيطرة ، وقوي أحرز الفوز ، ولست بالرجل الذي يرضي بالتقاعس عندما يعتدي عليه ، أهاجم من يهاجمني حسبما تقتضيه الأحوال فإن الرجل الذي يركن إلي الدعة بعد الهجوم عليه يقوي قلب العدو ، والشجاعة هي مضاء العزيمة – –)**
- **يقول وينفذ أم يقول والشعب هو الذي ينفذ ؟**
- **علي أي حال لن ينفذ أحد أي شئ إلا بقرار من الفرعون ، وعمومًا فقد حكمت هذه الأسرة ما يقرب من قرنين ، وتتكون من مجموعة من الملوك اشتهروا باسم امنمحات وسنوسرت علي التوالي وهذا هو الترتيب المفضل لملوك هذه الأسرة : امنمحات الأول – سنوسرت الأول – امنمحات الثاني – سنوسرت الثاني – سنوسرت الثالث – امنمحات الثالث – امنمحات الرابع – الملكة سبك نفرو وقد امتاز عصر هذه الأسرة بالرقي في الذوق الفني كما يمتاز هذا العصر بنشاط دبلوماسي كبير وعلاقات واسعة مع دول الجوار مثل فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر المتوسط مثل قبرص وكانت الدول التي ارتبطت بمصر بعلاقات صداقة هي المستفيدة أكثر بهذه العلاقات بطبيعة الحال لأن مصر في ذلك الوقت كانت أعظم الأمم ثقافة وقوة وحضارة في بلاد الشرق القديم علي حد تعبير أحمد فخري**
- **أو كما ورد في الأغنية الشهيرة طوف وشوف لكوكب الشرق أم كلثوم : كان نهار الدنيا لسه ما طلعش ، وهنا عز النهار**
- **كما اهتمت هذه الأسرة بالجنوب وقامت بتعيين حاكم مصري جنوب الشلال الثالث وأقامت حصنًا ومخزنًا كبيرًا للتجار هناك كما أقامت هذه الأسرة مشاريع للري واهتمت بالزراعة وبنهر النيل اهتمام خاص كما ازدهر الأدب والفن في عصر هذه الأسرة ، وقد كتب عنها أيضًا المؤرخ والأثري الكبير د أحمد فخري في كتابه الممتع مصر الفرعونية وتحديدًا في الصفحة رقم ٢٤٠ (وما من شك في أن أكثر ملوك الدولة الوسطي لم يكونوا عتاة أو متجبرين في الأرض بل نعرف عن أكثرهم أنهم كانوا فخورين بعدلهم بين الناس وسهرهم علي رعايتهم ولهذا سرعان ما أطمأن الناس إلي حكامهم وتركوا أمر سعادتهم بين أيديهم)**
- **أعتقد أنك ذكرت هذا من قبل ، فماذا حدث لهذه السعادة والحضارة ؟**

نهاية غامضة للأسرة ١٢ وعصر الاضمحلال الثاني

- تخيل نفسك تعيش في ذلك العصر فبالتأكيد ستشعر أن هذا الرخاء دائم ولا نهاية له وستموت بالتأكيد قبل أن تعرف أن مصر قد تعرضت لفترة ضعف ونهاية غامضة للأسرة ١٢ وبداية عصر الاضمحلال الثاني
- وكيف حدث ذلك ؟
- عصر الاضمحلال الثاني يبدأ بنهاية الأسرة الثانية عشرة ومع بداية الأسرة الثالثة عشرة وأصل الحكاية أن البيت الملكي للأسرة ١٢ لم يعد به رجال علي ما يبدو فتولي الحكم إمرأة اسمها الملكة (سبك نفرو رع) ويبدو أن ما حدث في هذه الفترة أيام نهاية حكم هذه الملكة غير مدون بدقة في كتب التاريخ ويكاد يكون مجهول فأنا أمامي الأن كتابين أحدهما الجزء الرابع من موسوعة سليم حسن والأخر كتاب مصر الفرعونية لأحمد فخري وكلاهما لا يجد سبب واضح لظهور أول ملك في الأسرة ١٣ فمثلًا يقول سليم حسن في صفحة ٤ الجزء الرابع (لم تصل إلي أيدينا معلومات وثيقة عن حال نهاية حكم الملكة سبك نفرو رع آخرة ملوك الأسرة الثانية عشرة ويظن بعض المؤرخون أنها لابد قد تزوجت الملك " سخم رع خوتاوي " وأنه بزواجه منها أصبح ملكًا شرعيًا ولكن ليس لدينا ما يدعم ذلك الزعم) بينما في كتاب أحمد فخري صفحة ٢٢٩ (- - فإذا ما تساءلنا عما حدث وما الذي قضي علي حكم تلك الأسرة وربما علي الملكة أيضًا فإننا نجد أنفسنا عاجزين عن الجواب المقنع لقلة ما لدينا من وثائق) ،
- أي أن السبب الحقيقي غير معروف والمهم أن الملك (سخم رع خوتاوي) وصل للسلطة
- نعم ، وعلي فكرة اسمه في موسوعة حكام مصر (خوتاوي رع) والغريب أن ملوك الأسرتين ١٣ ، ١٤ مدرجين معًا بدون فاصل في موسوعة حكام مصر وهناك العديد منهم حكموا مصر لفترات قصيرة جدًا مما يدل علي أن مصر كان يسودها عدم الاستقرار لكن لفت نظري إن اسم الملك (نحسي) مكتوب في آخر قائمة ملوك الأسرة ١٤ وجاءت بعد اسمه مباشرةً أسماء ملوك الهكسوس ومن المحتمل أن هذا الملك كان علي صلة بالهكسوس وموالي لهم في تقدير بعض المؤرخين لأن من ألقابه التي وجدت في الآثار الفرعونية لقب (حبيب "ست" رب أواريس) والإله (ست) هذا هو الإله المعبود عند الهكسوس أما مدينة (أواريس) فهي عاصمة ملكهم في مصر ،
- يبدو أن هذه الفترة ليست واضحة تمامًا
- نعم حتي أن عدد ملوك هاتين الأسرتين يكاد يكون غير معلوم بالرغم أن هناك أثار كثيرة وجدت من هذه الفترة ويبدو أن الهكسوس كانوا موجودين فعلًا في مصر أيام حكم فراعنة هذه الفترة ولكن بشكل غير رسمي لأن سليم حسن يعتقد أن الهكسوس تسربوا إلي مصر ببطء وعلي مهل ونشروا ثقافتهم ومبادئهم ودرسوا البلاد جيدًا ثم انقضوا عليها بجيش جرار سيطروا به علي الدلتا فقط في البداية ثم

امتد سلطانهم إلي مصر الوسطي حتي تمكنوا من البلاد وحكموها لمدة أسرتين ١٥ ، ١٦ وطبعًا لن أشغل بالك يا عزيزي بما تم من أحداث خلال فترات حكم الأسرتين ١٣ ، ١٤ لسببين ، أول سبب هو عدم وجود معلومة مؤكدة وواضحة تمامًا مكتوبه عنهم والسبب الثاني لأنها فترة أجمع المؤرخون علي أنها عصر اضمحلال وضعف

- ولكن ما هي حكاية الهكسوس وأصلهم وفصلهم ومن هم ومن إين قدموا وما مدي تأثر البلاد بهم ؟ لأنني سمعت أنه قد حدث تطور كبير في ثقافة المصريين بعد تعرضهم لهذا الغزو ، كما أريد أن أعرف معلومات عن مظاهر الضعف في مصر قبل وصول الهكسوس إذا كانت هذه المعلومات متاحة لديك لنستفيد من الدروس وإلا فما الفائدة ؟
- لقد وصف سليم حسن بعض مظاهر الضعف في الأسرة ١٣ فكتب ما يلي : (- - - غير أن هذه الهزة القاسية - - لم تحدثنا النقوش الباقية حديثًا شافيًا يجعلنا نصل إلي كنهها، ومع ذلك فإنا نلمس حقيقتها من اضطراب البيت المالك فما يكاد الفرعون يستقر في عرشه حتي يغتصب منه الملك ويطرد ثم يتلوه غيره وتتجدد المأساة ، مما يدل علي أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور المشين ، ولا يبعد أن يكون الملوك الذين يموتون علي فراشهم ميتة طبيعية قلائل جدا) كما أشار سليم حسن عن انتشار ظاهرة بيع الوظائف الحكومية فقال (- - علي حسب ما تسمح به الوثائق التي في متناولنا يكشف لنا بعض الشئ عن الحالة الحقيقية لهذه الأزمة التي ارتسمت في عهد الأسرة الثالثة عشرة، وهي أن كبار الموظفين الخاضعين للتاج، وبخاصة الضباط منهم الذين كانوا وقتئذ يغتصبون العرش ، وكانوا يتشاحنون فيما بينهم ، وكان كل منهم يطمح إلي أن يكون الفائز فكان يحل الواحد منهم مكان الآخر دون أن يفوز مغتصب بأن يضمن لنفسه مركزا ثابتا أو يفلح في تأسيس أسرة قوية الأركان مدعمة البنيان ، هذا إلي أن كبار رجال الدولة كانوا يبيعون وظائفهم كما تباع السلع ، فلا غرابة في أن يكون العرش كذلك يباع ويشتري لمن في يده قوة وجاه) (وعلي أية حال فإن ظاهرة بيع وظيفة حكومة بلد من بلدان القطر تدل علي تفكك أواصر الروابط الحكومية في البلاد ولا غرابة إذن في أن نشاهد ذلك في عهد الأسرة الثالثة عشرة التي كان ملوكها علي جانب عظيم من الوهن والضعف مما أدي إلي غزو البلاد علي أيد الهكسوس)
- من هذا الكلام يبدو أن هناك أشخاص من كبار رجال الدولة ومن الضباط كانوا يعتقدون أنهم من مؤسسي الدول ولكنهم كانوا دون المستوي ففشلت كل محاولاتهم في السيطرة علي الأمور وطبعا لا وجود للشعب في هذا الصراع بكل تأكيد
- يبدو ذلك بالفعل
- ولكن هل يوجد حساب تقريبي لمدة الاضمحلال ؟

- د سيد توفيق حسب مدة عصر الاضمحلال الثاني تقريبًا فكتب ما يلي : (تعرضت مصر منذ الأسرة الثالثة عشرة وطوال قرنين أي حتي الأسرة السابعة عشرة للضعف وللانحلال واجتازت فترة أخري مظلمة
- عفوا للمقاطعة ولكن لماذا وصف الفترة أنها مظلمة مع عدم توفر معلومات كافية عنها ؟
- لا أدري ما هو المقصود بالفترة المظلمة هل لأن الفرعون فقد سيطرته وعبوديته في مصر بالكامل أم لعدم وجود آثار رائعة باقية من تلك الفترة أم لأن الشعب المصري تخلص من قهر الحكومة المركزية أم لعدم وجود استقرار للعرش أم لوجود احتلال لا ندري هل كان أرحم بالشعب من الفرعون نفسه أم كان أكثر قسوة ويبدو أن مفهوم العصور المظلمة والعصور الزاهرة له علاقة وثيقة بعبادة الفرعون نفسه فكلما كان الفرعون شديد القوة والبطش والسيطرة والبناء والتشييد للمقابر والمعابد الخاصة به وبكبار رجال دولته وكهنته كلما وصف المؤرخون عصره بالعصر الرائع الزاهر
- أعتقد أن الموضوع مرتبط بالآثار والله أعلم ، فما تكملة حديثه عن هذه الفترة ؟
- يقول أن مصر اجتازت فترة أخري مظلمة أشد من التي اجتازتها أعقاب الدولة القديمة فتحكم فيها ملوك ضعاف – ، من الملاحظ أن فترة الحكم التي أعطاها مانيتون للفترة الانتقالية والتي وصلت في رأيه إلي ١٥٩٠ عاما والتي قام بالحكم فيها عدد من الحكام وصل عددهم إلي ٢١٧ حاكما تؤكد لنا المصاعب التي واجهت مانيتون عند كتابته تاريخ هذه الفترة وهي المصاعب التي واجهت فريق من العلماء والمتخصصين لمعرفة فترة حكم كل أسرة وعدد ملوكها ، علي أنه أصبح في حكم المؤكد الآن أن الملكة سوبك نفرو آخر ملكات الأسرة الثانية عشرة قد ماتت في عام ١٧٨٦ ق م كما أن الأبحاث الحديثة أكدت أن الملك أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة تولي الحكم في عام ١٥٦٧ ق م أي أن الفترة الانتقالية الثانية استمرت ما يقرب من ٢٢٠ عاما وهي مقسمة –في رأي هيز– علي الوجه التالي : الأسرة الثالثة عشرة من ١٧٨٦ ق م إلي ١٦٣٣ ق م ثم الأسرة الرابعة عشرة حتي سنة ١٦٠٣ ق م ثم الأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة [من الهكسوس] ثم الأسرة السابعة عشرة الوطنية – – ومن هنا نري أن هناك أكثر من أسرة كانت تحكم في جزء من مصر في وقت واحد عندما كانت مصر مفككة العري وليس كما كان يعتقد مانيتون أن كل أسرة من هذه الأسرات كانت تحكم وتتحكم في جميع أنحاء مصر ثم تليها أسرة أخري جديدة وهكذا –
- أي أن هذه الأسر الضعيفة كانت تحكم علي التوازي ولكن اعتبرها مانيتون متوالية يعقب بعضها بعضا فأخطأ في حساب المدة بالكامل
- نعم وقد غزا الهكسوس مصر في الأسرة الخامسة عشرة وأطلق عليهم العالم الألماني أوتو اصطلاح الهكسوس الكبار فقد أعطوا لأنفسهم الحق بالاحتفاظ بالألقاب الملكية المصرية ويبدو أنهم استطاعوا في البداية السيطرة علي جميع أنحاء مصر وانتشرت اسمائهم – ونخص بالذكر هنا الملك خيان والملك أبوفيس من النوبة إلي فلسطين ثم بعد ذلك أتت مجموعة أخري من حكام الهكسوس أطلق عليهم نفس

العالم اصطلاح الهكسوس الصغار أو الضعاف وهم الذين ينتمون للأسرة السادسة عشرة ولم يستطع هؤلاء السيطرة علي جميع أنحاء مصر إذ قام في هذه الفترات بيت حاكم قوي في الصعيد اتخذ من طيبة مقرا له وأسس الأسرة السابعة عشرة وأخذ علي عاتقه تحرير مصر من الهكسوس – – قلنا أن الفوضى بدأت تسود مصر في الفترة التي بدأت تظهر في غرب آسيا حركة هجرة قبائل واسعة تنتمي إلي العنصر الهندو أوروبي وقد وصل أثرها إلي مصر وبدأت تشعر بها في أوائل الأسرة الرابعة عشرة وذلك بعد أن استقرت هذه القبائل في سوريا وفلسطين وأخذوا بمظاهر الحضارة السامية الموجودة هناك وعرفوا في التاريخ باسم الهكسوس)

<u>من هم الهكسوس ؟</u>

- **من هم الهكسوس ؟**
- **الهكسوس كتب عنهم الفراعنة أنفسهم بعد ذلك ووصفوهم بأوصاف تعبر عن مدي استياءهم الشديد منهم فقالوا عنهم الرعاة البدو وقالوا عنهم الطاعون أما كلمة هكسوس نفسها فتعني (حكام الأقاليم الأجنبية) وهو المعني المقبول تفسيره من وجهة نظر سليم حسن في موسوعته (صفحة ١ بالجزء الرابع) ، وكان عدد ملوكهم الذين حكموا مصر ٢٣ ملكًا تقريبًا منهم ثمانية ملوك لقبوا أنفسهم بلقب الإله الطيب وستة ملوك لقبوا أنفسهم بلقب ابن الشمس وقد تركوا آثارًا موجودة إلي الآن وكان الثلاثة وعشرين ملكًا موزعين علي أسرتين ١٥ ، ١٦ وكانت عاصمتهم في أواريس في الوجه البحري طبعًا وكانوا يقدسون الإله (ست) الذي يعتبره المصريون القدماء إله سئ السمعة**
- **أعوذ بالله هل يوجد إله سئ السمعة ؟ لا إله إلا الله سبحانه وتعالي عما يشركون**
- **الهكسوس أو الرعاة عبارة عن شعوب من البدو جاءت من الشرق واستوطنت البلاد لمدة ١٥٠ سنة تنشر ثقافتها في مصر إلي أن جاءت الأسرة السابعة عشرة الفرعونية وظلت تقاومهم وتحاربهم حتي نجح أحمس في طردهم من البلاد وأسس الأسرة ١٨ بل إنه أسس دولة جديدة فرعونية تسمي عصر الدولة الحديثة ، لكن في الحقيقة توجد معلومة غريبة جدًا قرأتها وهذه المعلومة أنكرها بشدة سليم حسن برغم أنه ذكرها منسوبة إلي صاحبها وبالرغم من إنكار هذه المعلومة وعدم صحتها إلا أنها تدل علي أمور كثيرة جدًا ، إن اليهود والهكسوس هما عنصر واحد والذي قال هذه المعلومة طبعًا مؤرخ يهودي عاش خلال القرن الأول من الميلاد واسمه (فلافيوس يوسفس) ويقول سليم حسن عن هذا الموضوع (– – وقد كان غرض يوسفس الأول فيما نقله عن مانيتون العمل جهد الطاقة في الرفع من شأن قومه اليهود الذين كان يحتقرهم كتاب الإغريق ويحطون من شأنهم)٦ ،**

---

٦ موسوعة مصر القديمة (سليم حسن) ج ٤ صـ ٥٧

- **أي أنه أراد أن يرفع من شأن اليهود فأكد أنهم هم أنفسهم الهكسوس ونسب ذلك لمانيتون شئ عجيب فعلا ، ولكن بالمناسبة هل لديك معلومات عن اليهود الذين ربما كانوا متواجدون في تلك الفترة من تاريخ مصر ؟**
- **يمكن بالطبع أن نوضح بعض المعلومات عنهم وعن نشأتهم لأن الكثير من هذا الجيل لا يعرف قصة (بني إسرائيل وبني اسماعيل) إذا جاز التعبير أي بني إسرائيل والعرب المستعربة وعلاقتهم بعضهم ببعض ونسبهم إلي سيدنا ابراهيم عليه السلام ومتي كان ذلك وعلاقته بالفراعنة ،**
- **سيكون ذلك ممتعًا**

<u>بني اسرائيل وعلاقتهم بالفراعنة</u>

- **عمومًا لا يوجد تاريخ معروف علي وجه الدقة لدخول بني اسرائيل مصر عندما كان سيدنا يوسف بها (عليه السلام) ولكن المؤكد في هذا الموضوع أنهم مكثوا بمصر حتي خروجهم مع سيدنا موسي عليه السلام**
- **أي أن سيدنا يوسف أدخلهم وسيدنا موسي ، أخرجهم ولكن من هم وكم كان عددهم عند دخول مصر وعند الخروج ؟**
- **هذا هو ما سنتحدث عنه إن شاء الله ، وفي الحقيقة إن بداية القصة تعود إلي سيدنا ابراهيم عليه السلام الذي ولد ببابل[٧] وتزوج من السيدة سارة التي كانت عاقرًا لا تلد ثم هاجر من بابل إلي فلسطين (الأرض المقدسة) وقد يكون تزوج من السيدة سارة بعد أن هاجر ، ومعروف طبعًا عن سيدنا ابراهيم أنه حطم الأصنام وأنه واجه النمرود ملك ذلك العصر (بفرض أن اسمه نمرود) والذي كان يقول أنا أحيي وأميت وقد تم إلقاءه عليه السلام في حفرة من نار وأحاطه المولي عز وجل برعايته كما أنه خليل الله وصاحب لسان صدق في العالمين كما أنه عليه السلام أبو جميع الأنبياء الذين جاءوا بعده لأن الله سبحانه وتعالي جعل في ذريته النبوة والحكمة ، وطبعًا ليس هذا مقام الحديث عن مناقبه عليه السلام وإنما أريد إلقاء الضوء علي ذريته ببساطة شديدة لنتعرف علي أبناءه وأحفاده وظروف نشأتهم وأماكن تواجدهم بعد ذلك لكي نقف علي ما نريد من معلومات تخص بني اسرائيل وبني اسماعيل وقد كان سيدنا لوط عليه السلام علي صلة قرابة بسيدنا ابراهيم وآمن له ويقول المولي عز وجل عنهما {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[٨]**
- **وهذه الأرض التي باركها الله سبحانه هي منطقة القدس الشريف وما حوله أليس كذلك ؟**
- **نعم والله أعلي وأعلم والمعروف أن سيدنا إبراهيم جاء إلي مصر مع زوجته سارة وعاد ومعه السيدة هاجر المصرية وكانت جارية ورزقه الله من هاجر مولودًا ذكرًا هو سيدنا اسماعيل عليه السلام وهو**

---

[٧] قصص الأنبياء (الإمام الحافظ ابن كثير) صـ ١٠٥
[٨] (٧١) سورة الأنبياء

يعتبر أكبر أبناءه ثم ذهب بهاجر وإسماعيل إلي مكان بيت الله الحرام وتركهما متوكلًا علي الله ودعا لهما وللمكان {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}[٩] ومن المؤكد أن سيدنا ابراهيم قام بزيارة السيدة هاجر وابنها اسماعيل بعد ذلك وكلنا يعرف قصة رفع القواعد من البيت الحرام وكذلك قصة الذبح {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[١٠] ونعلم جميعًا أن المولي عز وجل فداه بذبح عظيم وظل اسماعيل علي قيد الحياة

- **كل هذا معروف بالطبع**
- **بالرغم من أنني علي ثقة من أنك علي علم بهذه المعلومات إلا أنني أقوم بربط الأحداث وإيجازها فقط لتتضح الصورة أمامك ، وظل سيدنا اسماعيل في مكة ووهبه الله الذرية عندما تزوج من العرب العاربة وأصبح أولاده وأحفاده يشكلون ما يسمي بالعرب المستعربة والفرق بينهما أن العرب العاربة هم الذين كانوا يسكنون الجزيرة العربية قبل مجئ سيدنا اسماعيل عليه السلام مثل قبائل جرهم والعماليق أما العرب المستعربة فهم أبناء وأحفاد سيدنا اسماعيل أنفسهم ويعتبر سيدنا اسماعيل عليه السلام الجد الأكبر لهم وجدير بالذكر أن قبيلة قريش (قوم رسول الله صلي الله عليه وسلم) يعود نسبها إلي سيدنا اسماعيل عليه السلام ، نترك الآن سيدنا اسماعيل في مكة ليؤسس مع أبناءه وأحفاده هذه القبائل والبطون بجوار بيت الله الحرام (الحرم الآمن) ونعود إلي سيدنا إبراهيم والسيدة سارة زوجته**
- **وهل يتفق اليهود معنا في هذه المعلومات ؟**
- **طبعًا لم يتركوا هذه القصة كما هي ولكنهم زعموا أن سيدنا ابراهيم ذهب بهاجر وابنها بعيدًا عن سارة لأنها كانت تشعر بغيرة من الجارية التي أنجبت بينما هي لا تلد[١١] فاضطر إلي إبعادها لهذا السبب ولكن طبعًا هذا الكلام كله لا أساس له من الصحة لأن السبب الرئيسي لما فعله هو امتثالًا لأمر المولي عز وجل والذي كان سببًا في تعمير بيت الله الحرام وإنشاء حياة حوله وليس كما يدعي بني اسرائيل أو بعضهم بل إن بعضهم يدعي أن الذبيح ليس اسماعيل بل اسحق وكل هذا لا أساس له من الصحة والله أعلم .**
- **فماذا حدث بعد ذلك ؟**
- **حدث أن السيدة سارة أنجبت بمعجزة إلهية كما نعلم جميعا وكان عمرها تسعين سنة[١٢] مولودًا ذكرًا وهو سيدنا اسحق عليه السلام {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}[١٣] بمعني أن سيدنا اسماعيل**

---

[٩] (٣٧) سورة إبراهيم
[١٠] (١٠٢) سورة الصافات
١١ قصص الأنبياء (ابن كثير) صـ ١٢٣
١٢ قصص الأنبياء (ابن كثير) صـ ١٧٢
١٣ (١١٢) سورة الصافات

وسيدنا اسحق إخوة عليهما السلام ومن أب واحد وهو سيدنا ابراهيم عليه السلام وبعد ذلك أنجب اسحاق سيدنا يعقوب بمعني أن سيدنا اسماعيل هو عم سيدنا يعقوب ويعتبر سيدنا يعقوب هو حفيد سيدنا ابراهيم عليهم السلام جميعًا ولاحظ معي يا صديقي إنني أقوم بتفصيل ذلك ليكون الموضوع شديد الوضوح وأهم ما في الموضوع إن سيدنا يعقوب هو نفسه سيدنا اسرائيل أي أن يعقوب وإسرائيل شخص واحد له اسمين وهو أيضًا كما نعرف جميعًا والد سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته أي أن بني اسماعيل من أحفاد السيدة هاجر وبني اسرائيل من أحفاد السيدة سارة ونعلم جميعًا أن سيدنا يوسف وجه دعوة إلي أبيه وإخوته وأسرته بالكامل للحضور إلي مصر بعد أن مكن له الله فيها {فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ}١٤ وكانت هذه العائلة الصغيرة المكونة من أب وأبناءه وزوجاتهم وأبناءهم هي النواة الأولي لبني اسرائيل في مصر في ذلك الوقت بمعني أن اسماعيل وأبناءه كانوا في مكة واسرائيل وأبناءه كانوا في مصر في تلك الفترة وكلاهما يعود نسبه إلي سيدنا ابراهيم كما ذكرنا ،

- **ولكن متي تم دخول بني اسرائيل مصر أو بمعني أدق متي دخل اسرائيل (يعقوب) وأولاده مصر ؟ بعد فترة من بيع سيدنا يوسف بها وما علاقة ذلك بالعصر الفرعوني ؟**
- **في الحقيقة إن هذا حدث بالتأكيد قبل عصر فرعون موسي بزمن طويل لأنه من المعروف أن الفراعنة كانوا علي علاقة سيئة جدًا ببني اسرائيل وكانوا يقتلون أبنائهم ويستحيون نساءهم ويستعبدونهم ويستخدمونهم في الأعمال الدنيئة والحقيرة وكان عددهم كبير جدًا وقد أصبحوا اثني عشر سبطًا أو قومًا بعدد أبناء سيدنا يعقوب (اسرائيل) بما فيهم سيدنا يوسف نفسه لأن عدد أبناء سيدنا يعقوب ١٢ ولد منهم سيدنا يوسف وبالتالي نسل كل واحد منهم أصبح فيما بعد مجموعة كبيرة جدًا من البشر وبالمناسبة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم عندما يذكر سيدنا يوسف يقول (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم)١٥ يقصد بذلك (يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم) عليهم جميعا وعلي نبينا الصلاة والسلام ، وبالمناسبة أيضًا أحفاد سيدنا اسحاق الذين يطلق عليهم وعلي ذريتهم الأسباط يقول عنهم ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء أنهم ليسوا جميعًا من أم واحدة فقد أنجب سيدنا يعقوب من أربعة نساء (أختين هما ليا وراحيل وجاريتيهما) بمعني إن سيدنا يعقوب تزوج من أختين واحدة اسمها "ليا" والثانية اسمها "راحيل" ولم يكن هذا محرمًا في شريعتهم في ذلك الوقت وأنجب من الأختين ، وكانت لكل واحدة فيهم جارية تملكها (أمة) ووهبتها لزوجها يعقوب وقد أنجب سيدنا يعقوب من الجاريتين أيضًا ، ونقول مرة أخري للتأكيد أن يعقوب هو نفسه إسرائيل وورد كلا الاسمين في القرآن الكريم {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ**

---

١٤ (٩٩) سورة يوسف
١٥ قصص الأنبياء (ابن كثير) صـ ١٧٩

قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (٩٣) سورة آل عمران ، {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (١٣٢) سورة البقرة

- هل لديك أسماء أولاد يعقوب عليه السلام ؟
- يقول الإمام ابن كثير رضي الله عنه (وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلًا فمن " ليا " روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وإيساخر وزايلون ومن "راحيل" يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل دان ونفتالي ومن أمة ليا حاد وأشير)١٦ ومن هؤلاء جاء شعب بني اسرائيل بالكامل واعتقد والله أعلم أن هذا الشعب يتبع نظرية نقاء العنصر وهذه النظرية تمنع الزواج من عناصر وشعوب أخري وبالتالي ظل بني اسرائيل يتناسلون دون أن يدخل بينهم أي عنصر من أي شعب آخر علي ما يبدو والله أعلم وهناك خلط واضح يحدث دائمًا بين بني اسرائيل والديانة اليهودية فعندما نتكلم عن الشعب الإسرائيلي نقصد به هذه العائلة الضخمة التي استعرضنا جذورها منذ قليل وفي نفس الوقت نقصد بهم من يعتنقون الديانة اليهودية وهذا خطأ شائع لأن بني إسرائيل كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالي لفترة طويلة قبل ظهور الديانة اليهودية بل كانوا الشعب الوحيد علي الأرض الذي يعرف الله سبحانه وتعالي وكان منهم العديد من الأنبياء {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (٤٧) سورة البقرة ، وكان بنو إسرائيل يطلقون علي أنفسهم شعب الله المختار .
- ومن هم أنبياء بني إسرائيل ؟
- كان في بني اسرائيل العديد من الأنبياء بل يكاد لا يخلوا عصر من عصورهم من وجود نبي مرسل وآخر أنبياء بني اسرائيل هو سيدنا عيسي عليه السلام الذي بشر بنبي يأتي من بعده وقد توقع بني اسرائيل أن هذا النبي سيأتي من ذرية بني اسرائيل ولكنه صلي الله عليه وسلم جاء من ذرية سيدنا اسماعيل وإذا ضربنا أمثلة علي أسماء بعض أنبياء بني اسرائيل سنجد طبعًا سيدنا يوسف عليه السلام وسيدنا موسي وسيدنا داوود وسيدنا سليمان وسيدنا زكريا وسيدنا يحيي عليهم جميعًا السلام ولم يبعث المولي عز وجل من ذرية اسماعيل نبي غير سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم خاتم الأنبياء جميعًا ، بمعني أن كل الأنبياء الذين بعثوا بعد إبراهيم كانوا من نسل إسرائيل عدا خاتم الأنبياء فمن نسل إسماعيل صلي الله عليهم أجمعين ، وبالتالي نجد العديد من الأنبياء من بني إسرائيل {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} (٣٢) سورة المائدة {لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} (٧٠) سورة المائدة
- فما علاقة كل هذا بالفراعنة ؟

---

١٦ قصص الأنبياء (ابن كثير) صـ ١٧٦

- **مما سبق يتضح أن شعب بني اسرائيل عاصروا في بدايتهم عصور الدولة الفرعونية وأغلب الظن أنهم دخلوا مصر بناءًا علي دعوة يوسف عليه السلام في عصر الهكسوس ويستدل علي ذلك من القرآن الكريم والله أعلم حيث أن المولي عز وجل عندما يذكر حاكم مصر يقول عنه فرعون أما حاكم مصر الذي ذُكِر في عهد يوسف عليه السلام فقال عنه المولي عز وجل (الملك) وليس (الفرعون) ونقرأ في سورة يوسف {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ}[١٧] بل إن من أدلة ذلك أيضًا أن يوسف وعائلته كان لهم وضع ومكانه خاصة ومرموقة في مصر في ظل احتلال الهكسوس وعندما طرد الفراعنة الهكسوس اضطهدوا بني اسرائيل علي اعتبار أنهم أعوان الاحتلال والله أعلم كما أن السيدة هاجر كانت قبل تلك الفترة عندما ذهب بها سيدنا ابراهيم من مصر كانت جارية مصرية وطبعًا المصريات لم يكن جواري إلا في عهد الاحتلال وهذا قد يفسر دخول سيدنا ابراهيم نفسه مصر في عصر الهكسوس وبالتالي دخل حفيده سيدنا يعقوب وأبناءه في عصر الهكسوس أيضًا أثناء وجود سيدنا يوسف بها ثم تم استعبادهم بعد ذلك بفترة في عصر الفراعنة الذي تلي عصر الهكسوس وعلي العموم كلها مجرد آراء ولا يوجد ما يؤكد بشكل قاطع توقيت دخول بني اسرائيل مصر وفي أي عصر من العصور الفرعونية وأغلب الظن أن هذا الاستعباد تم في عصر الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بعد طرد الهكسوس مباشرةً وقد لا تندهش يا صديقي إن ذكرت لك اسم رمسيس الثاني أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشرة والذي يعتقد البعض أنه فرعون موسي وهذا يربط الأحداث التي ذكرناها طبقًا للسياق الزمني ويزيد في احتمالية ذلك أن بني اسرائيل إذا عدنا لما ذكرناه عن المؤرخ اليهودي الذي أشار إلي أن الهكسوس واليهود عبارة عن عنصر واحد بالرغم من أنها معلومة غير صحيحة إلا أنها تشير علي الأقل إلي أن كل منهم كانوا في فترة زمنية واحدة ،**
- **أعتقد أنه يجب أن نتدبر سورة يوسف (أحسن القصص) ونقرأ سورة البقرة والسور الأخري التي تتحدث عن هؤلاء القوم وعن ما دار بينهم وبين أنبياءهم {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} (٤) سورة الإسراء ، فماذا حدث لبني اسماعيل بعد ذلك ؟**
- **أما بني اسماعيل فظلوا علي ملة ابراهيم لفترة طويلة من الوقت حول البيت الحرام ثم بعد أن مات اسماعيل بفترة كبيرة انتشرت الأصنام حول الكعبة بحجة أنها تقربهم إلي الله وظهرت الوثنية بينهم إلي أن بعث الله نبيه محمد صلي الله عليه وسلم ليحطم هذه الأصنام وينشر الحق في كل مكان بل إن بعض من بني اسرائيل كانوا يسكنون المدينة في ذلك الوقت وكانوا في انتظار النبي الذي سيرسله الله وكانوا يعتقدون أنه سيكون من بينهم من نسل إسرائيل فلما بعث الله نبيه من نسل إسماعيل كفروا بما عرفوا من الحق كما نعلم جميعًا {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (٨٩) سورة**

[١٧] (٤٣) سورة يوسف

البقرة وقد آمن منهم القليل بل آمن من كبار علماءهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم

- **هل يمكن تلخيص تاريخ بني إسرائيل ؟**
- **خلاصة القول عن بني اسرائيل أنهم عائلة كبيرة يعود نسبها إلي سيدنا يعقوب عليه السلام ودخلوا مصر في ظل سيدنا يوسف عليه السلام ثم تكاثروا بها إلي أن خرجوا مع سيدنا موسي عليه السلام وقد تمكنوا من إنشاء مملكة لهم في أورشليم في عهد نبي الله داوود عليه السلام كما سيأتي الكلام عنها في حينه وظلت فترة من الزمان ثم انهار ملكهم بعد ذلك علي يد ملك بابل (بختنصر) وتشتتوا في البلاد في انتظار وعد الآخرة وعلي أمل إعادة تأسيس دولة جديدة {وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}[18] وجدير بالذكر أن بني اسرائيل عندما خرجوا من مصر مع سيدنا موسي كان عددهم كما يقول ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء وتحديدًا في صفحة ٢٧٢ (وكانوا قد استعاروا من أهل مصر حليًا كثيرًا فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوي الذراري بما معهم من الأنعام وكانت مدة مقامهم بمصر أربعمائة سنة وثلاثين سنة هذا نص كتابهم وهذه السنة عندهم تسمي سنة الفسخ) انتهي كلام ابن كثير وطبعًا هذا الكلام نقله ابن كثير من كتابهم أي من الإسرائيليات ومهما كانت المبالغة في هذه الأرقام فإن من المؤكد أن عددهم كان كثيرًا جدًا بالنسبة لبدايتهم في مصر مع سيدنا يوسف عليه السلام بفرض أنهم أقاموا في مصر خلال الأسرات الفرعونية من الخامسة عشرة إلي التاسعة عشرة وهو مجرد فرض**
- **هناك ملحوظة أريد أن تلاحظها معي خارج هذا الموضوع وهو الحديث عن مصر في كتاب الله سبحانه وتعالي عندما وصف مصر لحظة خروج بني اسرائيل ووراءهم فرعون وجنوده ({فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ }[19] فتخيل معي عندما يصف الخالق عز وجل مصر بالمقام الكريم وكيف لنا أن نجد وصفًا أفضل من كتاب الله سبحانه وتعالي فهذا يؤكد مما لا يدع مجالًا للشك روعة وجمال هذه الأرض في ذلك الوقت في عهد فرعون موسي عليه السلام ولكن من هو هذا الفرعون الذي أبقي المولي عز وجل علي جثته لتكون آية لمن خلفه ؟**
- **إذا تأملنا وفحصنا جثث ملوك الفراعنة في تلك الفترة التقريبية سنجد أن هناك العديد من جثث الملوك المحنطة وموجودة إلي الآن ويتم عرضها في المتاحف لنأخذ منها العبرة لا لكي ننبهر بها ولا بد أن من بينها جثة هذا الفرعون وسبحان من له الدوام {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[20]**

---

[18] الإسراء ١٠٤
١٩ الشعراء ٥٧ ، ٥٨
٢٠ يونس ٩٠

- **وقد وردت إمرأة فرعون أيضًا في القرآن**
- **نعم ولا بد أن نتكلم عن زوجة فرعون التي دعت الله سبحانه أن يبني لها بيتا في الجنة وينجيها من فرعون {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (١١) سورة التحريم ،**
- **مؤكد أنها لم تكن مقتنعة بما يفعله الفراعنة من بناء مقابر وتحنيط وما إلي ذلك**
- **بل إنها تعلم جيدًا أن تعمير البيت في الدار الآخرة يكون بالإيمان والعمل الصالح وليس بتزيين القبور بالنقوش وتحنيط وحفظ الجثث بها فلا ينفع الإنسان بعد الموت إلا الإيمان والعمل الصالح ورحمة الله الواسعة ، وقد حان الوقت الآن لنتحدث عن الإمبراطورية المصرية الفرعونية وعهد الدولة الحديثة وبداية الأسرة الثامنة عشرة التي أسسها أحمس بعد طرد الهكسوس من مصر والقصة تبدأ منذ أن كان ملوك الأسرة السابعة عشرة متواجدون في طيبة في الجنوب يدفعون الجزية إلي ملوك الهكسوس في أواريس في الشمال إلي أن استفزهم الهكسوس وطلبوا منهم طلبات غير منطقية ولا يمكن تحقيقها وتمس العقيدة الدينية لهم وما أدراك ما العقيدة الدينية ،**
- **من أجلها تتحرك الجيوش وتفني الأنفس وتهون التضحيات ،**
- **قام صراع رهيب مع الهكسوس بدأه الملك (سقنن رع) إلي أن قتلوه ثم استكمل الكفاح الملك (كامس) وأخيرًا الملك (أحمس الأول) الذي نجح في طرد الهكسوس من البلاد بالكامل بل قام بتأسيس أسرة جديدة وهي الأسرة ١٨ وكانت بداية عصر الدولة الحديثة وأمجادها**
- **بمعني أن الملك أحمس الأول كبداية للدولة الحديثة يمكن مقارنته بالملك مينا والملك زوسر والملك منتو حتب الثاني كبدايات للدول الرئيسية في العصر الفرعون قديمة ووسطي وحديثة وقبلهم العصر العتيق**
- **بالتأكيد فبالرغم من أنه أخو الملك كامس وابن سقنن رع فإن المؤرخ المصري القديم وضعه كما سبق القول علي رأس عائلة جديدة٢١ وهي الأسرة الثامنة عشر الفرعونية وكانت فترة حكمه ٢٤ سنة٢٢ وبالمناسبة هذه الأسرة كانت تقدس إله القمر ويتميز عصرهم بأن النساء أصبح لهن دور كبير في البلاد وأول شخصية نسائية لمعت في هذه الأسرة هي الملكة (تتي – شري) وهي أم سقنن رع**
- **يعني تعتبر جدة أحمس الأول ؟**
- **نعم ، وكان لها دور علي ما يبدو في إشعال روح القتال ضد الهكسوس في أبناءها وأحفادها وكانت محبوبة من الجميع وقد ظل أحمس وفيًا لذكري جدته إلي آخر سنة في عمره حيث أقام لها مقبرة وكتب عنها لوحة خالدة وكانت هناك سيدة أخري اسمها (إعح حوتب)**

---

[٢١] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٧١
٢٢ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٧٢

- **اسمها يصعب النطق به**
- **لكن هذه السيدة كان لها دور كبير في الحرب ضد الهكسوس وهي أم الملك أحمس٢٣**
- **وهل هناك سيدات أخريات شهيرات في هذه الأسرة ؟**
- **أما السيدة الثالثة فكانت (أحمس نفرتاري) وهي أخت أحمس وكامس وقد تزوجت من كامس ثم من أحمس٢٤ بعد موت كامس وكان ذلك أمر عادي أن الملك يتزوج من أخته في هذه العصور وكلمة أحمس تعني (ولد القمر) أو القمر هو الذي أنجبه أو أنجبها وتليق مع المذكر والمؤنث كاسم ، ويعتبر أحمس الأول بصفة عامة هو بطل التحرير بلا منازع والطريف أنه كان يوجد شخص آخر اسمه (أحمس ابن إبانا) وكان أحد أبطال حرب التحرير وترك لوحات تشير إلي انتصاراته وأمجاده أثناء المعارك وقد قام بتكريمه الملك أحمس الأول لشجاعته وأعماله الحربية أثناء المعارك**
- **هل يمكن وصف معارك أحمس ضد الهكسوس أم أنها تفاصيل لا تؤثر علي سياق حديثنا ؟**

<u>الملك أحمس الأول وطرد الهكسوس وبداية الدولة الحديثة الفرعونية</u>

- **الحروب التي انتصر فيها الملك أحمس الأول علي الهكسوس كانت طويلة المدة حيث أنهم تحصنوا في مدينتهم أواريس ووقعوا تحت الحصار لفترة ليست بالقليلة لأن الهكسوس تميزوا في أعمال التحصينات والاستحكمات الدفاعية كما أنهم أول من استخدم الخيول والعربات الحربية في مصر وتعتبر من الأسلحة المتطورة في ذلك العصر ويقول سليم حسن عن ذلك (والواقع أن الهكسوس كانوا يعتبرون منذ زمن بعيد أنهم الذين جلبوا هذه العناصر الجديدة الهامة من المدنية إلي مصر)٢٥ فكما ذكرنا أن الهكسوس أضافوا إلي مصر بحضارتهم وثقافتهم وأخذ منهم المصريون أحسن ما عندهم هذا والله أعلم**
- **كما قال ابن خلدون أن المغلوب مولع بتقليد الغالب**
- **إذا قام المغلوب بتقليد الغالب فيما يعود عليه بالفائدة فسيكون ذلك أفضل بالطبع ، أما وصف المعارك التي دارت لتحرير البلاد فلا تحتاج إلي تعليق وغاية ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن تسرح يا عزيزي بخيالك الواسع وتتخيل طبيعة هذه المعارك ومدي شراستها وقد لا تصل إلي مستوي الحدث ولكن يمكن أن تقرأ رواية كفاح طيبة للكاتب الكبير نجيب محفوظ وتوفر علي نفسك التخيل وتتركه يتخيل بدلًا عنك بأسلوبه الرائع الأحداث التي مرت بالبلاد أثناء قيام أحمس بطرد الهكسوس فقد اعتمد أحمس علي تهريب المصريين من الشمال للجنوب لإعدادهم للقتال حيث كان معظمهم يعيش تحت الاحتلال وينتظرون القيادة التي تقودهم للكفاح ضد الغزاة الرعاة وكان كل ما يشغل أحمس تجميع**

---

٢٣ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٧٤
مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٧٤
[٢٥] موسوعة مصر القديمة (سليم حسن) ج ٤ صـ ١٦٣ (مكتبة الأسرة)

القوات نفسها من أفراد الشعب ثم تدريبهم وقد نجح في هذه الخطة نجاح ساحق إلي أن حقق أهدافه بالكامل ،

- **وهل ترك أحمس آثار توضح ما حدث في عهده ؟**
- **توجد لوحة جدارية لأحمس في معبد الكرنك تخليدًا لأعماله**
- **سمعت أن الفراعنة كانوا مغرورين جدًا عندما يصفون أنفسهم في كتاباتهم علي الجدران (وقد ورث بعضنا موضوع الكتابة علي الجدران ولكن ليست جدران المعابد ولكن جدران البيوت والمرافق العامة) ، فهل بالفعل كان الفراعنة يثقون في أنفسهم أكثر من اللازم ؟**
- **كان الفرعون عندما يكتب عن نفسه يُمجِّد نفسه بالطبع وسأقرأ لك الآن بعض ما جاء في لوحة الملك أحمس الأول لتكون علي سبيل المثال لا الحصر وستلاحظ أن الملك يحاول توضيح علاقته الوثيقة بالآلهة وهذا أهم شئ بالنسبة له فيقول إنه حبيب الإله آمون مثلًا وابن الإله رع ويشبه الإله حور وهكذا وهذه مقتطفات مختصرة من اللوحة : (--- ابن آمون رع من جسده ومحبوبه ووارثه ، ومن أعطي له عرشه ، الإله الطيب حقيقة ، قوي الساعد - - ، وإنه أمير يشبه الإله رع --- وشديد البأس -- معطي الحياة ومقيم العدالة ، ملك الملوك علي كل الأرض ، وهو واحد في السماء والثاني علي الأرض ، ومن يخلق من صوته النور ، محبوب آمون ، ومن يثبت الوظائف مثل الإله ، المسيطر علي السنين مثل جلالة رع ، ومن استولي علي ما تحيط به الشمس ، ومن ثبت علي رأسه التاج الأبيض والأحمر -- والمضئ الطلعة في شبابه ، ومن قدر لتاجه أعجوبة مزدوجة في كل ساعة ، رفيع الريشتين ، ومن يكون أمامه الصلَّان القويان علي جبينه مثل ما يكونان علي جبين حور عندما يسيطر علي الأرضين وهو ملك له الحياة والسعادة ---)٢٦**
- **طبعًا أنا لم أفهم جيدًا ما تعنيه كل هذه الأوصاف ويبدو أنه يصف الإله أحيانًا ويشبه نفسه به أحيانًا أخري**
- **تعتبر هذه اللوحة نموذج لما كان يمجد به الفراعنة أنفسهم في لوحاتهم الموجودة إلي الآن ، ويقول سليم حسن عن هذا النص الموجود بالكامل في موسوعته (هذا النص علي ما يحتويه من تفاصيل دقيقة وإشارات بعيدة إلي أمور جسام في حياة الفرعون أحمس يري فيه المؤرخون أنه عبارات مدح تقليدية تشغل نحو ستة وعشرين سطرًا منه وستة الأسطر الباقية تعدد إصلاحات هذا الملك التي قام بها لإعادة أثاث معبد آمون وأوانيه وأن الملك لم يشر إلا إشارة عابرة مبهمة عن حروبه في خلال تلك الجمل المملة المتتابعة ولكن الواقع أن هذه اللوحة تعد علي جانب عظيم من الأهمية من الناحية التاريخية والثقافية والأدبية في عهد هذا الفرعون)٢٧**

---

٢٦ موسوعة مصر القديمة (سليم حسن) ج ٤ صـ ٢٠٢ (مكتبة الأسرة)
٢٧ موسوعة مصر القديمة (سليم حسن) ج ٤ صـ ٢٠٤

- **حسنًا ، دعنا نتحدث عما حدث بعد أحمس**

<u>ماذا بعد أحمس ؟</u>

- **كان لدي أحمس زوجات كثيرات بالإضافة إلي أخته (أحمس نفرتاري) وهي أيضًا زوجته وكان عنده أولاد كثيرين منهم امنحتب الأول ابن نفرتاري وهو الذي تولي الحكم من بعده ولكنه لصغر سنه كانت أمه وصية علي العرش وقد قام الملك امنحتب الأول بعدة حروب ناجحة ولكنه توقف لعدم ميله للحروب ولكي تستريح البلاد من رحلة الكفاح الطويلة التي خاضوها مع والده أحمس وقد كانت فترة حكمه فترة استقرار وراحة ويقول عنها سليم حسن (أن المدن قد استعادت حياتها العادية ونمت فيها الزراعة وازدهرت التجارة مما زاد في ثروة مصر وجعلها علي استعداد تام للقيام بفتوحها المقبلة علي يد فراعنتها الشجعان)[٢٨] ثم جاء بعد امنحتب الأول الملك تحتمس الأول وبالمناسبة وقبل أن نترك الملك امنحتب الأول لابد أن نذكر ما قاله عنه أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية حيث ذكر أن هذا الملك كان رفيقًا برعيته طيلة سنوات حكمه الواحد والعشرين التي قضاها علي العرش**
- **فمن هم أهم ملوك الأسرة ١٨ بعد أحمس ؟**
- **إن مجموع ملوك الأسرة ١٨ بالكامل ١٤ ملك واعتقد أنك تعرف معظم أسماءهم دون أن تدري أنهم من هذه الأسرة أو غيرها فمنهم طبعًا الملك أحمس الأول مؤسس الأسرة وتحتمس الثالث مؤسس الإمبراطورية وحتشبسوت صاحبة معبد الدير البحري الشهير ومنهم الملك توت عنخ آمون الذي بهرت مقبرته ومحتوياتها العالم كله عند اكتشافها كاملة وكذلك منهم الملك حور محب القائد الهمام وقد يكون أكثر ملك شهرة هو الملك امنحتب الرابع المعروف باسم اخناتون الذي كان يؤمن بالتوحيد وقام بانقلاب ديني كبير هز كيان الأسرة المالكة بل الإمبراطورية كلها ، وطبعًا لم أذكر أسمائهم طبقًا للترتيب الزمني لهم ولكن سيأتي ذلك أثناء الحوار لأن هذه الأسرة تستحق أن نتحدث عنها لأن عصرها ثري جدًا ومكتوب في موسوعة حكام مصر للدكتور ناصر الأنصاري أن هذه الأسرة الثامنة عشرة حكمت مصر من حوالي سنة ١٥٨٠ ق م إلي سنة ١٣١٤ ق م[٢٩] أي تقريبًا ٢٦٦ سنة ،**
- **٢٦٦ سنة فماذا كان سيحدث لي إذا كنت قد وُلِدت في هذه الفترة ؟**
- **يجب أن أسألك أنا هذا السؤال لتعرف أنك إذا كنت تعيش في ذلك العصر لن تعرف أن الإمبراطورية قد تأسست ثم انهارت ولنبدأ الحديث عن أهم الملوك فقط في هذه الأسرة ولنبدأ بالملكة حتشبسوت**
- **كم كنت أتشوق لمعرفة معلومات عن هذه الملكة**

---

[٢٨] موسوعة مصر القديمة (سليم حسن) ج ٤صـ ٢٣٤

٢٩ موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٣٢

الملكة حتشبسوت(ماعت كا رع)

- **تعتبر الملكة حتشبسوت هي أول شخصية نسائية من الشخصيات البارزة التي حكمت مصر فقد كانت هناك شخصيات نسائية بارزة قبلها في الأسرة ١٧ كما ذكرنا مثل تتي شيري ولكنهن لم يحكمن مصر أما اللاتي حكمن مصر قبلها فلم يكن بنفس مستواها وشهرتها ، وتبدأ قصتها بأن تولي الملك تحتمس الثالث عرش مصر بعد وفاة والده الملك تحتمس الثاني ، ولقد تزوج من ابنة الملكة حتشبسوت الأميرة نفرو رع ليؤكد حقه في وراثة العرش ، وكان تحتمس عند تتويجه صغير السن وكانت حتشبسوت زوجة أبيه وأم زوجته وعمته في آن واحد امرأة قوية ناضجة طموحة تحمل الألقاب (ابنة الملك ، أخت الملك ، الزوجة الملكية ، الزوجة الإلهية لآمون)[٣٠] فاستطاعت بقوة شخصيتها منذ البداية أن تتولي شئون البلاد وأن تدير دفة الأمور ، ولم تكن حتشبسوت بالمرأة التي تكتفي بهذا ، فتمكنت في العام الثاني من حكم تحتمس الثالث من أن تنحيه عن العرش نهائيًا ، بل أرغمته علي الاعتكاف وأمرت بتتويجها بموافقة الإله آمون ورغبته كما هو منقوش علي جدران معبدها الجنائزي بالدير البحري بطيبة ،**
- **طبعًا الرغبة المزعومة للإله المزعوم أيضًا كانت وسيلة تدَّعيها لإضفاء الشرعية علي حكمها بالتأكيد**
- **بالطبع ، وهكذا أصبحت حتشبسوت ملكة علي مصر ، وقامت بدور الإله حورس ومثلته علي الأرض ، واتخذت لقب ابن الشمس بل تشبهت بمظهر الرجال وارتدت زيهم ، كما استعملت الذقن الملكية المستعارة الخاصة بالملوك ، ولقد حكمت الملكة حتشبسوت مصر ما يقرب من ٢٠ سنة كرست فيها كل جهودها للإنشاءات المعمارية ، وذلك غير حملة عسكرية واحدة أرسلتها إلي النوبة للقضاء علي الثوار هناك ، ولقد أبحرت خمس سفن ضخمة في عهد حتشبسوت إلي بلاد بونت ، قرب الصومال لإحضار منتجات هذه البلاد إلي مصر وقد صورت هذه الرحلة البحرية التي تعتبر من أهم النقوش لدراسة بلاد بونت ومنتجاتها علي جدران معبدها بالدير البحري ، كما أرسلت الملكة حتشبسوت التي حكمت مصر من حوالي ١٤٧٨ ق م إلي سنة ١٤٥٨ ق م ، بعثات إلي محاجر أسوان لإحضار الزوج الأول والثاني من مسلاتها ، ولقد استغلت مناجم الفيروز بشبه جزيرة سيناء خير استغلال ، أما معبدها الجنائزي فهو المعبد المشهور الآن باسم معبد الدير البحري بالبر الغربي بطيبة حيث احتضنه الجبل في حنان ، ويتكون من ثلاثة طوابق يتوسطها طريق صاعد إلي أعلي في المنتصف**
- **هل يمكن أن تقرأ وصف لهذا المعبد إن كان متوفرًا لديك الآن ؟**
- **رواق المدرج الأول : ناحية اليمين يشاهد الزائر فيه مناظر صيد الطيور بالشباك والقوارب ، أما ناحية اليسار وعلي الجدار الخلفي فصور احتفال نقل المسلات من أسوان بواسطة النيل علي قوارب كبيرة ونري حتشبسوت تقدم قربانًا للإله آمون ، المدرج الثاني : يري (إيوان الولادة) وتمثل مناظره الميلاد المقدس للملكة حتشبسوت ، ويري الزائر في أقصي اليمين مقصورة مكرسة لعبادة الإله أنوبيس حارس**

[٣٠] لاحظ عزيزي القارئ أن الألقاب عند الفراعنة في غاية الأهمية ولذلك كانوا يحرصون علي تدوينها في مقابرهم

الجبانة وعلي اليسار من الناحية الأخري (إيوان بونت) وعلي جدرانه نقوش تمثل البعثة التجارية التي أرسلتها حتشبسوت إلي بلاد بونت (الصومال حاليًا) ، المدرج الثالث : يوجد فناء تزين واجهته الأعمدة التي يستند إليها بعض تماثيل ملكية في هيئة أوزيريس ، ويتوسط هذا الفناء باب من الجرانيت الأحمر الجميل عليه نقوش باسم الملك تحتمس الثالث الذي أزال اسم حتشبسوت ، أما ناحية الشمال فتوجد حجرة فيها الصورة الوحيدة الباقية لحتشبسوت والتي سلمت من أيدي المخربين[٣١]

- **من الواضح أن تحتمس الثالث كان يكره هذه المرأة بشدة وحاول التخلص منها وخرب ما قامت بتشييده**
- **بالتأكيد فمواهبه لم تظهر إلا بعد موتها أو مقتلها أو أيًا كانت نهايتها التي ربما كانت مأساوية ، ولنتحدث الآن عن مؤسس الإمبراطورية المصرية نابليون العصر الفرعوني**
- **دعنا قبل أن نتحدث عن مؤسس الإمبراطورية المصرية نتحدث عن دوافع وأسباب تأسيس هذه الإمبراطورية فمثلًا هل كانت طموحات شخصية بحتة أم أن هناك مبررات حربية لها وهل كانت أول إمبراطورية في التاريخ ؟**
- **أعتقد أن ما كتبه د جمال حمدان عن هذا الموضوع سيكون إجابة شافية لأسئلتك الوجيهه**
- **فماذا كتب عن هذا الموضوع ؟**

<u>أول إمبراطورية في التاريخ كانت في مصر</u>

- **في كتاب مختارات من شخصية مصر للدكتور جمال حمدان حيث كتب ما ملخصه : السؤال الأول هو : لماذا أول إمبراطورية ؟ من الواضح أن عوامل الطبيعة ، عوامل الموضع والموقع ، تتضافر هنا لتمنح مصر ثقلًا غير عادي من البداية ، والموضع الجغرافي كما قلنا هو البيئة الطبيعية المحلية داخل مصر نفسها – شكلها وطبيعتها ووزنها ، فهي كواحة فيضية تستقطب حول النهر قد تجانست بشريًا وتوحدت سياسيًا منذ البداية وعلمتها دورة النهر النظام والقانون ثم منحتها زراعة الري (قاعدة أرضية) تعد بمقياس العصر ضخمة هائلة ، قوة إنتاجية سخية ، واكتفاء ذاتي تقريبًا وقوة بشرية نادرة قوامها الكثافة لا المساحة ، وعلي ضوء إمكانيات الري الحوضي يمكن أن نقدر قوة تحمل مصر بالسكان طوال العصور القديمة هذه بنحو ١٢ مليون ، مع احتمالات خطأ معقولة ، وحول هذا كله كانت الصحراء (الرحم الجغرافي) الذي ولد فيه هذا الموضع في الأول ، ثم (الدرقة) الطبيعية التي حمته جميعًا بعد ذلك ، إن أولي الإمبراطوريات في التاريخ –رغم فولتير وإمبراطورية المناخ– هي إمبراطورية النيل ، فإذا أرسلنا النظر عبر الصحراء رأينا أننا إنما نقف في واسطة العقد في كل معني ، فحولنا منتثرًا في كل الجهات شتيت من شعوب وجماعات ضئيلة الحجم والوزن ضعيفة الموارد والتنظيم – – –**

[٣١] نقلًا باختصار عن كتاب هؤلاء حكموا مصر - من مينا إلي مبارك - إعداد حمدي عثمان – المراجعة العلمية د ناصر الأنصاري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠١٢

والحقيقة أن مصر طوال الجزء الأكبر من تاريخها القديم ، كما كانت النواة النووية لمنطقة حضارية بكاملها ، هي معظم العالم المعروف حينئذ ، كانت أيضًا من الناحية الاستراتيجية النواة النووية لمنطقة قوة عالمية لا تكاد تختلف في الامتداد والأبعاد بلغة ماكيندر كان الشرق القديم هو (هارتلاند) العصور القديمة ومصر محور ارتكازه PIVOT AREA ، بهذا كله كانت مصر القمة والقلب معًا ، القمة موضعًا والقلب موقعًا ، وبفضل هذا الأخير كان من السهل عليها أن تمد زراعيها بعيدًا يمينًا ويسارًا وشمالًا وجنوبًا – – – من الناحية الأخري كان طبيعيًا أن يغري ثراء مصر وخصبها بعض هذه الأطراف الفقيرة إما في تسللات متلصصة أو في مغامرات تشنجية ، لا تخرج في مجموعها عن طمع من جانب الرمل في الطين ، أو الرعاة في الزراع ، وبهذا أصبحت أرض التخوم بالنسبة لمصر هي أرض المعركة ، والمعركة التأديبية أساسًا ، بينما لا يقل نطاق الأمان من حولها عن الشرق الأوسط تقريبًا

- **بمعني أن الأمن القومي لمصر في ذلك الوقت كان يشمل الشرق الأوسط الحالي بسبب طمع الجميع في استيطانها والهجرة إليها ، أعتذر للمقاطعة ، أكمل القراءة من فضلك**
- **ومن هنا توسعت الإمبراطورية إلي حدودها القصوي كلما أمكنها ذلك ، لا كاستعمار بالمعني المفهوم وإنما لنشر السلام المصري ، بل إننا لنستطيع أن نزعم بقليل من خشية أن الإمبراطورية المصرية كانت في جوهرها وفي معني ما (إمبراطورية دفاعية) أساسًا حتمتها ظروف الصراع الإقليمي والاستراتيجية العريضة في الشرق القديم[٣٢]**
- **إذن لقد كان التوسع حتمي وليس لتحقيق أمجاد شخصية**
- **لقد وصفها الدكتور جمال حمدان بأنها كانت إمبراطورية دفاعية مع بعض التحفظات**
- **نعود للحديث عن الإمبراطور تحتمس الثالث**

<u>تحتمس الثالث والإمبراطورية</u>

- **لم يكد تحتمس الثالث يصبح حاكم البلاد ، حتي اضطربت أحوال البلاد الآسيوية فكون الآسيويون حلفًا ، فزحف تحوتمس الثالث بجيوشه وانتصر علي أعداءه في معركة مجدو الخالدة التي تحفظ لنا الآثار تفاصيلها الكاملة ، مبتدئًا بذلك هذه السلسلة من المعارك التي بلغت سبعة عشرة حملة ، استولي في بعضها علي الساحل الفينيقي كله ، جعلت منه أشبه بنابليون مصر في ذلك التاريخ البعيد ، وأعظم هذه الحملات تلك التي قام بها في السنة الثانية والثلاثين من حكمه والتي بلغ فيها الفرات ودُونِت وقائع تلك الحملة علي جدران معبد الكرنك وعلي لوح جبل بركل فهابته الملوك والأمراء والدول في هذه الأنحاء ، وراحوا يخطبون وده بالهدايا والجزية ، وقد اتبع تحتمس الثالث سياسة حكيمة ، فلم يمس عقائد الشعوب أو قوانينهم وترك لحكامهم الأصليين مباشرة سلطانهم شريطة أن يدفعوا لمصر الجزية**

[٣٢] نقلًا عن كتاب (مختارات٣- من شخصية مصر) – مكتبة مدبولي

في مواعيد مقررة ، وعمل علي أن يتعلم أنجالهم بمصر ليغرس في قلوبهم حب مصر وليعودوا إلي بلادهم وكلهم عطف ومحبة علي البلد الذي علمهم ، وقد صاغ كهنة آمون ملحمة شعرية رائعة يتغنون فيها بأمجاد فرعون وفيها تلخيص لكل معاركه وحروبه وفي هذا النشيد يخاطب آمون فرعون ولده تحتمس الثالث – – -- وكان تحتمس الثالث قائدًا حربيًا ممتازًا لم يكلف أحدًا من رجاله القيام بعمل صعب ، فكان يتقدم هو الصفوف ، وكان إداريًا ممتازًا فقد وصفه وزيره رخ مي رع أنه كالصقر الذي يري ما لا يبصره البشر العادي واتصفت حملاته بلون آخر ، فإلي جوار الكتاب العسكريين والفنانين والرسامين الذين كان يصطحبهم معه ، فقد أخذ في ركابه بعض علماء الحيوان والنبات الذين احضروا بعضها إلي مصر ، وأقام تحوتمس الثالث المسلات التذكارية فشاد اثنتين منها في معبد الكرنك واثنتين في مدينة الشمس ،

- **وأين هذه المسلات حاليًا أم أنها مازالت في أماكنها الأصلية ؟**
- **وكأن القدر شاء أن يخلد تحوتمس الثالث ، فتوزعت مسلاته الأربع في أرجاء المعمورة ، تختال بها بلاد العالم العظمي ، وتقف في أعظم ميادينها ناطقة بعظمة تحتمس الثالث ، تقف إحدي مسلاته في مدينة القسطنطينية – أحضرها الإمبراطور الروماني تيودوسيوس ٣٧٩-٣٩٥م – ، وتقف الثانية في مدينة روما أمام قصر لتران وتقف مسلة ثالثة أهداها محمد علي لحكومة إنجلترا في مدينة لندن علي شاطئ التيمس ، كما أهدي الخديوي اسماعيل المسلة الرابعة إلي حكومة الولايات المتحدة ، حيث تقوم في حديقة السنترال أعظم حدائق نيويورك ،**
- **وطبعًا مات تحتمس الثالث قبل أن يعرف أن إمبراطوريته قد انهارت**
- **ومات تحتمس الثالث بعد أن حكم أربعًا وخمسين سنة وتجاوز عمره السبعين عامًا[٣٣] ، وفي عهد هذا الملك تم إنشاء البحيرة المقدسة بمعبد الكرنك بطول ٨٠ مترًا، وعرض ٤٠ مترًا، وكان يحيط بها سور. ويوجد على جانبيها الشمالي والجنوبي مقياس للنيل ، له مدخلان أحدهما من الجهة الشرقية، والثاني من الناحية الغربية بكلا منها سلالم حجرية تلك التى كان يغتسل فيها الكهنة قبل أداء المراسم الدينيه او الاحتفالات القوميه التي تقوم الآلهه بحضورها. وكان يتم تغذيتها عن طريق قناة تصل البحيرة بمياه النيل والاعجاز في هذه البحيرة ان المياه فيها ثابتة ولا يزيد منسوب المياه او ينقص حتى مع تغير ارتفاع او نقصان منسوب النيل من أكثر من ٣٠٠٠ سنة ولم تجف البحيرة أبدا وهذا واحد من اهم براهين اثبات عبقرية المهندس المصري القديم مياه منسوبها ثابت لا يقل رغم عوامل البخر والفقد والتسرب**
- **ولكن لا عجب فهو المهندس المصري الذي شيد وبني وعمر وحير كل مهندسي التاريخ ،**

[٣٣] ملخص ما ورد عن الملك تحتمس الثالث بالجزء الأول من موسوعة تاريخ مصر للأستاذ أحمد حسين من صفحة ١٠٣ وما بعدها تحت عنوان حكم تحتمس الثالث – حوالي سنة ١٤٦٨ قبل الميلاد

- **وجدير بالذكر أن الملك تحتمس الثالث هو سادس ملوك الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية بالدولة الحديثة وكانت طيبة عاصمة ملكه تتدفق إليها خيرات العالم القديم وعن هذا الموضوع كتب شيخ الأثريين أحمد فخري : (كانت طيبة في أيام تحوتمس الثالث عاصمة العالم القديم ، وكانت تتدفق عليها خيرات إفريقيا وآسيا وجزر البحر المتوسط ، وكان يفد إليها كل عام رسل جميع البلاد يحملون خير ما استطاعت بلادهم تقديمه من ذهب وفضة ، ومعادن أخري وأحجار كريمة ، ومصنوعات مختلفة ، وكان موظفو الخزانة هم المسئولون عن تسلم هذه الهدايا وأنواع الجزية ، كما كان الوزير يستقبلهم بحكم منصبه ليقدمهم إلي فرعون ، وكثيرًا ما سجل كبار موظفي ذلك العهد هذه المناظر علي جدران مقابرهم فأصبحت مقابر طيبة سجلًا جامعًا لحضارات بلاد الشرق القديم في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، إذ سجل الفنانون المصريون ما رأوه فرسموا وفود هذه البلاد بملابسهم الوطنية ، وما كانوا يحملونه من مصنوعات بلادهم ومحاصيلها ، وقد زال أثر تلك الحضارات من كثير من بلاد آسيا ، وجزر البحر الأبيض والسودان ، وأصبحنا نعتمد علي مقابر طيبة وحدها كالمصدر الأول لدراسة حضارات تلك البلاد والشعوب –) ٣٤**
- **بمعني أن لدينا في طيبة سجل تاريخي حافل للحضارت التي كانت موجودة في ذلك الوقت ، ومن يريد أن يعرف كيف كان يعيش أجداده وماذا كانوا يرتدون من ملابس وماذا كانوا ينتجون من منتجات فليحضر إلي مصر ليتعرف علي حضارة بلاده في عهد الإمبراطورية المصرية ، يالها من فترة نادرة في تاريخ مصر ، ولكن أين تم دفن تحتمس الثالث ؟**
- **في وادي الملوك**
- **ومن أول من تم دفنه في وادي الملوك ؟**
- **الملك تحتمس الأول الذي جاء بعد امنحتب الأول وكان أحد أمراء الأسرة ولم يكن ابن امنحتب الأول لأن الأخير لم ينجب بنين ولكن تحتمس الأول تزوج من ابنة امنحتب الأول ليضفي شرعية علي حكمه السعيد وكان تحتمس هذا عندما تولي الحكم رجل ناضج قد جاوز الأربعين من عمره وقد وضع اللبنة الأولي في صرح الإمبراطورية المصرية وكان قائد عسكري من الوزن الثقيل واتسعت حدود مملكته وحكم مصر حوالي ٣٠ سنة وترك العديد من الآثار الخالدة وكان هذا الملك أول من قرر الإقلاع عن التقليد القديم وهو الدفن في هرم أو مقبرة يعلوها هرم وفضل أن يدفن في مكان خفي بعيدًا عن العيون ووجدت مقبرته في المكان المعروف حاليًا بوادي الملوك٣٥ وبالمناسبة لقد كانت هذه الأسرة من أكثر الأسر التي تركت آثارًا ضخمة خالدة إلي الآن ومعظمها في الأقصر ،**

---

[٣٤] مصر الفرعونية – أحمد فخري صفحة ٢٩٧

٣٥ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٨٢

- **واضح أن تصرف هذا الملك كان تصرف منطقي لأن كل المقابر الضخمة والأهرامات وخلافه تكون واضحة للجميع وعند حدوث أي مشاكل أو ثورات يتم اقتحامها بسهولة وسرقتها وإلقاء المومياء خارجها وبالتالي فالأضمن إخفاء القبر تمامًا عن العيون ومن الممكن إظهار المعبد فقط ، هل تعرف شيئًا عن الملك تحتمس الثاني ؟ لأننا قفزنا إذا جاز التعبير إلي حتشبسوت وتحتمس الثالث ولم نذكر أي معلومات عن من قبلهم من ملوك إذا كانت معلومات تستحق أن تقال**
- **بالفعل لقد أغفلنا الحديث عن تحتمس الأول برغم أنه وضع أول لبنة في صرح الإمبراطورية المصرية وجاء الفرعون تحتمس الثاني بعد موت تحتمس الأول ويعتبر رابع ملوك الأسرة ١٨ وكان هذا الملك تحتمس الثاني رجل مريض علي ما يبدو وليس له طموحات وأهم ما حدث في عهده القضاء علي ثورة نشبت في شمال السودان حيث كانت هذه البقعة تحت سيطرة الأسرة ١٨ في ذلك الوقت ، وهذا الملك كانت له زوجة هي أخته في نفس الوقت وهي حتشبسوت التي تكلمنا عنها وكانت لها شخصية طاغية وقوية كما ذكرنا وهي أحق بوراثة العرش لأنها بنت الأميرة الوراثية ذات الحق في الوراثة أما باقي أبناء الملك تحتمس الأول فقد كانوا أبناء زوجات ثانويات ومنهم طبعًا الملك تحتمس الثاني الذي كان أصغر منها سنًا وكان يشعر بأنه دون أخته (زوجته حتشبسوت) في المرتبة الاجتماعية وقد كانت هذه السيدة شريكته في الحكم وكانت صاحبة الأمر والنهي وقد ورثت الشخصية القوية عن نساء هذه الأسرة العظيمات اللاتي ذكرناهن**
- **وطبعًا بمجرد موت تحتمس الأول قامت صراعات علي الحكم انتهت بالزواج لحل المشكلة أليس كذلك ؟**
- **بالفعل فالزواج في تلك الفترة كان يحل مشاكل عديدة خاصة بشرعية الحكم فبعد أن مات زوجها تحتمس الثاني تزوجت من ابنه (من زوجة أخري) تحتمس الثالث لتشاركه الملك أيضًا واستمرت في وضعها من القوة والسيطرة ويقال أن تحتمس الثالث هو أخ أصغر لتحتمس الثاني وليس ابنه ، وسواء كان تحتمس الثالث قد تزوج أخته أو عمته حتشبسوت فهذا لم يغير شئ من فرض سطوتها وجبروتها علي الجميع ، بل إن مواهب تحتمس الثالث لم تظهر إلا بعد وفاة حتشبسوت التي كان يكرهها بشدة فقد كانت تعامله باحتقار علي ما يبدو فلما ماتت قام بتحطيم تماثيلها ومحو اسمها من المعابد وما إلي ذلك من الأعمال الانتقامية ويقول أحمد فخري أن علماء الآثار لم يعثروا علي جثتها وعموما قد تكون نهايتها نهاية مفجعة بلا شك[٣٦] ، ومع ذلك تم الإعلان مؤخرًا عن اكتشاف جثة يحتمل أن تكون جثة حتشبسوت وكانوا يعتقدون أنها جثة سيدة أخري .**
- **موضوع أنها عمته أو أخته بالطبع قد يشغل المهتمين بالتفاصيل التي لا تقدم ولا تؤخر في العبرة التاريخية**

[٣٦] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٨٨

- **بالتأكيد فهل مثل هذا الاختلاف في الرأي قد يؤدي إلي مشاكل كبيرة جدًا أم أن مضمون الحدث هو الأساس ؟ ، الغريب أن مثل هذه االأمور يتم مناقشتها أحيانًا بعصبية شديدة وفي فترات أخري أهم من تاريخ مصر وتضيع الحقيقة الأساسية المقصود منها العبرة في وسط كلام فارغ (عمته لا بل أخته لا بل خالته)**
- **بهذا الكلام تم بلورة قصة بداية الأسرة ١٨ وتحتمس الثالث فماذا بعد تحتمس الثالث ؟**
- **إن هذا الملك أراح المؤرخين جدًا فقد كان يصطحب معه في حملاته كتابًا يسجلون تفاصيل ما يحدث ويكتبون التقارير عن المعارك٣٧ وبالتالي كان من السهل معرفة أدق تفاصيل معاركه وحملاته التي بلغ عددها ١٦ حملة عسكرية٣٨ وكان يعتمد علي الأسطول مع قواته البرية وكان بارعًا في وضع الخطط الحربية وتنفيذها ولا يأمر جنوده بأي أمر لا يستطيع أن يفعله هو شخصيًا وكان شجاعًا لدرجة غير عادية فتراه دائمًا في مقدمة الصفوف في أشد مراحل المعركة شراسة ، ويقال أنه أول من قام بتقسيم الجيش إلي ميمنة وميسرة وقلب وقد استطاع السيطرة علي جميع البقاع المعمورة في ذلك الوقت في الأرض وكانت طيبة في أيامه عاصمة العالم القديم وكانت تتدفق عليها خيرات أفريقيا وأسيا وجزر البحر المتوسط٣٩ ، ويعتبر هذا الرجل من الشخصيات البارزة التي تحدثنا عنها من قبل واستطاع أن يفرض نفسه علي كتب التاريخ**
- **يبدو أنك مولع بالحديث عن هذا الملك ، فلقد تكلمنا عنه بما فيه الكفاية فما الداعي للمزيد من الكلام إلا إذا كنت بالفعل معجب بهذا النوع من القادة ، وأرجو أن تحدثني عما حدث بعد موته**

<u>امنحتب الثاني يؤكد سيطرته</u>

- **معك كل الحق فلنكمل الحديث ، فبعد أن مات تحتمس الثالث خلفه علي العرش ابنه امنحتب الثاني الذي نشأ وترعرع علي دقات طبول الحرب ورأي العالم كله ينحني أمام أبيه صاحب الشخصية الفذة والذي قام بتربية ابنه تربية عسكرية تحت إشراف أحد ضباطه الموثوق بهم**
- **ومن المؤكد أن الضابط الذي كان يدرب امنحتب الثاني قد سجل ذلك في مقبرته**
- **بالطبع فجدران المقابر يا عزيزي توضح الكثير والكثير عن العصور الفرعونية لأن كل شخص كان يسجل كل أعماله التي يفخر بها داخل مقبرته كما ذكرنا وهذا الحدث يستحق التسجيل ليؤكد أنه كان يدرب ابن الملك تحتمس الثالث (إذ نري صورته علي أحد جدران مقبرة الضابط "مين" بطيبة وهو الذي كان يشرف علي تربية أمنحوتب العسكرية ويعلمه الرماية ، وهو يوجه الحديث لأمنحوتب قائلًا : شد القوس حتي أذنك مستعم كل ما في ذراعيك من قوة وثبت السهم يا أمير أمنحوتب)[٤٠]**

---

٣٧ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٨٩
٣٨ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٩٢
٣٩ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٢٩٧
[٤٠] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ١٨٨

- **فهل كان هذا الملك مقاتل شجاع علي نفس مستوي والده ؟**
- **بمجرد موت تحتمس الثالث أعلنت بعض الولايات في سوريا استقلالها عن الحكم المصري وهذا بالطبع يعد استخفافًا بامنحوتب الثاني فقام علي رأس جيش وخاض معركة انتقامية بشعة نكل فيها بأعدائه أشد التنكيل مما أدي إلي توطيد أركان إمبراطوريته وعرف الجميع أن الجالس علي العرش لا يقل قوة عن أبيه وسارعت كل الولايات بإرسال الهدايا وتقديم فروض الطاعة للملك الجديد ، وظل امنحتب الثاني جالس علي عرش الإمبراطورية لمدة ٢٥ سنة٤١ كاملة ثم مات ودفن في وادي الملوك كما مات من قبله وكما مات من بعده وسبحان الحي الذي لا يموت ،**
- **فماذا حدث بعد موته ؟**
- **تولي الحكم تحتمس الرابع آخر الملوك المحاربين في الأسرة ١٨ وجاء بعد صراع علي الحكم مع أخوته بعد وفاة أبيه امنحوتب الثاني ، وكان تحتمس الرابع ملك محارب مثل أبيه وجده ويعتبر آخر الملوك المحاربين في هذه الأسرة٤٢ وقام بعدة حملات لإعادة النظام في بعض الولايات الخاضعة للإمبراطورية وترك العديد من الآثار الموجودة حتي الآن (ومن أشهر الآثار الباقية من عهده ، اللوحة الجرانيتية التي ترجع للعام الأول من حكمه وهي المقامة للآن بين مخالب تمثال أبو الهول بالجيزة ، ويقص علينا تحتمس الرابع من خلال نص منقوش عليها ، أنه ذهب عندما كان شابًا ليحتمي بظل أبو الهول وذلك بعد رحلة صيد مرهقة فغلبه النعاس فرأي فيما يري النائم الإله حور–ام–أخت "المجسد في تمثال أبو الهول " يبشره بتاج مصر عندما يحرره من الرمال التي عليه ، ويبدو أن الملك تحتمس الرابع قد حقق للإله حور–ام–أخت رغبته بعد توليته العرش مباشرة ، هذه القصة تؤكد أن تحتمس الرابع لم يكن الوريث الشرعي ولهذا اختلق هذه النبوءة لكي يفسر لنا أن اختياره قد تم بواسطة الإله حور –ام–أخت)٤٣ وتسمي هذه اللوحة بلوحة الحلم**
- **طبيعي كما ذكرت أن يتم اختلاق هذه النبوءة خلال وجود صراع علي العرش ، فهل ترك آثار أخري بخلاف النبوءة المزعومة بين مخالب أبو الهول**
- **لقد ترك آثار أخري بالطبع من بينها مسلة موجودة حاليًا في روما وتعتبر من أعلي المسلات المصرية إذ يصل ارتفاعها إلي ٣٠.٧ متر (وقد خطي تحتمس الرابع خطوة جريئة في السياسة الخارجية وهي أنه تزوج من ابنة الملك الميتاني "ارتاتاما" وهي خطوة لها أكثر من مدلول إذ أن هذا الزواج الدبلوماسي يؤكد اعتراف فرعون مصر بدولة الميتاني وفي نفس الوقت يعلن إنهاء حالة الحرب بين مصر وهذه الدولة وأصبحت من الآن مملكة الحيثيين هي العدو المشترك لمصر وللميتانيين وقد أطلق المصريون علي هذه الأميرة الميتانية اسمًا مصريًا هو "موت أم أويا" وهي التي أصبحت فيما بعد أم**

---

٤١ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٠٥

٤٢ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٠٧

[٤٣] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ١٨٩ ،

الفرعون المصري أمنحوتب الثالث)٤٤ وقد مات تحتمس الرابع شابًا حيث دام ملكه ١٤ سنة فقط ، وكان قد تولي الملك وهو في العشرين من عمره فمات وقد بلغ ٣٤ سنة ودفن في وادي الملوك

- **عظيم جدًا ، فماذا بعد ؟**

<u>الملك امنحتب الثالث وزوجته الملكة (تي)</u>

- **بعد أن مات تحتمس الرابع تولي ابنه الملك امنحتب الثالث حكم مصر وكان لا يميل للحروب وبدأ في عهده ما يسمي (أيام السلم)٤٥ وقد تزوج هذا الفرعون فتاة من عامة الشعب ولم يتزوج أميرة ملكية وطبعًا مصر في عهده كانت قد تأثرت بثقافات وحضارات الشعوب الأخرى التي شملتها الإمبراطورية المصرية فأصبح المصريون أكثر مرونة في تقاليدهم الدينية القديمة وبالمناسبة زوجته كان اسمها (تي) وفي هذا العصر بدأ المصريون يقيمون التماثيل للملكات جالسات جنبًا إلي جنب بجوار الملوك وفي نفس الحجم وعندما جلس هذا الفرعون علي عرش مصر كانت الخزائن عامرة بالذهب وجميع الولايات مستقرة ، وكانت الخيرات تعم البلاد وبدأ الناس يعيشون حياة الترف والمتعة وازدهر الفن وإقامة المباني الرائعة ذات النقوش البديعة في كل مكان**
- **أشعر أن الأمور ستتدهور أليس كذلك ؟**
- **بالفعل لقد كان هذا الفرعون وزوجته من أصحاب الذوق الفني الرفيع ، ولم يفكر هذا الفرعون أن يذهب إلي أي مكان في إمبراطوريته الشاسعة ليراه الناس ويرهبونه هو وجيشه إنما عاش حياته يتمتع بالرفاهية ، واستمتع بالرقص والغناء ولأن الناس علي دين ملوكهم فإن هذه الروح انتشرت في المجتمع المصري**
- **هذا الملك خير مثال علي الأحفاد الذين يعيشون حياة الترف والمتعة ويضيعون ما صنعه الأجداد العظماء فقد ولدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب ،**
- **أليس من المحتمل أن تكون أمه الميتانية هي السبب في تأثره بعادات غير مصرية وجعلت منه شاب لا يرقي لمستوي فراعنة مصر الكبار السابقين**
- **أكيد امنحتب الثالث قد ضعفت صحته من كثرة الملذات وأصبح رجلًا محطمًا**
- **نعم مما أدي إلي سيطرة الملكة (تي) علي مقاليد السلطة في يدها كما أنه أشرك ابنه معه في الحكم في أواخر أيامه وهذا الابن هو الملك امنحتب الرابع المعروف باسم اخناتون ،**
- **أشم رائحة انهيار الإمبراطورية المصرية مع وصول اخناتون للحكم**

---

٤٤ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ١٩٠

٤٥ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٠٩

امنحتب الرابع (اخناتون)

- **في الحقيقة بدأ امنحتب الرابع المعروف حاليًا باسم اخناتون بداية عادية جدًا كأي ملك في طيبة وقام بتقديم الولاء لإله الدولة آمون واتخذ لنفسه الألقاب الخمسة التقليدية المتوارثة وتزوج من نفرتيتي صاحبة أشهر تمثال لامرأة فرعونية حاليًا (رأس نفرتيتي وهو غير موجود بمصر بالطبع) ، وكانت أمه الملكة تي تساعده في الحكم في سنواته الأولي**
- **الملكة تي التي هي من عامة الشعب**
- **نعم (وتوضح لنا مراسلات تل العمارنة – أن الملكة تي أم أمنحوتب الرابع قد أرسلت للملك الميتاني توشراتا خطاب تبلغه فيه بموت زوجها أمنحوتب الثالث وترجوه أن يستمر في صداقته وعلاقته الودية مع ابنها فرعون مصر الجديد أمنحوتب الرابع وقد أجاب توشراتا –وهو ابن الملك السابق – علي خطاب تي بأن عليها أن تقنع ابنها بالمحافظة علي هذه العلاقات الودية بين مصر ودولة الميتاني وقد يستدل من هذه الخطابات أن أمنحوتب الرابع لم يعتل عرش مصر إلا بعد وفاة والده – أي لم يكن شريكا معه في الحكم – وفي نفس الوقت برهان علي قوة نفوذ الملكة تي سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية) ٤٦**
- **من الجيد أن تتواجد سيدة بهذه القوة والذكاء لتساعد ابنها الملك في بداية توليه الحكم**
- **(وما كادت الأمور تستتب لاخناتون حتي بدأ يفكر في دينه الجديد والدعوة له ، الدعوة إلي إله واحد يكمن في قرص الشمس أطلق عليه آتون)٤٧**
- **وهذا يُعد انقلاب ديني خطير علي معابد آمون وباقي الآلهة المزعومة في طيبة**
- **بالطبع فقد أقام معبد لعبادة قرص الشمس التي كان يعتبرها مصدر القوة مما جعل كهنة آمون يشعرون بالخطر علي الآلهة أمام هذا الانقلاب الديني الكبير بالرغم أن الشمس كانت تعبد من قبل بصورة أو بأخرى ، ثم قام بتغيير اسمه من امنحتب الرابع إلي إخناتون وترجمتها (المفيد للشمس)٤٨ واشتد العداء بينه وبين كهنة آمون بل إن أبيه وأمه غضبوا منه كثيرًا لأنهم كانوا مشاركين له في الملك حتي هذه الفترة في بعض الروايات والآراء وبدأت الولايات واحدة واحدة تنفصل عن حكم مصر وتتداعي أركان الإمبراطورية التي أقامها أجداده المحاربين وهو غير مهتم ،**
- **فهل ترك طيبة ؟**
- **نعم وقام بتشييد عاصمة جديدة له ولعائلته ولأتباعه وأطلق عليها "أفق آتون" وهي المدينة المعروفة حاليًا بتل العمارنة علي البر الشرقي للنيل بالقرب من ملوي٤٩ مما أدي إلي تدبير مؤامرات لقتله**

---

[٤٦] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ١٩٨
[٤٧] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ١٩٩
[٤٨] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣١٧
[٤٩] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٠١

والتخلص منه لإنقاذ الأسرة المالكة ، وكان إخناتون يرفض أن يُعبد أي إله آخر سوي الإله آتون (قرص الشمس) وأعلن التوحيد والتخلص من تعدد الآلهة وهذا طبعًا سيؤدي إلي إن الكهنة سيفقدون مكانتهم

- **هل لديك نماذج من أقواله ؟**
- **سأعطيك فكرة بسيطة عن النشيد الذي كان يتعبد به إلي الإله الواحد الذي يعبده لتتعرف علي طبيعة أفكار هذا الملك وإليك مقطع صغير من أحد أجزاء النشيد من منتصفه تقريبًا (ما أعظم أعمالك التي عملتها ، إنها خافية علي الناس أيها الإله الأوحد ، الذي لا شبيه له ، لقد خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك ، الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما علي الأرض يسعي علي قدميه وكل ما يرتفع في السماء يطير بجناحيه ، تضع كل شئ في مكانه إنك أنت الذي يمدهم بما يحتاجونه ويحصل كل شخص علي طعامه وسنوات حياته مقدره له)[٥٠] وطبعًا لا تعليق علي ما ورد في هذا النشيد لكن من المهم أن نعرف أن اخناتون وعائلته فقط هم المسموح لهم بعبادة الإله آتون لأن اخناتون اعتبر نفسه الخادم الأول للإله آتون أما رعيته فكانوا يقدسون اخناتون الذي أصبح في مصاف الآلهة فقد ثبت أن اخناتون نفسه كان له كاهن مخصص له ويحمل نفس لقب اخناتون بالنسبة لآتون[٥١] ،**
- **فماذا حدث للإمبراطورية المصرية ؟**
- **الإمبراطورية المصرية كانت تحتضر وفي طريقها إلي الموت ولم يتبقي سوي إعلان وفاتها ، وبالمناسبة اخناتون كان لديه ثلاثة بنات فقط ماتت إحداهن وهي صغيرة ولم يكن له أولاد ذكور وكانت عاصمة ملكه العمارنة بعيدًا عن طيبة التي مات فيها والده وبقيت أمه (تي) التي قررت أن تنغص عليه حياته وتوقع بينه وبين زوجته نفرتيتي علي ما يبدو حيث أنها زارته في العمارنة وظلت ضيفة عنده لفترة ثم عادت إلي طيبة مرة أخري ومن بعد هذه الزيارة ساءت العلاقات جدًا بين اخناتون وزوجته وكل منهما أقام وحده ، وكان يوجد إخوة صغار لإخناتون في الغالب منهم أمير اسمه (سمنخ كا رع) والثاني اسمه (توت عنخ آتون) وكان اخناتون يميل أكثر إلي (سمنخ كا رع) فقام بتزويجه من ابنته وجعله شريكًا له في ملكه بينما عاش توت عنخ آتون في ضيافة نفرتيتي بعيدًا عن اخناتون ثم بدأت المؤامرات التي في الغالب قادتها الملكة الأم (تي) وقائد الجيش (حور محب) علي ما يبدو للتخلص من اخناتون وشريكه في الملك (سمنخ كا رع) وتم اغتيال (سمنخ كا رع) ثم بعد ذلك تم قتل اخناتون أيضًا بعد عامين من قتل شريكه في الملك**
- **كل هذا من أجل المحافظة علي كيان العرش بالطبع**

---

٥٠ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٢٦

[٥١] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٠٠

- **بالتأكيد ، وقد (مات اخناتون وهو لا يزال شابًا في الثانية والثلاثين من عمره ، مات الملك الإله ولهذا لم يتمكن أتباعه من الاستمرار في دينهم ، فقد مات اخناتون ومات معه دينه وعقيدته إذ بموته فقدت الرعية الرمز الحي الذي يقدسونه وبالتالي فقدوا وسيلة الاتصال بالإله آتون)[٥٢]**
- **فماذا نستفيد من هذه القصة ؟**
- **أعتقد أن أي نظام حاكم مستقر إذا شعر أن أحد حكامه قد خرج عن المألوف وبدأ سياسة تؤثر علي نظام الحكم لابد أن يتم التخلص منه وبواسطة أقرب الناس إليه وهناك العديد من الأمثلة علي مر التاريخ مثل ما حدث مع يوليوس قيصر في روما وما حدث مع الحاكم بأمر الله في القاهرة وهكذا**
- **فمن تولي الحكم بعد مقتل اخناتون ؟**

<u>توت عنخ آمون يصل للحكم</u>

- **تولي حكم البلاد توت عنخ آتون الذي تزوج من إحدي بنات اخناتون وكان صغير السن وقام بتغيير اسمه تحت ضغط من الكهنة ليصبح توت عنخ آمون٥٣ وأعاد العاصمة مرة أخري في طيبة وتم تحطيم معظم آثار اخناتون وخربوا عاصمته في العمارنة وكان الملك الصغير توت عنخ آمون مستسلم تمامًا لقرارات الكهنة وكان علي ما يبدو ملك ضعيف بالرغم من شهرته حاليًا في هذه الأيام التي يرجع السبب فيها إلي العثور علي مقبرته كاملة بكل كنوزها لأنها كانت مختفية عن اللصوص كل هذه السنين ، وقد تم اكتشاف المقبرة في ٤ نوفمبر ١٩٢٢ (بكل ما فيها من ثروة تدل علي البذخ والإسراف الذي عاش فيه ملوك الإمبراطورية ، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار بأن توت عنخ آمون كان له كل هذه الثروة من الأثاث الجنازي ولم يكن ملكًا له مكانته التاريخية ،**
- **ماذا لو قيس بغيره من الملوك وفي هذه الحالة قد يستطيع الإنسان أن يتخيل ما يجب أن يكون عليه الأثاث الجنازي بالنسبة للملوك العظام أمثال تحتمس الثالث وأمنحوتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني)٥٤**
- **لم يكن لهذا الملك وريث في الحكم ومات بعد عشر سنوات فقط من حكمه وهو صغير السن ولم يكن له ولد من بعده ووصل الأمر إلي أن حكم البلاد رجل ليس من الأسرة المالكة وهو الملك (آي) الذي كان كاهنًا ومقربًا من الكهنة ولكنه كان علي عداء شديد مع حور محب قائد الجيش الذي تولي الحكم بعد موت (آي) بإجماع الآراء وبدون إراقة نقطة دم واحدة لأن البلاد كلها كانت تسعي إلي قائد شجاع يقودها إلي بر الأمان ولأن حور محب كان يريد أن يكون ملك شرعي قام بالزواج من إحدي أميرات الأسرة المالكة السابقة وقام بإجراء بعض الإصلاحات الإدارية وإعادة ترتيب الجيش وأعاد**

---

[٥٢] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٠٣-٢٠٤
٥٣ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٤٠
[٥٤] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢١١

الطمأنينة إلي الشعب وحكم مصر حوالي ٣٠ سنة كاملة وكان آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة التي أسسها أحمس الأول

- **لفت نظري في كلامك عبارة (البلاد كلها كانت تسعي إلي قائد شجاع يقودها إلي بر الأمان) فهل الشعب هو الذي كان يسعي لذلك القائد أم المستفيدين من هذا النظام من نخبة الكهنة ومن شابههم من كبار رجال الدولة ؟**
- **من المؤكد أن استقرار نظام الحكم في مصر في تلك الفترة كان يعتمد علي وجود قائد قوي يسيطر علي الأمور بحسب البيئة الفيضية التي تحدثنا عنها من قبل وكان ما يهم النخبة والكهنة في ذلك الوقت هو ولاء الملك للآلهة المعترف بها لديهم فمثلًا (اعتبر كاتب كل من قائمة أبيدوس وسقارة الملك حور محب أول ملك شرعي بعد الملك أمنحوتب الثالث وتجاهل عن عمد كل من أخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآي الموصومين بالآتونية) [٥٥]**
- **علي أي حال إذا كان لابد من وجود ديكتاتور مؤله علي العرش فمن الأفضل للشعب أن يكون عادلًا فهل كان حور محب ملكًا عادلًا ؟**

<u>قوانين حور محب آخر ملوك الأسرة ١٨</u>

- **كتب المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي عن الملك حور محب ما ملخصه : (كادت البلاد أن تقع في هاوية الإنقسام الداخلي والانحلال ، لولا أن قيض الله لها زعيمًا من عامة الشعب أهلته مواهبه وشخصيته لتسلم زمام الأمور وإنقاذ الوطن وهو (حور محب) الذي كان من ضباط الجيش في عهد اخناتون وقائد الجيش في عهد توت عنخ آمون ، ولم يكن طامعًا ولا راغبًا في أن يؤسس أسرة ملكية ، ولا أن يكون ملكًا ، تولي حور محب الملك لأن الظروف دفعته إلي ذلك دفعًا ، لإنقاذ البلاد من الهاوية التي تردت فيها ، – –**
- **الهاوية هنا هي عدم السيطرة علي الشعب وإقامة آثار وتحقيق انتصارات والمحافظة علي مصالح الكهنة والنخبة الحاكمة أم ماذا يقصد بالهاوية ؟**
- **أعتقد أنه يقصد عدم استقرار الحكم**
- **فماذا كتب أيضًا عن حورمحب ؟**
- **وقد تزوج حور محب من الأميرة موت نجمت أخت الملكة نفرتيتي ليكتسب شرعية الحكم كما كانت تقتضي الأمور في العصر الفرعوني عندما يكون الملك الجديد لا ينتمي للأسرة الحاكمة السابقة ، وقد شيد حور محب في معبد الكرنك بوابة من الجرانيت ويمتد من هذه البوابة طريق الكباش إلي الجنوب حتي معبد الإلهة موت ثم يأخذ طريقًا آخر إلي معبد الأقصر ، وقد استطاع هذا الملك أن يعيد**

[٥٥] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢١٦

الاستقرار للبلاد ولاستكمال هذا الاستقرار حارب الحيثيين وعقد مع ملك خيتا معاهدة ضمنت له استقرار الأمور مؤقتًا علي الحدود وتفرغ للإصلاح الداخلي حتي تستعيد البلاد قوتها وهيبتها) ،

- **أي أنه كان رجل دولة بالمعني الحقيقي ومن الواضح أنه كان محبوبًا من المؤرخين علي الأقل**
- **نعم فقد كتب عنه الدكتور أحمد بدوي بعنوان (حور محب أبو الشعب وصديق الفلاح) ما ملخصه : (كان يؤذيه ما رأي من حال الشعب ، فالفلاح المسكين قد أهمل حاله واشتد بؤسه بعد أن تجرع مرارة العيش قبل أيام حور محب ، فعزم علي إصلاح شأنه وتأمين رزقه ، وتوفير سعادته ، فعمد إلي إصدار قانون ينظم حياة الأمه أملاه بنفسه علي كتابه ،**
- **الحاكم هو القانون في مصر فإذا خالفت الحاكم فأنت تخالف القانون**
- **كما حدد القانون شروط تعيين القضاة في محاكم الدولة فاختارهم من أحسن الناس سيرة وأكرمهم خلقًا ، وأجرأهم قلبًا ، وأطهرهم لسانًا ، وأعفهم يدًا ، وحرم علي القضاة أن يصادقوا أحدًا من الناس ، أو يتهادوا مع الناس ، أو تكون بينهم وبين الناس معاملات مالية ، وهكذا كان حور محب رجل حزم وعزم ، لا يلين في الحق ، ولا تأخذه في تنفيذه لومة لائم ، وقال الملك حور محب عن القانون الذي وضعه : (إني قد وضعته لضمان رفاهية شعبي) ويعتبر الملك حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة وقد حكم مصر ما يقرب من ١٢ سنة ، من حوالي سنة ١٣١٩ قبل الميلاد إلي حوالي سنة ١٣٠٧ قبل الميلاد ٥٦**
- **ومات حور محب**
- **وبموت حور محب انتقلت السلطة إلي الملك رمسيس الأول مؤسس الأسرة ١٩ وتم انتقال السلطة بهدوء شديد وبدون صراعات لأن حور محب أساسًا لم يكن يطمع في الملك ولم يعمل لمصالحه الشخصية أو لتوريث ملكه من بعده لعائلته بل إن مصلحة البلاد كانت عنده أهم من ذلك كله وبالتالي لم تحدث صراعات علي خلافته فتولي الحكم أحد زملاءه بالجيش وهو رمسيس الأول وكان رجل مسن جدًا وكان له ولد يسمي (سيتي الأول) وكان أيضًا ضابط بالجيش كأبيه وورث عنه الملك بعد وفاته**
- **وكانت هذه بداية الأسرة ١٩ فإن أمكن تلخيصها بالكامل قبل الحديث عن أهم ملوكها سيكون ذلك أفضل**

<u>الأسرة ١٩ الفرعونية</u>

- **إجمالي عدد ملوك هذه الأسرة ١١ ملك أولهم رمسيس الأول وأشهرهم سيتي الأول ورمسيس الثاني صاحب التمثال الشهير الذي كان موجود في الميدان الذي يحمل اسمه بالقاهرة حاليًا وهو ميدان رمسيس وقد تم نقله من الميدان ومع ذلك لا يزال الميدان يحتفظ باسمه ، ومكتوب في موسوعة حكام**

---

[٥٦] نقلًا عن كتاب (تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة)– من فجر التاريخ إلي الفتح العربي- تأليف عبد الرحمن الرافعي – دار المعارف - صفحة ١٠٢ ، ١٠٣ – وكتاب هؤلاء حكموا مصر – حمدي عثمان – صفحة ٦٧ –

مصر أن هذه الأسرة حكمت مصر من سنة ١٣١٤ ق م إلي سنة ١٢٠٠ ق م[٥٧] أي حوالي ١١٤ سنة ، بينما في كتاب مصر الفرعونية مكتوب أنها حكمت مصر من سنة ١٣٠٤ ق م إلي سنة ١١٩٥ ق م[٥٨] أي حكمت مصر حوالي ١٠٩ سنة

- **وهذا دليل علي أن تواريخ حكم الفراعنة تقريبية كلها فلا تشغل بالك كثيرًا بدقة التواريخ**
- **علي أي حال الإحصائية التي أقوم بذكرها في هذا الحوار معتمدة بالكامل علي كتاب موسوعة حكام مصر للدكتور ناصر الأنصاري ، أما إذا عدنا للملك رمسيس الأول المسن فقد حكم مصر أقل من عامين فقط وجاء بعده (سيتي الأول) ويعتبر هذا الملك هو المؤسس الحقيقي للأسرة ١٩ لأنه بدأ عصر جديد يُطلق عليه "عصر الولادة" أو البعث فقد قام بعمل إصلاحات واسعة للمباني الدينية كما قام بإخماد العديد من الثورات وهزم البدو في سيناء وجنوب فلسطين بل إنه اندفع بجيشه في كل مكان (ليبيا ، سوريا ، فلسطين --- إلخ) لإعادة أمجاد تحتمس الثالث وسجل انتصاراته علي الجدران وترك العديد من الآثار أشهرها بهو الأعمدة الرائع في الكرنك وقد بلغت مساحة بهو الأعمدة ٥٤٠٠ متر ، فالنصف الشمالي من هذا البهو ينتمي إلي سيتي الأول والنصف الثاني ينتمي للملك رمسيس الثاني وكل هذه الأعمدة مزينة بالنقوش والمناظر واهتم بالمناجم وحفر الآبار وأشرك ابنه في الحكم لتدريبه علي الحكم وبعد أن مات تولي ابنه رمسيس الثاني حكم مصر وهو يعد أشهر فرعون في تاريخ مصر بالكامل في هذه الأيام وقد حكم مصر لمدة سبعة وستين عامًا وامتلأت مصر بآثار عديدة ومتنوعة من عهده واسم رمسيس أصله (رع مس سو) أي الإله رع هو الذي أنجبه ، ولقد خلد رمسيس الثاني نفسه بما أقامه من معابد ومسلات (١٠٠مسلة) ومقاصير وتماثيل ضخمة تزن مئات الأطنان ولوحات في جميع أنحاء مصر وكذلك شيد الملك رمسيس الثاني معابد في تنيس وأبيدوس والنوبة ولعل من أشهرها معبد أبي سمبل الكبير الذي كرسه لعبادة الإلهين آمون رع وبتاح والملك رمسيس الثاني نفسه ، وكذلك معبد أبي سمبل الصغير الذي كرسه لعبادة الإلهة حتحور وزوجته الملكة نفرتاري التي كانت الزوجة الرئيسية لرمسيس الثاني أو كبيرة الزوجات الملكيات واسمها تم ترجمته بمعاني مختلفة مثل جميلة الجميلات أو التي لا مثيل لها هذا إلي جانب بناء معبده الجنائزي الذي شيده في البر الغربي بطيبة ويعرف باسم معبد الرمسيوم والجدير بالذكر أن الشمس تتعامد علي وجه تمثال رمسيس الثاني في معبده في مدينة أبي سمبل ، جنوب أسوان مرتين كل عام مرة يوم تتويجه ومرة أخري يوم مولده وتتوغل الشمس لمسافة حوالي ٦٠ متر من مدخل المعبد لتصل إلي قدس الأقداس ، وبرغم أن الملك رمسيس الثاني شيد مقبرة عظيمة في وادي الملوك إلا أنه لم يدفن بها ، أما الملكة نفرتاري فقد دفنت في مقبرتها الشهيرة بوادي الملكات بطيبة الغربية وتعتبر من أروع المقابر الفرعونية في مصروومما**

---

[٥٧] موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٣٣

٥٨ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٥٦

يذكر أيضًا للملك رمسيس الثاني أنه لم يهمل الناحية البحرية لمصر ، فقد بني أسطولًا من السفن المحاربه ليرد به هجمات قراصنة البحار

- **أعتقد أن اسم رمسيس الثاني مرتبط بمعركة قادش أليس كذلك ؟**
- **بالطبع فهو صاحب معركة قادش الشهيرة التي بدأ سير القتال لصالح العدو في بداية المعركة ولكنه استطاع أن يلحق بهم هزيمة منكرة في نهاية المعركة وطلبوا منه الصفح وقبلوا الأرض تحت قدميه ، وسيطر رمسيس الثاني علي فلسطين ولبنان وجزء صغير من سوريا[٥٩] بعد ان اتفق مع الأعداء (الحيثيين) علي احترام الحدود من كلا الطرفين وإنهاء الحرب بالرغم من انتصاره الساحق الذي جاء بعد هزيمة كادت تقضي علي حياته في بداية المعركة وتفرق عنه جنوده وفقد ثقته بهم وهذا يفسر قبوله الصلح بعد انتصاره لعدم ثقته في رجاله ويقول احمد فخري في كتابه عن ذلك (وربما كانت حالته النفسية هي السبب في قبول الصلح وهو في انتصاره مادام رجاله لا يستحقون الاعتماد عليهم)[٦٠] ، وقد سجل الحيثيون في آثارهم أن نتيجة معركة قادش كانت لصالحهم هم وأنهم قاموا بمطاردة الجيش المصري (وقد يحتار المؤرخون بين الروايتين ، فالبعض يميل إلي الرواية المصرية والبعض الآخر يفضل الرواية الحيثية ، علي أنه من الطبيعي أن يحتفظ كلا من الملكين المصري والحيثي لنفسه بكرامته ، – – وظلت حالة التوتر مستمرة بين المصريين والحيثيين إلي أن أدرك الطرفين أن السلام خير لهما ،**
- **ماذا حدث ؟**
- **أبرموا معاهدة " أمن طيب وأخوة " شهد الآلهة المصريون والحيثيون عليها ، ونعرف تفاصيل هذه المعاهدة من النصوص المصرية المكتوبة بالهيروغليفية علي أحد جدران معابد الكرنك ومن النصوص المسمارية المكتوبة علي لوحين من الطين عثر عليهما في بوغاز كوي – – بعد ذلك بدأ تبادل الخطابات الودية بين حكام الدولتين ، وقد اشتركت في هذه المراسلات أيضًا كلًا من زوجة رمسيس الثاني الملكة نفرتاري وزوجة الملك خاتو سيلي الثالث الملكة بوتو خيبا ، بل أكثر من هذا لقد قام خاتو سيلي الثالث بزيارة ودية لمصر)[٦١]**
- **واضح أن رمسيس الثاني كان فرعون من الفراعنة الأقوياء وكان حكمه مستقر وحافل بالإنجازات**
- **نعم ولقد كان رجل مزواج وله أولاد وبنات كثيرين لم يستطع المؤرخون حصرهم ويقال أنه تزوج ثلاثة من بناته وكان عنده ما يزيد عن ١٠٠ ولد وبنت تقريبًا ، ثم مات واعتلي العرش ابنه مرن بتاح وقد كان في حوالي الستين من عمره نظرًا لأن والده امتد به العمر في الحكم وكبر سنه وأغلب الحروب التي خاضها هذا الملك حروب دفاعية علي ما يبدو ومات بعد ١١ سنة من حكمه ويبدو أن هذا الملك**

---

٥٩ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٦٩

٦٠ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٦٩

[٦١] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٢٤-٢٢٥

قد قاتل بني إسرائيل لأن اسمهم علي لوحة انتصاراته (لوحة مرنبتاح الشهيرة) ولكن هذا الموضوع غامض حتي الآن ولكن أكد بعض العلماء أن بني اسرائيل قد خرجوا من مصر أثناء حكم الأسرة الثامنة عشرة٦٢ وليس في عهد هذا الملك ، وعلي العموم توقيت خروج بني إسرائيل من مصر لم يؤكده أي عالم من علماء التاريخ حتي الآن بشكل محدد كما ذكرنا من قبل ،

- **فما المكتوب علي لوحة مرن بتاح ؟**
- **يقول د سيد توفيق : (علي أن الخطر الذي كان يهدد مصر في عهده لم يكن من الشرق أو من الجنوب بل أتي هذه المرة من الغرب من ليبيا ، فقد بدأت هجرات لقبائل من شمال أفريقيا ومن الصحراء الغربية بنسائهم وأطفالهم للبحث عن الطعام وذلك بسبب القحط الشديد الذي ألم ببلادهم وقد أتوا بقيادة –مري– رئيس قبيلة الليبو "ليبيا" وقد أتي ومعه أولاده وزوجاته الاثني عشر وقد يدل هذا علي نية الاستيطان في وادي النيل ، ولهذا اضطر الملك مرنبتاح في العام الخامس من حكمه أن يرسل حملة عسكرية للدفاع عن حدود مصر الغربية وذلك بعد أن أعد لهم جيشًا قويًا من المشاة والمركبات الحربية فاستطاع في معركة الست ساعات من أن يقتل ٦٠٠٠ وأن يأسر ٩٠٠٠ وكانت هذه الهزيمة القاسية عقابًا لهم وردعًا لأمثالهم ، وقد ذكرت النقوش المصرية التي ترجع لعهده تفاصيل هذا القتال علي أحد جدران معابد الكرنك وقد أمر مرنبتاح باستغلال ظهر لوحة حجرية من عهد الملك أمنحوتب الثالث ليسجل عليها أن الخراب قد حل بالتحنو "ليبيا" وأن إسرائيل قد خربت وزالت بذرتها " وهذه هي المرة الأولي التي يذكر فيها اسم إسرائيل علي لوحة مصرية –) ٦٣**
- **لقد كان ملك مقاتل بالفعل ويفخر بذلك**
- **بالفعل كان مرن بتاح في أغلب الظن آخر الرجال المحترمين في الأسرة ١٩ لأن باقي ملوك الأسرة كانت فترات حكمهم قصيرة وتدهورت البلاد في عهدهم بل إنهم قد يكونوا ليس لهم أي علاقة أو قرابة للأسرة أساسًا ولن أشغلك بكل الاحتمالات التي أدت إلي هذه الأحداث ، وعندما مات مرنبتاح تم دفنه بقبره بوادي الملوك ولكن تم العثور علي مومياءه في مقبرة أمنحوتب الثاني التي استخدمت بعد ذلك كمقبرة جماعية لمجموعة من مومياوات الملوك لحمايتها**
- **إذن لا توجد أسماء تستحق أن نتحدث عنها في الأسرة ١٩ بعد مرنبتاح**

<u>رمسيس الثالث أبرز ملوك الأسرة رقم ٢٠</u>

- **المهم أن هذه الأسرة قد انتهت إلي الأبد وجاءت أسرة جديدة هي الأسرة رقم ٢٠ المكونة من سبعة ملوك وكل ملك منهم اسمه رمسيس (من الثالث إلي التاسع) وحكموا مصر حوالي ١١٥ سنة٦٤**

---

٦٢ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٧٨

٦٣ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٢٦-٢٢٧

٦٤ موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٤

بحسب الدكتور ناصر الأنصاري وكان مؤسس هذه الأسرة هو الملك رمسيس الثالث الذي حكم البلاد لمدة ٣٢ سنة ، يقول عنها أحمد فخري (-- كانت في الواقع فترة صحو بين عهدين فاسدين)[٦٥] وهذا الرجل يعتبر مثل للشخصيات البارزة التي جاءت في فترات غير مستقرة فصنعت الاستقرار وانتهي الاستقرار بعد انتهاء حكمها والطريف أن كل من جاء بعده من أسرته اسمه رمسيس أيضًا

- **ولكن ليس كل من سمي نفسه رمسيس يمكنه أن يصنع ما صنعه رمسيس الثاني أو رمسيس الثالث ، فلنكمل الحديث عن الملك رمسيس الثالث**
- **في عهده تم تشييد العديد من الآثار الرائعة واستطاع أن يحمي مصر من جميع الأخطار التي تعرضت لها وفي عهده حصل كهنة آمون علي امتيازات خاصة (إذ نعرف مجموع ما امتلكه معبد آمون من أراضي زراعية وصل إلي ١٠% من مجموع الأراضي في حين أن نصيب جميع الآلهة الأخرى لا يزيد عن ٥% من هذه الأراضي ، فقد كان يتبع معبد آمون في طيبة بمفرده ٨٦٤٨٦ خادمًا و ٤٢١٣٦٢ رأسًا من الماشية كبيرها وصغيرها وكان عدد الأرغفة التي تقدم في الأعياد ٢٨٤٤٣٥٧ والطيور ١٢٦٢٥٠ كما كان يمتلك مناجم للذهب والفضة هذا فضلًا عن العديد من المصانع التي تنتج له ، وقد يوضح هذا مدي ما وصل إليه نفوذ كهنة الإله آمون في عهد رمسيس الثالث) [٦٦]**
- **هذا معناه أن كهنة آمون كانوا مرفهين عن باقي المعابد وهذا يفسر ما كان يحدث من صراعات بين نفوذ الآلهة طوال تاريخ العصور الفرعونية إنه صراع اقتصادي علي ما يبدو بين الكهنة لامتلاك المال والنفوذ معًا ومن دقة الأرقام المسجلة من هذه الفترة يتضح أنها كانت تخضع لحسابات صارمة**
- **وكان رمسيس الثالث من المعجبين جدًا بالملك رمسيس الثاني وقلده في كل شئ وأطلق اسمه علي أولاده تيمنًا به ثم سرعان ما تدهورت البلاد مرة أخري من بعده وأهم ما يميز هذا العصر الذي كان تمهيدًا لعصر الاضمحلال الأخير ونهاية الفراعنة بعد ذلك أن الأجانب تولوا وظائف هامة في الدولة وفي البلاط الملكي وتسبب هؤلاء الموظفون في إحضار الجنود المرتزقة الغير مصريين وساءت الحالة الاقتصادية في البلاد في آخر أيام هذا الملك وتولي حكم مصر من بعده ملوك ضعفاء عجزوا عن التغلب علي الأزمة الاقتصادية وسيطر عليهم الكهنة إلي أن انتهت هذه الأسرة تمامًا وبداية ما يسمي بعصر الاضمحلال الأخير**
- **أي أننا وصلنا لعصر الاضمحلال الأخير ونهاية الفراعنة ، فهل توجد أي أحداث مهمة أو معلومات عن فترة حكم الأسرة ٢٠**
- **ما يمكن أن يقال من معلومات تاريخية عن فترة حكم رعامسة الأسرة ٢٠ فمعلومة قد تكون مهمة بالنسبة لك وهي من كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر (القسم الأول) صفحة ٢٣٢ ، ٢٣٣ وهي**

---

٦٥ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٣٨٩

[٦٦] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٣٠

تتحدث عن سرقات قبور الملوك نظرًا لفقدان الشعب لإيمانه بالآلهة وزيادة معدلات انتشار الفساد في عهد رمسيس التاسع حيث يقول الدكتور سيد توفيق (-------- جلس علي عرش مصر بعد ذلك الملك رمسيس التاسع واستمر يحكم أكثر من عشرين عامًا ولعل شهرته ترجع للبرديات التي تتحدث عن سرقات مقابر الملوك التي حدثت في عهده ، وقد وصل الفساد الإداري ذروته في العام السادس عشر من حكمه وبدأت العصابات في طيبة تتجه لسرقة المقابر وما بها من ذهب وفضة ولم تسلم مقابر فراعنة مصر العظام أمثال أمنحوتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني من عبثهم ، وبدأ الناس يفقدون أيمانهم بآلهتهم وبملوكهم وحكامهم ، إذ تسجل إحدي هذه البرديات كيف أن "باسر" عمدة مدينة الأحياء الممثلة في الضفة الشرقية لطيبة تقدم بتقرير للوزير " خع إم واست " الذي كان ينوب عن الملك رمسيس التاسع يبلغه فيه عن السرقات التي تحدث في مدينة الموتي " الضفة الغربية لطيبة " تحت سمع وبصر عمدتها "باورعا" فأمر الوزير بتشكيل لجنة للتأكد من صحة ما جاء بالتقرير

- **لجنة تقصي حقائق في العصر الفرعوني شئ طريف فعلًا**
- **، وقد سجلت هذه اللجنة النتائج التي وصلت إليها علي أكثر من بردية لعل أهمها هي بردية "أبوت" التي أبقاها لنا الزمن لنعرف منها تفاصيل هذه السرقات وما تم بخصوصها فقد اعترف اللصوص بانتهاكهم لقدسية مومياوات فراعنة مصر كبيرهم وصغيرهم مما اضطر ملوك الأسرة الحادية والعشرين من الكهنة أن ينقلوا – سرًا – بعض مومياوات فراعنة الدولة الحديثة لحمايتها من عبث اللصوص إلي أكثر من مخبأ ، فنقلوا ١٣ مومياء إلي مقبرة أمنحوتب الثاني ثم اختاروا مقبرة لم تتم بالدير البحري ووضعوا فيها ٤٠ مومياء أخري وهي ما يطلق عليها اصطلاحًا خبيئة الدير البحري ،**
- **ومتي تم الكشف عن هذه المومياوات ؟**
- **ظلت مومياوات الملوك في مخبأها إلي أن توصل "إميل بروكش " عام ١٨٨١م إلي مومياوات الدير البحري "ولوريه" عام ١٨٩٨م إلي المومياوات المختبئة في مقبرة أمنحوتب الثاني وهم جميعًا الآن بصالة المومياوات بالمتحف المصري) ، ويعتبر الملك رمسيس الحادي عشر هو آخر ملوك الأسرة العشرين واستمر حكمه لمصر ٢٨ سنة وقد ازدادت في عهده قوة ونفوذ وجرأة كبير كهنة آمون المدعو حريحور (- كما تشهد بهذا مناظر معبد خنسو في منطقة معابد الكرنك – أن يسمح لنفسه أن يصور في نفس مرتبة الملك وبحجمه بل نراه يلبس تاج الوجهين ويعتبر نفسه ملكًا في طيبة علي الأقل وأمر بوضع اسمه داخل الخرطوش الملكي وإضافة الألقاب الملكية بل وأطلق علي فترة حكمه اصطلاح " عصر النهضة " وأخذ يؤرخ الحوادث طبقًا لهذا العصر ورضي رمسيس الحادي عشر بالأمر الواقع مغلوبًا علي أمره . وتنتهي الأسرة العشرون وبالتالي عصر الدولة الحديثة)٦٧ .**

---

[٦٧] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٣٤

عصر الاضمحلال الأخير ونهاية الفراعنة

- **أتمني أن نتحدث باختصار وفي عجالة عن نهاية العصر الفرعوني لأننا تكلمنا عنه أكثر من اللازم علي ما أعتقد**
- **كما تشاء فلنتكلم عن عصر اضمحلالهم الأخير وخضوعهم لدول أخري مثل ليبيا والنوبة والآشوريين ثم الفرس**
- **وأرجوا أن نقف علي أسباب الضعف والانحلال والاضمحلال حتي نأخذ العبرة والدرس ،**
- **يرجع السبب الرئيس في هذا الاضمحلال من وجهة نظر بعض المؤرخين إلي زيادة عدد الجنود المرتزقة في الجيش المصري وضعف الحكام والهجرة السلمية الكثيفة التي حدثت من ليبيا إلي مصر في عصر الأسرة الحادية والعشرين المكونة من سبعة ملوك حكموا مصر من سنة ١٠٨٥ ق م إلي سنة ٩٥٠ ق م٦٨ حتي أن هؤلاء الليبيين تمكنوا من بسط نفوذهم في الوجه البحري بالكامل ولا داعي لذكر أسماء ملوك الأسرة ٢١ لأن ترتيب ملوك هذه الأسرة من الأمور التي لم يتفق عليها علماء الآثار اتفاقًا كاملًا٦٩ ، أما عصر الاضمحلال الأخير للفراعنة فمكون من عشرة أسر ويمكن أن نعتبره قد بدأ في الأسرة ٢١ وحتي الأسرة ٣٠ وهي آخر الأسر الفرعونية بالكامل وكما تعودنا سنلخص العصر بالكامل بسرعة فهذا العصر مكون من خليط من الجنسيات التي حكمت مصر فحكمها الليبيون والنوبيون والآشوريون والفرس والمصريون أيضًا الذين كافحوا من أجل الاستقلال عدة مرات وقاموا بتأسيس أسر فرعونية حتي انتهي العصر الفرعوني علي يد الفرس بلا رجعة**
- **فهل يوجد ملك بارز من الملوك الليبيين ؟**
- **الجدير بالذكر أن أول من حكم مصر من الليبيين هو الملك (شاشنق الأول) وهو من أصل ليبي وهو مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ، أما قصة الليبيين فتتلخص في أنهم لم يملكوا مصر بالقوة أو بجيوش جراره بل إنهم تسربوا في هجرات جماعية إلي مصر وعاشوا فيها أجيالًا كاملة لفترات طويلة وتمكنوا من الوصول إلي العديد من المناصب الدينية الرفيعة لأنهم دخلوا الديانة المصرية من أوسع أبوابها ، حتي أن الملك شاشنق الأول كان يحتل منصب ديني راقي في هذا العصر قبل توليه الحكم وعائلة هذا الملك كان قد مضي عليها في مصر ستة أجيال كاملة٧٠ أي حصلت علي الجنسية المصرية بلغة هذه الأيام التي نعيشها حاليًا وبالتالي قد لا يعتبر هذا احتلالًا بالمعني المفهوم فكم من الملوك والرؤساء في العالم يعود أصلهم من بعيد إلي دول أخري نتيجة الهجرة القديمة أو التزاوج وخلافه ، والمؤكد أنهم كانوا من أصل ليبي ونجحوا في الوصول للحكم وجعلوا عاصمتهم في منطقة (تل بسطة) بمحافظة الشرقية الحالية وقد تزوجوا من البيت الملكي الفرعوني ليضيفوا شرعية علي**

---

[٦٨] موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٥
٦٩ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤١٤
٧٠ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤١٧

حكمهم حيث تزوج الملك شاشنق الأول من ابنة الملك المصري الفرعوني السابق له وكانت هناك سلطة أخري في مدينة طيبة جنوب مصر لكهنة معبد آمون ، وشاشنق هذا استطاع أن يوطد أركان حكمه للبلاد واستطاع إرهاب هؤلاء الكهنة مما اضطرهم إلي الهروب جنوبًا٧١ وأرجوا أن تسجل ذلك وتتذكره لأن هؤلاء الكهنة سيكون لهم دور بعد ذلك من مكان هروبهم في الجنوب ، ويبدو أن شاشنق كان من الشخصيات القوية التي تفرض نفسها علي كتب التاريخ

- **فما أهم الأحداث في عهده ؟**

<u>مملكة بني إسرائيل</u>

- **هناك معلومة خطيرة جدًا عن هذا العصر وقد تحدث مفاجأة لك عندما تسمعها وهي أن بني إسرائيل في عصر هذه الأسرة الليبية استطاعوا تكوين مملكة قوية في فلسطين حيث ظهر نبي الله داوود عليه السلام وأصبح ملكًا عظيمًا هو ثم ابنه سيدنا سليمان عليه السلام وكانت عاصمتهم أورشليم وهي التي بني فيها سيدنا سليمان الهيكل الشهير وربما تكون بداية مملكة سيدنا داوود قبل بداية الأسرة الليبية في مصر بوقت قليل أو معاصره لها ويقول أحمد فخري عن ذلك (---- وبناء علي رواية التوراة أيضًا نعرف أن ملك مصر لم يكن علي علاقة سيئة بملوك إسرائيل فإن سليمان ابن داوود خلف أباه علي العرش وكانت علاقته بالبلاط المصري علي خير حاله)٧٢ بل إن مصر وإسرائيل كانت بينهما في ذلك الوقت أنواع من التعاون في مجال الهندسة والبناء ولكن سرعان ما تدهورت العلاقات بين البلدين في عهد الملك شاشنق في مصر وعهد الملك (رحبعام) في بني إسرائيل في فلسطين وقام شاشنق بشن حملة علي فلسطين واستولي علي خيراتها ويقول أحمد فخري في ذلك (ولكن التوراة تذكر لنا أنه في السنة الخامسة من حكم رحبعام حنق شيشاق ملك مصر علي أورشليم واستولي علي كنوز بيت الرب وكنوز الملك وأخذ كل شئ)٧٣**
- **تم ذكر اسم ملك مصر في التوراة ؟**
- **نعم وقد حكم شاشنق واحد وعشرين عامًا وبعد أن مات خلفه ابنه (أوسر كن الأول) ثم توالي ملوك الأسرة الثانية والعشرين علي مصر من أبناء وأحفاد شاشنق وعددهم بالكامل تسعة ملوك وكان آخرهم الملك شاشنق الرابع ودام ملكهم حوالي ٢٢٠ سنة تقريبًا٧٤ وفي آخر أيامها توالت الثورات وقوي نفوذ أمراء الأقاليم وبدأ حكم الأسرة الثالثة والعشرين لمدة ٨٧ سنة تقريبًا٧٥ وعددهم ستة ملوك مع استمرار سلطة ملوك الأسرة الثانية والعشرين ولا تختلف كثيرًا في الغموض عن سابقتها ، وكل ما يمكن**

---

٧١ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤١٨
٧٢ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤١٩
٧٣ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٢٠
٧٤ موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٥
٧٥ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٢٣

قوله عن الأسرة ٢٣ في هذه الدردشة أن عدد ملوكها ستة ملوك وجاءت بعدها الأسرة ٢٤ وعدد ملوكها اثنين فقط ووصلت الحالة الداخلية في البلاد إلي الحضيض علي حد تعبير أحمد فخري

- **فما الذي حدث بعد ذلك ؟**

الحكم النوبي لمصر

- **أثناء كل هذه الصراعات علي الحكم وتعدد الأسرات المالكة في نفس الوقت ظهرت قوة جديدة طاغية اجتاحت البلاد وسيطرت عليها بقيادة ملك من طراز القادة الكبار وهو ملك النوبة في ذلك الوقت الملك (بعنخي) واستطاع أن يؤسس أسرة مالكة جديدة في مصر وهي الأسرة الخامسة والعشرين المكونة من خمسة ملوك حكموا مصر لمدة حوالي ٥٢ سنة**
- **وما الذي أدي لذلك ؟**
- **القصة تبدأ كما ذكرت من قبل عندما هرب كهنة آمون إلي الجنوب نتيجة لعدم اعترافهم بما يحدث في مصر أثناء الحكم الليبي لها حيث استطاعوا أن يجعلوا تقديس الإله آمون هو الشغل الشاغل لكل حكام هذه المنطقة بل إن السبب الرئيسي لتقدم جيوش الملك بعنخي نحو الشمال كان لتأييد الإله آمون وإنقاذ طيبة من أعداءه والقضاء علي الفوضى والفساد الذي عم مصر كلها ويقول أحمد فخري عن ذلك (-- لم يرسل بعنخي هذا الجيش غازيًا يريد الفتح والنصر وإنما أرسله ليؤيد آمون وكهنته وينقذ طيبة ممن حدثتهم أنفسهم بالاعتداء عليها ولهذا نري بعنخي يذكر جنوده بأنه لا حول ولا قوة إلا بآمون ويأمرهم عندما يرون أسوار طيبة أن يلقوا بأسلحتهم ويطهروا أنفسهم ويدخلوا مدينة آمون خاشعين)٧٦**
- **واضح جدًا مدي تأثير كهنة آمون علي الملك بعنخي وتأثير العقيدة الدينية في قيام الأمم وانهيار الأمم الأخرى علي مدار التاريخ ،**
- **ويعتبر الملك بعنخي من الشخصيات البارزة أيضًا التي تفرض نفسها علي كتب التاريخ بقوة فمن الواضح أنه كان شخص محترم وملك مهاب بل إن من الطريف أن هذا الملك السوداني كان يعشق الخيول وعندما شاهد خيول القصر الملكي الذي دخله فاتحًا بعد استسلامه وجد الخيول هزيلة جدًا نتيجة إهمالها فوبخ الملك المستسلم علي ذلك أكثر من توبيخه علي الفساد والفوضى التي سادت البلاد في عهده وهذا يدل علي أن الملك بعنخي كان فارس أصيل ويتمتع أيضًا بأخلاق الفرسان ، واستسلم له ملوك وأمراء مصر بالكامل تقريبًا ووعدوه بأن يدينون له بالولاء ثم أخطأ خطأ شنيع في حق نفسه فقد اعتمد علي هذه الوعود البراقة وعاد بجيشه إلي عاصمة ملكه (نبتا) دون أن يترك من ينوب عنه من أعوانه في مصر وبالتالي سيطر ملوك الشمال مرة أخري علي البلاد بمجرد عودة بعنخي**

---

٧٦ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٢٨

، وحكم مصر الملك (تاف نخت) الذي كان موجودًا قبل حملة بعنخي ثم بعد موت تاف نخت حكم مصر ابنه الملك (باك أن رنف)

- **أسماء غريبة جدًا ،**
- **وهل اسم بعنخي اسم عادي ؟ المهم أن خليفة بعنخي استعاد مصر مرة أخري وكان اسمه (شاباكو) ويقال أن تاف نخت وولده باك أن رنف هما ملوك الأسرة الرابعة والعشرين[٧٧] وقد ذكر أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية أن كلًا من تاف نخت وبعنخي كانا بطلين من الشجعان الطموحين ولكن بعنخي لم يكن له علم بفن الحكم[٧٨] وفي عهد هذه الأسرة ظهر الخطر الآشوري وقويت شوكة الآشوريين وقرروا مهاجمة فلسطين المتواجد بها بني إسرائيل في ذلك الوقت والطريف والغريب في الموضوع أن الملك النوبي الذي كان يحكم مصر أثناء هذه الأحداث قام بإرسال جيش لمساعدة ملك أورشليم ضد الآشوريين والطريف أيضًا أن حملة الآشوريين فشلت فشل سريع وذريع وعادت مسرعة إلي بلادها حيث انتشر الطاعون بين جنود هذه الحملة وقد فسر بنو إسرائيل ذلك تفسيرًا دينيًا وقالوا أن هذه معجزة إلهية لإنقاذ أورشليم ، ولكن مع ذلك استمر نفوذ الآشوريين في منطقة الشام بل إن ملك آشور استطاع أن يقتحم مصر بجيوشه واستولي علي مدينة منف[٧٩] وسيطر علي منطقة الدلتا فقط وحصلت اضطرابات وحروب بين السودانيين والآشوريين وتبادلوا السيطرة علي البلاد لفترة ، إلي أن ظهرت علي مسرح الأحداث شخصية بارزة لتضبط الأمور وتسيطر علي البلاد بقوة وحزم وتعيد الطمأنينة للشعب وعمومًا الملك القوي هو أساس الأمان ورمانة الميزان في أي مكان وزمان**
- **فمن هو ؟**

<u>بسماتيك الأول يحرر البلاد</u>

- **جاء الفرعون المصري بسماتيك الأول ليطرد الآشوريين ويحرر البلاد من الأجانب الغزاة ويؤسس الأسرة السادسة والعشرين المكونة من ستة ملوك حكموا مصر حوالي ١٣٨ سنة[٨٠] من سنة ٦٦٣ ق م إلي سنة ٥٢٥ ق م وقام بالعديد من الإصلاحات والإنجازات ولكنه أخطأ خطأ فادح عندما استعان بالجنود المرتزقة اليونانيين (الإغريق) في تحقيق أهدافه بالإضافة إلي الجنود المصريين**
- **مشكلة كبيرة أن يفقد الشعب الروح القتالية ويعتمد علي غيره في الدفاع عن نفسه**
- **لنا هنا وقفة حيث أن أي شعب يفقد روح القتال والجهاد يفقد بالتالي عزته وكرامته ويهون أمره بل إن الشعب المصري في عهد هذه الأسرة لم يفقد هذه الروح بالكامل تقريبًا فقط بل إنه فقد أيضًا روح**

---

[٧٧] موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٦
٧٨ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٣٣
٧٩ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٣٨
٨٠ موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٦

الإبداع الفني فتراه يكرر ويحاكي الفن الفرعوني السابق٨١ دون تجديد أو ابتكار نظرًا لوجود العديد من اليونانيين الإغريق في بلاده سواء بصفتهم محاربين أو بصفتهم تجار فحاول أن يتمسك علي قدر المستطاع بأمجاد سابقيه خوفًا علي هويته من الضياع في ظل الحضارة الإغريقية فأصبح يقلد الفراعنة الأوائل في فنونهم دون أن يقدم حضارة جديدة ، وكان هناك سبب قوي وراء استعانة بسماتيك الأول بهؤلاء الجنود المرتزقة ليحقق أهدافه في استقلال البلاد ، وفي عهد هذه الأسرة المكونة من ستة ملوك وبعد أن دام ملك بسماتيك الأول حوالي خمسين سنة أو أكثر نعمت فيها مصر بالاستقلال اضطربت الأحوال وحدث أن اختل ميزان القوي في العالم

- **هل صعدت قوي جديدة وتراجع دور قوي أخري ؟**
- **بالفعل ظهرت قوي جديدة وتراجعت قوي أخري وظهرت الصراعات الدامية بين كل هذه الحضارات والدول ومصر بالطبع ليست بعيدة عن الأحداث لأن ما يحدث في العالم لا بد أن تتأثر به مصر وتتفاعل معه سواء برغبتها أو بدونها فمثلًا من الدول التي كانت تتصارع في ذلك الوقت أو بمعني أدق الممالك التي أصبح لها صوتًا مسموعًا في العالم مملكة الفرس ومملكة بابل ومملكة آشور واليونان (الإغريق) ومملكة بني إسرائيل في أورشليم وغيرهم ،**
- **فمن كان يحكم مصر في ذلك الوقت ؟**
- **وصل لحكم مصر الملك (نكاو الثاني) وهو من أسرة بسماتيك الأول وتدخل في الصراعات التي نشأت بين بابل وآشور وبعض التحالفات التي أحدثها الفرس في المنطقة ويبدو أنه أراد أن يجعل صوت مصر مسموعًا في سياسة هذه المنطقة من العالم٨٢ فقرر التدخل بجيوشه في المنطقة فتوتر الموقف مع بني إسرائيل وغيرهم مما أدي إلي اصطدام الجيش المصري بجيش الملك (نبو ختنصر) ملك بابل مما أدي إلي حدوث هزيمة ساحقة وارتد الجيش المصري بخفي حنين إلي مصر ويبدو أن نكاو الثاني قد تعلم الدرس واهتم بعد ذلك بتكوين أسطول ضخم واهتم بالتجارة ومن الأحداث المهمة التي حدثت في عهد هذا الملك نتيجة لاهتمامه بالبحر والملاحة البحرية استطاع البحارة المصريون الإبحار والدوران حول إفريقيا بالكامل والعودة إلي مصر وهو ما يُعرف حاليًا برأس الرجاء الصالح لأن المؤرخ الشهير القديم هيرودوت بالرغم من عدم تصديقه لذلك إلا أن الملاحين ذكروا أنهم كانوا يرون الشمس تشرق عن يسارهم أثناء الذهاب ثم تحولت وأخذت تشرق عن يمينهم٨٣ مما يؤكد زعمهم ، ومن أهم الأحداث التي وقعت أيضًا في عهد الملك البابلي (نبو ختنصر) وفي رواية أخري اسمه (بختنصر) انهارت مملكة بني إسرائيل علي يديه وسقطت أورشليم وكل هذا بالطبع بمشيئة المولي عز وجل وتشتت بنو إسرائيل بعد ذلك وجاء بعضهم إلي مصر ، وبعد أن مات نكاو الثاني تولي بعده الملك**

---

٨١ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٤٧

٨٢ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٤٨

٨٣ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٤٨

بسماتيك الثاني ثم الملك (واح إب رع) ولا توجد تفاصيل كثيرة عنهم إلا أن اليهود هربوا إلي مصر في ذلك الوقت وإلي دول أخري خوفًا من مذابح البابليين التي كانت بلا رحمة ، ثم وصل للحكم الملك أحمس الثاني بعد أن اشترك مع من سبقه في المُلك لفترة وفي عهد هذا الملك أصبح الاعتماد علي الإغريق والتودد إليهم مألوفًا وقد كتب هيرودوت يمدح هذا الملك ويعد صفاته الحميدة ويعتبر عهده من الفترات المزدهرة والمستقرة إلي حد ما لأنه كان دبلوماسي ناجح وما إن مات بعد ٤٣ سنة علي العرش٨٤ حتي بدأت مشاكل من نوع جديد مع خليفته الملك (بسماتيك الثالث) آخر ملوك هذه الأسرة حيث لم يصبح خطر بابل هو الخطر الوحيد

- **هل ظهرت قوة جديدة ؟**
- **نعم ظهر ملك قوي في بلاد الفرس اسمه قورش ولم تكن هناك أي خطورة منه في عهد أحمس الثاني ولكن ابنه بسماتيك الثالث عاصر ابن قورش المسمي بالملك قمبيز الذي قرر تحقيق حلم أبيه بعد أن اجتاح مملكة بابل وأراد أن يضم مصر إلي المملكة الفارسية وكان هذا في عهد الملك بسماتيك الثالث ، والجدير بالذكر أن أحد الضباط الإغريق العاملين بالجيش المصري ذهب إلي قمبيز وأعطاه كافة المعلومات التي يحتاجها لغزو مصر وأوضح له مواطن الضعف في الاستحكامات الدفاعية المصرية بل شجعه وأغراه علي دخول مصر ودخلها فعلًا بعد مقاومة عنيفة وحصار لمدينة منف إلي أن تم الاستسلام التام وأصبحت مصر ولاية فارسية لأول مرة**

<u>وأصبحت مصر ولاية فارسية سنة ٥٢٥ ق م</u>

- **ولكن لماذا قرر الملك الفارسي قمبيز فتح مصر في عهد الملك بسماتيك الثالث آخر ملوك الأسرة ٢٦ الفرعونية ؟**
- **يجيب عن هذا السؤال الأستاذ جمال بدوي في كتابه الممتع في رحاب الفكر حيث كتب تحت عنوان ناموس الحياة ما ملخصه : ونسأل : لماذا قرر قمبيز فتح مصر ؟ رغم أن مصر كانت تعيش مرحلة من مراحل البيات والسكون ولم يصدر عنها أي إساءة للفرس ، ولم ترتكب فعلًا يهدد الأطماع التوسعية عند العاهل الإيراني ؟ قد يبدو هذا السؤال ساذجًا إذا نظرنا إليه في إطار الفكر الاستعماري التوسعي ، الذي لا يسمح لك بأن تسأل دولة عظمي عن سبب عدوانها علي دولة صغري مسالمة ولا يجوز لك مثلًا أن تسأل بريطانيا لماذا احتلت مصر وضربت الاسكندرية في يوليو ١٨٨٢ ، ولا يجوز أن تسأل فرنسا لماذا احتلت الجزائر ١٨٣٠ ومكثت فيها ١٣٠ سنة ، كما لا يجوز لك أن تسأل الوحوش في الغابات لماذا تفتك بالغزلان ، ولا تسأل الأسماك الكبيرة في البحار عن سر حبها للأسماك الصغيرة .. ولكن إذا سألت دهاقنة السياسة فسيقولون لك إن هذا هو ناموس الحياة منذ نشأة الحياة .. فطالما أن**

---

٨٤ مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٥٤

هناك فراغًا في جهة ما .. فلا تلوم من يملأه . وكانت مصر تعيش حالة الضعف عشية الغزوة الفارسية في الوقت الذي بلغت فيه الإمبراطورية الفارسية ذروة قوتها

- **فطالما أن هناك فراغًا في جهة ما .. فلا تلوم من يملأه أعتقد أن هذه العبارة تفسر معظم المعارك والفتوحات علي مر التاريخ ، عفوًا أكمل ما قاله الأستاذ جمال بدوي**
- **نعم كانت مصر حينئذ تعيش مرحلة آخر انبعاثة وطنية في تاريخها القديم ، عصر النهضة الأخيرة التي استعادت فيه استقلالها في العصر الصاوي وفي ظل الأسرة ٢٦ ولكن هذه الفورة كانت أقصر دورات الإمبراطورية في تاريخ مصر ، أقصرها عمرا وقامة علي حد تعبير جمال حمدان فهي لم تعمر أكثر من القرن وثلث القرن ولم تصل إلي آفاق القرون السابقة كأنما هو الهدوء الذي يسبق العاصفة ، لأن ظهور قوة بابل الصاعدة لم يسمح بالمحافظة علي تلك المكاسب ودخلت مصر مرحلة الشيخوخة التي ضعفت فيها داخليًا وتغلغل النفوذ والتوطن الإغريقي فيها بالتدريج ، إلي أن أتت النهاية علي يد الغزو الفارسي فانتهت الدولة والدورة معًا .- - - - - كانت حملة قمبيز في الإطار التاريخي أمرًا متوقعًا بل محتومًا من قوة متعاظمة نحو قوة غاربة**
- **يالها من دورات علي مر التاريخ ، ومن المستحيل أن يعرف أحد في ذلك الوقت وفي جميع العصور ما الذي سيحدث ،**
- **الظريف أن قمبيز أرسل حملة إلي الواحات وحملة أخري إلي الجنوب وقد فشلت الحملة علي الجنوب عند حدود مملكة نبتا أما الجيش الذي ذهب في اتجاه سيوه فلم يصل إليها ولم يرجع أيضًا بل إنه مدفون حتي الآن تحت الرمال نتيجة لعاصفة رملية هائلة أطاحت به وهلك عن آخره في الصحراء ، وقام الفرس بتأسيس أسرة حاكمة جديدة في مصر وهي الأسرة السابعة والعشرين من سنة ٥٢٥ ق م إلي سنة ٤٠٤ ق م[٨٥] وهذه الأسرة تكونت من خمسة ملوك وبالرغم من بعض الإصلاحات والتودد الذي أبداه بعض ملوك هذه الأسرة للمصريين إلا أنهم قاوموا الاحتلال بشدة ونشبت ثورة عظيمة أدت إلي قيام الفرس بأعمال قمع وعنف للسيطرة علي البلاد بقبضة من حديد وكان أيامها الإغريق في صراع مع الفرس**
- **وكانوا يسعدون بالطبع كلما ثار المصريون علي الفرس ، فماذا كان موقف اليهود في مصر؟**
- **أما اليهود الموجودين في مصر فقد كانوا أعوانًا للفرس ضد المصريين[٨٦] دائمًا وفي سنة ٤٤٩ ق م تم توقيع معاهدة صلح بين الفرس واليونانيين (الإغريق) ثم بعد ذلك بسنة تقريبًا قامت ثورة رهيبة ومعارك عنيفة بين المصريين والفرس انتهت بتحرير البلاد منهم وطردهم خارج مصر وبدأ المصريون هذه الثورة بقتال اليهود لشدة العداء والكراهية بينهما ثم قاتلوا الفرس وكان سبب تملق ومساعدة**

---

٨٥ موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٧

[٨٦] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٦٢

اليهود للفرس هو أن يسمحوا لهم ببناء معبدهم وإعادة تشييد هيكلهم فقرروا الوقوف بجانبهم ضد المصريين لتحقيق مصالحهم الخاصة مما أدي إلي هذه الكراهية الشديدة لهم من المصريين فأطاحت الثورة بهم وبالفرس

- **أعتقد أنه لم يختلف أسلوب اليهود بعد ذلك طوال تاريخهم مع الدول القوية في العالم فهم يتعاونون مع أقوي دولة في العالم في كل عصر وقد يسيطرون عليها ويتحكمون في قراراتها وقد يفشلون مع بعض الدول وينجحون مع دول أخري نجاحًا نسبيًا ،**
- **بالتاكيد وسوف نري ذلك عندما كان اليهود يرسلون مندوبًا لهم إلي الإمبراطور الروماني أثناء تواجدهم في الإسكندرية إذا وصلنا في هذا الحديث إلي العصر الروماني إن شاء الله**
- **وهل استمرت هذه الثورة فترة كبيرة من الزمن ؟**
- **استمرت هذه الثورة حوالي أربعة سنوات وكان قائدها أحد الشخصيات البارزة وهم القادة الذين نتحدث عنهم بصفتهم من مؤسسي الدول وقد استمر حكمه من سنة ٤٠٤ ق م إلي سنة ٣٨٩ ق م وهو مؤسس الأسرة الثامنة والعشرين وكان عدد ملوك هذه الأسرة ملك واحد فقط هو نفسه هذا الشخص واسمه مكتوب في موسوعة حكام مصر (أمير تي) أما في كتاب مصر الفرعونية فاسمه (آمون حر) وعلي العموم هذا الملك هو الملك الوحيد في هذه الأسرة وكان يحكم مصر من عاصمته (سا) "سايس" صان الحجر حاليًا ولا توجد أي آثار توضح ما تم في عهد هذا الملك ثم بعد ذلك وبهدوء تم نقل الحكم إلي أسرة جديدة وهي الأسرة التاسعة والعشرين (٣٩٨-٣٧٨ ق م) وهي مكونة من أربعة ملوك٨٧ أولهم الملك (نايف عاو رود) "نفريتس الأول" وكان علي ما يبدو من زملاء أمون حر في حربه ضد الفرس ، وكانت عاصمة الأسرة التاسعة والعشرين مدينة مندس (تل الإمديد وتل الربع شمال شرق السنبلاوين) ، (وكان أهم ملوك هذه الأسرة هو مؤسسها نايف عاو رود الذي حكم ست سنوات من ٣٩٩-٣٩٣ ق م وتحالف مع الأسبرطيين ضد الفرس وأمدهم بالقمح بما يكفي لتجهيز أسطول مكون من مائة سفينة مقاتلة ولكن المدد لم يصلهم إذ اعترضه القائد الأثيني " وهو قائد الأسطول الفارسي" وحطمه عند رودس ، وتولي بعده الملك هكر واستمر حكمه سبع سنوات من ٣٩٣ إلي ٣٨٠ ق م حاول فيها القيام بإصلاحات داخلية في البلاد فرمم المعابد وتعاون بالمال والمئونة مع أثينا ضد الفرس وانتهت أيامه ، وتولي بعده ملكين حكم كل منهما مصر بضع شهور ثم انتقل العرش إلي أسرة جديدة هي الأسرة الثلاثين)٨٨**
- **الأسرة الثلاثون ، أليست هذه آخر أسرة في العصر الفرعوني بالكامل ؟**

---

٨٧ موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٣٨

٨٨ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول – د سيد توفيق- صفحة ٢٥٩

- بلي ، ولقد أسس هذه الأسرة ملك اسمه مكتوب في موسوعة حكام مصر الملك (نقطانب الأول) بينما في كتاب مصر الفرعونية اسمه الملك (نخت نبف) أو (نختنبو) وعلي ما يبدو قد اعتلي عرش مصر بمساعدة الكهنة
- وكم عدد ملوك هذه الأسرة ؟

نهاية العصر الفرعوني

- هذه الأسرة عدد ملوكها ثلاثة ملوك فقط واستمرت في الحكم من سنة ٣٧٨ ق م إلي سنة ٣٤١ ق م وفي عهد أول ملوكها نقطانب الأول حاول الفرس اقتحام مصر لإعادة احتلالها ولكنهم عادوا فاشلين بسبب فيضان النيل الذي كان عائقًا أمام قواتهم ، وكان نقطانب الأول لا يفكر في إثارة من حوله من دول وجيوش تحيط بمصر وكان كثير البناء للمعابد والمباني وقد ترك هذا الفرعون آثارًا خالدة كما يقول أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية صـ ٤٦٦ (وتمتع نخت نبف بعد ذلك بشئ من الهدوء وكان نشاطه المعماري كبيرًا فخلف آثارًا كثيرة في أكثر بلاد مصر في الدلتا والصعيد) وشيخ الأثريين أحمد فخري في هذه الجملة يقصد بكلمة بعد ذلك أي بعد ارتداد الفرس من حملتهم الفاشلة علي مصر ، وتمر الأيام ويأتي ابنه (جد حر) أو (تاخوس) الذي لم يقتنع علي ما يبدو بالسلم والهدوء فقرر أن يعيد أمجاد الفراعنة القدماء ونسي أو غفل عن أن أسباب القوة التي كانت معهم تختلف عن ما معه ، وقام بحشد جيش كبير وأسطول وكان الجيش به عدد غير قليل من الإغريق المرتزقة وإليك ما جاء عن عدد هذا الجيش في كتاب مصر الفرعونية صفحة ٤٦٧ (وكان غرض جد حر من ذلك جمع جيش كان فيه ٨٠٠٠٠ جندي مصري و ١٠٠٠٠ من المرتزقة الليبيين و ١٠٠٠ من جنود اسبرطة وكان معه أيضًا أسطول يزيد عدد سفنه علي مائتي سفينة من ذات الثلاث طبقات وتقدم جد حر علي رأس جيشه العظيم واثقًا من النصر بعد أن ترك أخاه نائبًا عنه في الحكم) و كان ابن جد حر معه في الجيش بينما أخوه كان في مصر وتآمر العم مع ابن أخيه ضد الملك أثناء المعركة وأرسل إليه يبايعه بملك مصر في وجود أبيه ونتيجة لهذه الخيانة ترك الابن أبيه في المعركة وعاد إلي مصر ومعه عدد ضخم من الجنود مما أدي إلي تسرب باقي الجيش ، ووجد جد حر نفسه بلا نصير ووسط كل هذه المؤامرات هرب الملك إلي معسكر الفرس الأعداء
- إنه موقف غريب جدًا أن يفر الملك إلي أعداءه أثناء المعركة مما يؤكد أن مرارة الخيانة والتواجد وسط الخونة كانت أمر من الذهاب إلي العدو
- كل هذا بالطبع كان متوقع وطبيعي أقصد الخيانة التي حدثت لأن الجيش الذي يتكون من عدة عناصر يفقد ولاءه بسهولة وفي أي لحظة ويغادر ميدان القتال وهكذا المرتزقة دائمًا يقاتلون في سبيل المال ، وأخيرًا جاء الحديث عن الملك نقطانب الثاني (نختنبو الثاني) آخر فرعون مصري في التاريخ وآخر

ملوك الأسرة ٣٠ وقد عرفنا كيف وصل له الحكم والسلطة وكان هذا الملك لا يفضل الحروب مثل نقطانب الأول فحاول أن يعيد الاستقرار لمصر ويبني المعابد ويهتم بالفن ، ونعمت مصر في عهده بالهدوء والطمأنينة ستة عشر عامًا علي الأقل[٨٩] إلي أن جاء اليوم الموعود الذي قرر فيه الفرس تكوين جيش ضخم مخصوص لغزو مصر بعد أن صفوا حساباتهم مع باقي الدول وتفرغوا تمامًا لمصر وملكها الذي كان يهتم بالخطط الدفاعية فقط

- **لقد أرادوا ملء الفراغ مرة أخري بالتأكيد**
- **بالتأكيد فقد وقعت المعركة الفاصلة التي أنهت العصر الفرعوني بالكامل**
- **فهل لديك معلومات ولو قليلة عن هذه المعركة التاريخية المثيرة ؟**
- **بالطبع إنها المعركة الفاصلة التي أنهت حكم الفراعنة للأبد بل إن شئت فقل أنهت حكم المصريين لمصر لمدة حوالي ٢٢٩٤ سنة حيث أن الحاكم المصري الذي جاء بعد نقطانب الثاني هو اللواء محمد نجيب فلم يحكم مصر مصريًا واحدًا بعد هذه المعركة[٩٠] إلا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، وسيكون مصدر هذه المعلومات عن هذه المعركة من الجزء رقم ١٣ من موسوعة سليم حسن مصر القديمة حيث ذكر أعداد الجنود وجنسياتهم في الجيش المصري بقيادة نقطانب الثاني (الفرعون الأخير) بل إن هذا الفرعون لم يحتوي جيشه علي جنود فقط من الإغريق ولكنه كان يضم جنود من ليبيا وكان يعاونه في القيادة اثنين من القادة الإغريق ، فكان الجيش المصري مكون من عشرين ألف مقاتل من الجنود الإغريق المرتزقة وعشرين ألفًا من الليبيين المرتزقة وستين ألفًا من المصريين[٩١] بينما كان الجيش الفارسي مكون من ثلاثة أضعاف الجيش المصري كله بل إن من الطريف أنه كان يضم أيضًا عددًا كبيرًا من الجنود الإغريق المرتزقة وبدأت المعركة وتساقطت المدن المصرية مدينة وراء أخري وكانت بعض المدن ومن فيها من حاميات إغريقية تتفاوض علي الاستسلام بدون علم الفرعون نفسه ،**
- **أعتقد أن هذا وضع طبيعي فالمرتزقة متواجدون في كلا الجانبين المتحاربين ، ولكن ماذا حدث للفرعون الأخير نقطانب الثاني ؟**
- **نقطانب الثاني قرر الفرار بعد كل هذه الهزائم المريرة ومعه كنوز أجداده ربما لإعادة المحاولة مرة أخري من الجنوب أو ربما لفقده الثقة في الجيش أو أي سبب آخر ، ودخل الفرس مصر هذه المرة بعنف غير عادي وخربوا المعابد واحتقروا الآلهة وقبضوا علي السلطة بيد من حديد ، وبالمناسبة قد ورد في موسوعة حكام مصر أن الفرس في هذه المرة أسسوا الأسرة الواحدة والثلاثين وهي مكونة من ثلاثة ملوك فقط حكمت مصر من سنة ٣٤١ ق م إلي سنة ٣٣٣ ق م تقريبًا وهي فترة قصيرة نسبيًا انتهت بدخول الإسكندر المقدوني مصر وسيطرته عليها كما سيطر علي معظم دول العالم ولكن هذه قصة**

---

[٨٩] مصر الفرعونية (أحمد فخري) صـ ٤٦٨

٩٠ في الواقع نجح أحد المصريين في طرد الفرس من البلاد بعد نقطانب الثاني بفترة ولم يدم حكمه طويلًا وسرعان ما استعادوها

٩١ موسوعة مصر القديمة (سليم حسن) ج ١٣ صـ ٣٢٦

أخري ، ولكن قبل أن نترك الفراعنة يجب أن نذكر أن عهد نقطانب الأول والثاني كان هدف الملك إرضاء الكهنة والاعتماد علي الأجانب في الدفاع عن مصر بالإضافة للجيش المصري واهتموا بالبناء حتي أن الأسرة الثلاثين تركت في طول البلاد وعرضها آثارًا تكاد تصل في كثرتها وعظمتها لآثار الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية الشهيرة ربما يكون السبب في ذلك هو حلاوة الروح الفرعونية عندما كان العصر الفرعوني يحتضر ، وها قد انتهينا من الحديث عن العصر الفرعوني فما تعليقك بشكل عام علي العصر الفرعوني بالكامل ؟

- **لا شك أن الفراعنة قدموا للبشرية الكثير في العديد من المجالات كالطب والهندسة والفلك والفن والأدب والكتابة والورق وغيرها ولا زالت آثارهم الخالدة تشهد علي حضارتهم والمستوي العلمي الراقي الذي وصلوا إليه بل إن هناك العديد من آثارهم يعجز الناس حاليًا عن تخيل كيفية إبداعهم لها بهذه الروعة والدقة المتناهية ولولا ادعاءاتهم الدينية وآلهتهم المتعددة وكفرهم بالله عز وجل وتأليه ملوكهم لولا ذلك كله لكنت قد افتخرت بهم وبعصورهم العريقة وقد سيطر الفراعنة علي جزء كبير من العالم في عصر إمبراطوريتهم التي أسسها الفرعون تحتمس الثالث كما ورد في حوارنا وقاموا بنشر حضارتهم لفترة طويلة من الزمن ولا زالت أسرارهم تحير العلماء إلي الآن وخصوصًا سر التحنيط الذي برعوا فيه وكان الكهنة هم محور حياتهم ولا يهنأ أي ملك فيهم علي العرش ويكتسب شرعيته إلا إذا نال رضا الكهنة وقد كان الكهنة يزينون للفرعون سوء عمله ويمجدونه وينسبون إليه ألقابًا ما أنزل الله بها من سلطان ،{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (١١) سورة آل عمران ،{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (٤٦) سورة غافر**
- **أعتقد أنك قد تحدثت عن العصر الفرعوني بشكل منطقي جدًا ولكن قد يختلف معك البعض في تقييم ذلك العصر فالنظر إلي التاريخ يختلف من عصر إلي عصر ، حسنًا يمكننا الآن متابعة الحديث عن تاريخ مصر وقد وصلنا إلي عصر الاسكندر والبطالمة**
- **كلي آذان صاغية**

الإسكندر والبطالمة يسيطرون علي مصر

- **بدأ عصر الاسكندر والبطالمة في مصر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد واستمر حتي سنة ٣٠ قبل الميلاد أي حوالي ثلاثة قرون وفيه اندمجت الحضارة الإغريقية مع الحضارة المصرية وأصبحت الإسكندرية عاصمة لمصر ومركزًا للعلم والعلماء وتوافد عليها الإغريق حتي كما لو كانت قطعة من بلاد الإغريق وُضِعت في مصر أو جزيرة إغريقية في المحيط المصري**
- **لقد ذكرت لي أن الإغريق تواجدوا بكثرة في مصر خلال العصر الفرعوني كجنود مرتزقة أو كتجار**
- **نعم ، ولقد كان ذلك من أسباب نقل العديد من العلوم من مصر إلي بلادهم ، ولكن هذه المرة جاءوا ليحكموا مصر ويفرضوا حضارتهم بها**
- **فكيف بدأ عصر الاسكندر والبطالمة في مصر ؟ وما هي المعلومات المتوفرة عن الاسكندر ؟**
- **ولد الإسكندر عام ٣٥٦ ق م وكان تلميذًا للفيلسوف أرسطو وأعتلي عرش مقدونيا في سن الـ ٢٠ بعد مقتل أبيه فيليب في عام ٣٣٦ ق م ، ويلقب عادةً بالإسكندر الأكبر ، وكان شديد التعلق بأمه أوليمبياس ، وقد غيرت فتوحاته مجري التاريخ ، وفي مستهل ربيع عام ٣٣٤ ق م خرج الإسكندر علي رأس جيش مقدوني إغريقي وخرج معه عدد من العلماء والأدباء وعبر الدردنيل وكان الإسكندر معجبًا بعصر البطولة وبالأبطال الإغريق الأسطوريين ، وكان يحمل معه نسخة من الإلياذة ، والتحم الإسكندر بالجيش الفارسي وانتصر عليه عام ٣٣٤ ق م ، واحرز انتصاره الثاني علي الملك الفارسي دارا الثالث في نوفمبر ٣٣٣ ق م ، وفر دارا الثالث بعد الهزيمة تاركًا أسرته التي وقعت في يد الإسكندر ، وقد عامل الإسكندر زوجة وبنات الملك الفارسي معاملة كريمة وردهن إليه ، وكانت مصر ولاية فارسية وكان التنافر شديدًا بين الفرس والمصريين لاختلاف العقائد الدينية ، وقد دخل الإسكندر مصر في خريف عام ٣٣٢ ق م وأدرك الوالي الفارسي عبث المقاومة فاستسلم دون قتال ودخل الإسكندر ممفيس حيث نهج نهجًا يختلف تمامًا عن نهج الفرس فقدم ولاءه للآلهة الوطنية ، واعتبره المصريون وريثًا للفراعنة ، وقبلوه ملكًا علي الفور ، وعند قرية مصرية قديمة تسمي راقودة أسس الإسكندر مدينة إغريقية تحمل اسمه ولاتزال ، وهي مدينة الإسكندرية في يناير ٣٣١ ق م ، وتابع الإسكندر سيره نحو الغرب حيث بلغ موقع مرسي مطروح الحالية ومنها انحرف جنوبًا ضاربًا في قلب الصحراء قاصدًا واحة الإله آمون المعروفة الآن بواحة سيوة ودخل قدس الأقداس بمعبد الإله آمون ، حيث حياه كاهن المعبد كابن للإله آمون ، ثم عاد الإسكندر إلي منف وأعاد نظام الحكم والإدارة علي أسس جديدة ، ومنح مصر استقلالًا داخليًا ،ولم يعين حاكمًا عامًا للبلاد ، وإنما وزعت السلطة بعناية شديدة ليمنع أي حاكم بمفرده من أن يقوي سلطانه ويتمكن من الاستقلال بالبلاد**

- **وهذا يؤكد أن الإسكندر اكتشف ما لمصر من إمكانيات تؤهلها للاستقلال فاتخذ فيها إجراءات خاصة تختلف عن باقي الولايات الخاضعة لحكمه أليس كذلك ؟**
- **بالتأكيد ، ثم غادر الاسكندر مصر في ربيع عام ٣٣١ ق م ، ليواصل قتال الفرس وتواصلت انتصاراته وفتوحاته في آسيا ، ثم قفل راجعًا إلي بابل التي اتخذها عاصمة لإمبراطوريته وفيها مرض بالحمي ومات في ١١ يونيو عام ٣٢٣ ، وكان الاسكندر هو أول من نبه أذهان الإغريق إلي فكرة الإمبراطوية وما يستتبعها من السيطرة علي العالم المأهول وقتئذ ، وما فيه من شعوب وعناصر مختلفة وفتوحاته الواسعة هي أوضح دليل علي تبلور هذه الفكرة في ذهنة ، وقد أفصح عن هذا في رسالته التي بعث بها إلي دار الثالث بعد انتصاره عليه ، في معركة أسوس عام ٣٣٣ ق م ، وفيها يصف نفسه بسيد آسيا ويمضي الإسكندر قائلًا له : لقد انتصرت عليك وأصبحت أمتلك أراضيك بفضل الآلهة ، وهكذا يجب أن تراسلني الآن باعتباري ملك آسيا العظيم ، وحاذر من أن تكتب إلي كما تكتب إلي ند (نظير) لك ، لكن اذكر دائمًا عندما تلتمس مني مطلبًا إلي سيد كل ما تملكه ، وجدير بالذكر أن وفاة الملك الإسكندر الأكبر كانت مبكرة مع بداية شبابه ، فاتفق قادة جيوش الإسكندر علي تقسيم البلاد فيما بينهم ، فكانت مصر من نصيب القائد بطليموس بن لاجوس (بطليموس الأول) الذي يعتبر مؤسس دولة البطالمة في مصر والتي استمرت حتي سنة ٣٠ قبل الميلاد ، أي حوالي ثلاثة قرون وكانت الاسكندرية هي العاصمة التي أصبحت منارة للحضارة الإغريقية[٩٢]**
- **مات الاسكندر إذن ولم يعرف أنه سيتم تفتيت إمبراطوريته**
- **كما سيموت بعد ذلك بطليموس الأول دون أن يعرف أن دولته ستسقط في يد الرومان سنة ٣٠ ق م ، أما الاسكندر فهناك رواية تقول أنه توقع أن يحدث تنافس علي عرشه بعد موته ولكن لا أعتقد أنه توقف تفتيت إمبراطوريته ، فالرواية تقول أن أكبر قادة الاسكندر الجنرال (برديكاس) قائد القوات المقدونية الذي كان الإسكندر قد سلمه وهو في النزع الأخير أختامه الخاصة وأوراقه روت أحد الأقاويل أن الإسكندر وهو في النزع الأخير سأله أحد قواده " من أجدر بإرث الإمبراطورية ؟ " فأجاب علي الفور " للأقوي منكم "[٩٣] ، وقد اتفق القادة بعد موته علي توزيع الولايات بينهم والوصاية علي العرش لتكون للجنرال برديكاس المسن نسبيًا ،**
- **لقد سمعت أن بطليموس الأول هذا كان أكثر قادة الاسكندر دهاء فهل هذا صحيح ؟**
- **بالفعل فلقد كان شخصية غير عادية وكان علي قدر كبير من المكر والدهاء وقد اختار مصر لتكون من نصيبه تمهيدًا لتحقيق أغراضه لأن هذا الرجل قد عرف ما لمصر من إمكانيات تجعله يشيد ملكًا**

---

[٩٢] نقلًا باختصار عن كتاب دراسات في العصر الهللينستي ، إعداد د فادية محمد أبو بكر أستاذ مساعد التاريخ القديم كلية آداب جامعة الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية

[٩٣] معالم وتاريخ حضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٦

عظيمًا له ولأولاده من بعده ، وقد كان بطليموس علي يقين أن عرش الإمبراطورية في طريقه إلي الموت وسوف يستقل رسميًا بمصر بعد ذلك وهذا ما تم بالفعل ولكنه أجّل تنفيذ هذه الأحلام والأهداف لحين استقرار الأمور وحتي لا يفطن برديكاس وباقي القادة لما يريده ، والطريف أن باقي القادة لم يرغبوا في اختيار مصر عند تقسيم الإمبراطورية وهو الوحيد الذي اختارها

- يبدو أنه كان يعرف أن كل منهم سيحكم كملك ، أما هو فسيقوم المصريون بوصفه كإله معبود والعياذ بالله ، فإذا كانت لديك معلومات عن هذا البطليموس أرجو أن تخبرني بها
- سأقرأ لك بعض ما كُتِب عنه من كتاب هؤلاء حكموا مصر حيث ورد ما ملخصه :

الملك بطليموس الأول (سوتير) Ptolemy I Soter

- رغم فتوحات الملك الإسكندر الأكبر ابن الملك فيليب المقدوني والملكة أوليمبياس ، ورغم زيجاته العديدة سواء في الشرق أو في الغرب ، فإنه لم يعقب ولدًا ليكون خليفة له علي الإمبراطورية المقدونية ، فوفاته كانت مبكرة مع بداية شبابه ، فلم ير ابنه الأول الوحيد من زوجته الأميرة روكسانا ابنة الملك الفارسي دارا الثالث ، وفي الوقت نفسه كان أخوه الملك فيليب أرهيدايوس مختلًا عقليًا فأصبحت الإمبراطورية بلا إمبراطور رشيد يتولي أمورها ، فاتفق قادة جيوش الإسكندر علي تقسيم البلاد فيما بينهم ، فكانت مصر من نصيب القائد بطليموس بن لاجوس الذي يعتبر مؤسس دولة البطالمة في مصر منذ سنة ٣٢٣ قبل الميلاد والتي استمرت حتي سنة ٣٠ قبل الميلاد ، أي حوالي ثلاثة قرون وفي بداية حكمه استطاع أن يعيد إلي شعب مصر التماثيل والكتب المقدسة التي كان الفرس قد نهبوها من مصر ، كرد لاعتبارهم ، فلقي بذلك تأييد الكهنة والشعب المصري علي السواء ، ثم تخلص من وزير المالية الإغريقي الذي كان يستغل أموال الشعب المصري ومحاصيلهم ، ولقد استطاع بطليموس الأول أن يأتي بالموكب الجنائزي للإسكندر الأكبر إلي مصر ، وأن يقوم بدفنه في مدينة الإسكندرية المحببه إليه ، وقد أحسن المصريون استقبال الجثمان وأثنوا علي تقوي بطليموس بن لاجوس الذي فضل أن تكون مصر هي مثوي الإسكندر الأكبر ، وليس مقدونيا كما هو متبع ، وبذلك أصبحت الإسكندرية هي كعبة الإغريق يأتون إليها من كل حدب لمشاهدة ضريح معبود الإغريق العظيم وقائدهم المظفر الذي فرض نفسه علي تاريخ البشرية ، وكانت سياسة بطليموس الأول سوتير تتلخص من خلال أعماله في حماية مصر وحدودها من الشرق والغرب ، وإقامة قاعدة بحرية للأسطول في قبرص لتساعده علي نشر نفوذه في آسيا الصغري أو بلاد اليونان ، كما كان في مخططه دائمًا الإستيلاء علي سوريا لتأمين الطرق التجارية والاستفادة من أخشاب الأرز من أجل بناء الأسطول القوي ، واستطاع إخضاع منطقة ليبيا ، كما صالح حكام مملكة مروي في الجنوب وكسب صداقتهم ، ولتحقيق هذه الأهداف استلزم الأمر دخول بطليموس الأول في العديد من الحروب

السياسية والعسكرية ، حتي استطاع بناء دولة بطلمية عظيمة قاعدتها مصر ، ولقد حمل الملك بطليموس الأول سوتيروس الألقاب المصرية الفرعونية التقليدية ، أما لقب سوتيروس فيعني المنقذ أو المخلص ، وإرضاء للشعب المصري الذي ينظر إلي الملك الفرعون الذي لابد أن يجري في عروقه الدم الملكي المقدس تزوج بطليموس الأول من إحدي الأميرات المصريات حتي يعطي لنفسه الحق في تولي عرش مصر طبقًا للتقاليد المصرية المتبعة ، كما أبقي علي نظام الإدارة الفرعوني القديم واحترم حقوق طبقة الكهنة وامتيازاتها ، وجعل الإسكندرية هي عاصمة البلاد بدلًا من منف ، وقد حرص بطليموس الأول علي الحفاظ علي الدم الإغريقي نقيًا حتي لا يضيع في بحر المصريين ، ولهذا فرغم احترامه لمشاعر المصريين حرم الزواج بين الشعبين ، ولقد اهتم بطليموس الأول بتوطيد ودعم تجارة مصر في حوض البحر المتوسط وقام بسك عملة مصرية تحمل إحداها علي وجهيها صورة كل من الإسكندر الأكبر وبطليموس الأول ، وفي الوقت نفسه حرص علي دقة وزن العملة وصفاء ونقاء وزنها ، سواء كانت ذهبية أو فضية

- أكثر ما لفت نظري في كل هذه المعلومات أن بطليموس الأول حرص علي إرضاء الكهنة وزواجه من إحدي أميرات البيت الفرعوني ليؤكد رغبته في أن يحصل علي ألقاب الفرعون المؤله
- وقد فكر بطليموس الأول في وضع ديانة جديدة لتوحيد الشعب المصري والإغريقي روحانيًا من أجل السلام والتعايش السلمي وهي ديانة سيرابيس المصرية المتأغرقة (عبارة عن توفيق بين الديانتين) وحرص بطليموس الأول علي حضور جميع الاحتفالات الدينية وقام بترميم المعابد الشهيرة
- لقد حرص علي توحيد الشعب المصري والإغريقي روحانيًا أما تحريم الزواج بينهما فهو قمة العنصرية فيما أعتقد ليظل السيد سيد والعبد عبد ، ويبدو أن المسلمين فقط هم أول من تزاوجوا مع شعب مصر بعد الفتح ، فماذا كتب عنه أيضًا
- ولم يهمل بطليموس الأول النواحي الثقافية والفكرية فأحدث نهضة فنية وعلمية كبري في مصر تذكرنا بحضارة مصر الفرعونية القديمة ، وإن كانت اقتصرت علي الإسكندرية أكثر من سواها من مدن مصر ، وعندما زاد عدد العلماء والفنانين والفلاسفة في مدينة الإسكندرية قرر بطليموس بناء أكاديمية لهم أطلق عليها اسم الموسيون أي بيت ربات الفنون والآداب التسع ، وتم بناء مكتبة عظمي أحضرت لها الكتب والمخطوطات النادرة من كل مكان وازدادت أعداد الكتب في عهد خلفاء بطليموس الأول حتي وصلت إلي ٧٠٠ ألف كتاب بمكتبة الإسكندرية ، وقد ظل بطليموس الأول يعمل بنشاط لا يكل وبعزيمة لا تلين حتي بلغ الثمانين من عمره ثم أعلن تنازله عن العرش لابنه بطليموس الثاني فيلادلفوس سنة ٢٨٥ قبل الميلاد ، ومما يذكر لعهد الملك بطليموس الأول أنه أمر ببناء منارة الإسكندرية في جزيرة فاروس وقد اكتمل بناءها في عهد بطليموس الثاني ، وقد تواجد بالإسكندرية العديد من العلماء والأدباء والمؤرخين والفلاسفة والفنانين فمن هؤلاء إقليدس وهيروفيلس وثيودوروس وإراستوثنيس

وغيرهم فأصبحت الإسكندرية منارة للإشعاع الحضاري بعد اندماج الحضارتين المصرية والإغريقية ، وفي عهد البطالمة كتب المؤرخ المصري مانيتون كتابه الشهير عن تاريخ مصر ورتب الأسرات الفرعونية وقوائم ملوك الفراعنة ، وقد اتخذ بطليموس الأول سياسة ثابتة لتشجيع هجرة الإغريق وتنظيمها إلي مصر ، واستمرت دولة البطالمة تحتفظ بمكانتها إلي أن دب فيها الضعف والاضمحلال ، فسقطت حين دخلها الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس منتصرًا سنة ٣٠ قبل الميلاد فتحولت مصر إلي ولاية رومانية منذ ذلك التاريخ[٩٤]

- **يالها من معلومات تاريخية رائعة عن هذا الملك ، ولكن ألا يذكرك هذا الرجل بعض الشئ بمحمد علي باشا**
- **بكل تأكيد فقد كان هو ومحمد علي باشا وغيرهم من ذلك الطراز من القادة الذين عرفوا إمكانيات مصر جيدًا وعلي حد تعبير الأستاذ جمال بدوي عنهم (وضعوا أيديهم علي مفتاح شخصيتها فباحت لهم بسرها وجعلت منهم حكامًا يلهج بذكرهم التاريخ)[٩٥] ، ولقد كان بطليموس الأول ومحمد علي متشابهان في الكثير من الأمور ، ولكن هناك فرق بين الرجلين في مسألة تجنيد المصريين في الجيش المصري ، فقبل أن نترك هذا البطليموس الأول لا بد أن نتوقف عند معلومة في منتهي الخطورة تخص هذا الرجل وقد تبدو بسيطة أو عادية للبعض ولكنها من وجهة نظري المتواضعة تعد عملًا خطيرًا أدي إلي قهر هذا الشعب وتحجيم دوره لفترة طويلة جدًا من الزمن حيث أنه حرم علي المصريين دخول الجيش خوفًا من اندلاع الثورة ضده[٩٦] وقام بتشجيع هجرة الإغريق للاستعانة بهم في تكوين دعائم ملكه وقوته واستخدمهم كتجار وخبراء ومهندسين وجنود في الجيش وهذا العمل أدي إلي إبعاد المصريين عن القتال وهذه كارثة لا تخفي عليك نتائجها يا صديق العزيز ، وبطليموس الأول لم يهنأ بعرش مصر بسهولة ولكنه دخل في حروب طاحنة ومؤامرات مستمرة مع ورثة الإسكندر بل إن مصر تعرضت للغزو مرتين لخلعه من العرش ولكنه كان يستغل فيضان النيل في صد هجوم أعداءه وعلي العموم لو تأملت قصة بطليموس الأول ستجدها مشابهة إلي حد ما مع قصة محمد علي باشا في العصر الحديث فكلاهما دخل مصر وسيطر عليها وتودد للسلطة الدينية بها مع عدم المقارنة طبعًا بين الكهنة الخبثاء ومشايخ الأزهر الأتقياء وكلاهما كسب ود الشعب المصري وكلاهما قام بإجراءات عديدة متشابهة منها مثلًا التحالف مع بعض الأعداء ومقاتلة البعض الآخر طبقًا لمقتضيات الموقف وكلاهما أشرك أكبر أبناءه في حروبه بل كانوا قادة علي أعلي مستوي من المهارة والخبرة ولكن أكبر اختلاف بين بطليموس الأول ومحمد علي باشا أنه استبعد المصريين من الجيش بينما استعان بهم محمد علي**

---

[٩٤] نقلًا باختصار عن كتاب هؤلاء حكموا مصر - من مينا إلي مبارك - إعداد حمدي عثمان – المراجعة العلمية د ناصر الأنصاري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠١٢ - صفحات ١١١، ١١٢ ، ١١٣

[٩٥] محمد علي وأولاده (جمال بدوي) صفحة ٣٣

٩٦ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٣٨

بعد أن اضطر لتجنيدهم وقد استطاع هذا الجيش المصري الذي وضع لبنته الأولي محمد علي أن يطيح بآخر ملوك أسرة محمد علي وهو الملك فاروق واستعادة حكم المصريين لمصر

- **وماذا بعد بطليموس الأول ؟**

<u>عصر البطالمة بعد بطليموس الأول</u>

- **تولي الملك بطليموس الثاني الحكم في حياة أبيه وتولي الحكم وهو في الخامسة والعشرين من عمره وكان سياسي علي أعلي مستوي ولقد استكمل ما بدأه والده وقام بإصلاحات إدارية وثقافية كبيرة وبلغت البلاد في عهده قمة الثراء والتقدم في جميع المجالات وليس معني هذا أن عهده كان خاليًا من الحروب والصراعات والمؤامرات الخارجية بل إن المحافظة علي ممتلكات الدولة وتوسعاتها التي ورثها عن أبيه كلفته العديد من الصراعات والمؤامرات ولكنه كان غالبًا ما يرسل القادة للقتال دون أن يذهب بنفسه علي رأس الجيش وقام بطليموس الثاني بالدعوة لعبادة أبيه وأنشأ له ضريح ضخم كما أنه كان متزوجًا من أخته وكان يحبها حبًا شديدًا لدرجة أن اسمه (فيلادلفوس) ترجمته (المحب لأخته) ، وقد حكم مصر من سنة ٢٨٥ ق م إلي سنة ٢٣٦ ق م٩٧ وفي رواية أخري مات سنة ٢٤٦ ق م٩٨ وتولي حكم مصر بعده ابنه بطليموس الثالث وقبل أن نترك بطليموس الأول والثاني ونبدأ في الكلام عن أولادهم وأحفادهم لابد أن نتوقف عندهما قليلًا فقد استطاع الأول أن يؤسس واستطاع الثاني أن يحافظ ويدعم المملكة واستكمال ما بدأه الأول بجدارة واقتدار ويكفي أن أقول لك أن الإسكندرية في ذلك الوقت كانت قبلة العلماء والشعراء والمفكرين الإغريق وغيرهم بل إن أهم ما يحسب لهما إنشاء مكتبة الإسكندرية العظيمة التي أمر بإنشائها بطليموس الأول ودعمها بالكتب الوفيرة بطليموس الثاني٩٩ وكذلك المخطوطات النادرة ، وكذلك قام بإنشاء حديقة للحيوانات جمع فيها كل ما هو غريب من الحيوانات والطيور من أنحاء العالم وبلغت ثروة مصر في هذا العصر قمتها**
- **لا شك أن ثروة مصر كان يتمتع بها النخبة الحاكمة والكهنة ومن علي شاكلتهم**
- **بالتأكيد ولكن علي أي حال كان ثراء مصر يبقي داخلها ولا يتم إرساله للخارج كما سيحدث بعد ذلك في العصر الروماني ، وما يذهب لا يعود كما يقال**
- **وماذا حدث بعد بطليموس الثاني ؟**
- **نأتي إلي بطليموس الثالث الذي كان داهية سياسية فقد استطاع أن يحافظ علي المملكة بأقل عدد ممكن من الحروب كما أنه كان يتسم بذكاء حاد وكان علي علاقة طيبة بالكهنة وكان أعداءه في الخارج مشغولين بالمشاكل والثورات الداخلية في بلادهم والتي كانت تحدث بسببه هو شخصيًا ، ويقول**

---

٩٧ موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٤١
٩٨ معالم تاريخ وحضارة مصر القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ٦٩
٩٩ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٦٠

عنه د سيد الناصري في القسم الثاني من كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر صفحة ٧٥ (-- وبذلك نجح بطليموس الثالث عن طريق الذكاء والدبلوماسية أن يحفظ توازن القوي وهو جالس في قصره بالإسكندرية لكنه حرص في نفس الوقت علي دعم مركزه في الداخل أي عند المصريين ويعتبر بطليموس الثالث من أعظم البطالمة اعتدالًا واتزانًا --)

- هل ظل خلفاء الاسكندر يتقاتلون ويوسعون حدود الدول التي يحكمونها ؟
- بالتأكيد ، فكل منهم كان يحكم جزء من الإمبراطورية الضخمة التي تركها الاسكندر ، وكان يعتقد أنه لا يقل عظمة عن الاسكندر وأنه يجب أن يضم باقي الدول لحكمه ويعيد تأسيس إمبراطورية الاسكندر وبالتالي لم تتوقف الحروب بينهم ، أما بطليموس الثالث الداهية فكان يعتمد علي إثارة الاضطرابات بينهم حتي يأمن شرهم ويثير شعوبهم فيشغلهم دائمًا بمشاكل داخلية ، وبالتالي لم يعتمد علي الجيش كثيرًا لتحقيق أهدافه وهذا البطليموس الثالث علي ما يبدو كان آخر الرجال المحترمين في هذه الأسرة ، فمثلًا في عهد بطليموس الرابع كان الجيش في حالة يرثي لها وذلك لأن بطليموس الثالث أهمله بعض الشئ لاعتماده علي الدبلوماسية التي حقق بها ما يمكن تحقيقه بالجيوش ، وقبل أن يأخذنا الحديث عن أهم الأحداث في عصر البطالمة أريد أن ألفت نظرك إلي المنافسات الرياضية التي كانت تتم في ذلك العصر وهي ما تسمي بالألعاب الأوليمبية
- هل من المعقول أن يقيموا منافسات وبطولات رياضية وسط كل هذه الحروب والصراعات ؟
- هذا هو الطريف في الموضوع فقد كانت تتوقف الحروب أثناء هذه البطولات الرياضية كالأشهر الحرم بالنسبة للعرب بعد ذلك وسوف أتلو عليك بعض ما قرأت عن هذا الموضوع

<u>عندما كانت تتوقف الحروب بسبب الألعاب الأوليمبية في العصر الهيلنستي</u>

- كانت فتوحات الاسكندر لها عواقب عديدة بالنسبة للدول اليونانية. فقد وسعت آفاق كبيرة لليونانيين، وأدت إلى هجرة مطردة، وخاصة للشباب والطموحين، للامبراطوريات اليونانية الجديدة في شرق البلاد فهاجر كثير من اليونانيين إلى الإسكندرية وأنطاكية والعديد من المدن الهلنستية الجديدة التي تأسست في أعقاب الاسكندر الأكبر ، فبعد وفاته قُسمت امبراطوريته، بعد فترة من الصراع، بين جنرالاته، مما أدى إلى المملكة البطلمية استنادا إلى مصر(، والإمبراطورية السلوقية) استنادا إلى بلاد الشام، بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، وأسرة انتيجونيد التي مقرها في مقدونيا . والعصر الهيلينستي فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين. وقد بدأت بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م، واستمرت حوالي ٢٠٠ سنة في اليونان وحوالي ٣٠٠ سنة في الشرق الأوسط .ويستخدم اصطلاح هيلينستية لتمييز هذه الفترة عن الفترة الهلينية وهي فترة الإغريقيين القدماء التي اعتبرت أوج عبقرية وعظمة الفكر والعلوم

والفلسفة الإغريقية في ظل الامبراطورية الأثينية. والجدير بالذكر أن الفترات الوحيدة تقريبًا التي كانت تتوقف فيها الحروب بين الممالك الهيلينستية هي الفترات التي كانت تقام فيها دورات الألعاب الأوليمبية فتتحول الصراعات الحربية إلي منافسات رياضية ثم تعود الحروب مرة أخري بعد انتهاءها ، وكانت قبل ذلك قد بدأت الدورات الاولمبية القديمة في عام ٧٧٦ قبل الميلاد. وكانت تقام كل أربع سنوات على شرف زيوس كبير آلهة اليونان وزوجته هيرا وتدوم لمدة سبعة أيام. ولم تكن دورات الألعاب الأولمبية القديمة مجرد رياضة فقط بل كان لها معان دينية ووطنية. ولم تشهد دورات الالعاب الاولمبية القديمة أي توقفات حتى أثناء الحرب الفارسية حيث أقيمت الدورة عام ٤٨٠ قبل الميلاد.

- وهل استمرت الألعاب الأوليمبية في العصر الروماني ؟
- في عام ١٤٦ قبل الميلاد سيطر الرومان على اليونان وفرضوا سيطرتهم بالتالي على الدورات الاولمبية ورغم ذلك ظلت الدورات الاولمبية تقام كل أربع سنوات حتى عام ٣٩٣ الميلادي قبل أن يلغيها الامبراطور البيزنطي المسيحي تيودوروس الاول ليقضي علي مظاهر الوثنية وكان يعتبر أن هذه الدورات من هذه المظاهر لتتوقف الدورات الاولمبية بعد نشاط دام ١١٧٠ عامًا.
- ومتي عادت مرة ثانية ؟
- بعد ١٥ قرنًا كاملة غابت فيها الشمس عن دورات الالعاب الاولمبية منذ قرار الامبراطور البيزنطي تيودوروس الأول بإلغاء دورات الالعاب الاولمبية القديمة عادت الشمس لتشرق من جديد على الدورات الاولمبية من خلال الدورات الحديثة التي انطلقت في أواخر القرن التاسع عشر ، وكان النبيل الفرنسي بيير دي كوبرتان هو صاحب فكرة إحياء الدورات الاولمبية الحديثة وبالفعل بعث هذا المهرجان الرياضي من مقره الأساسي في اليونان عندما أقيمت أولى الدورات الاولمبية الحديثة في العاصمة اليونانية أثينا عام ١٨٩٦. وأقيمت الدورة الأولى في أثينا باليونان خلال الفترة من السادس إلى ١٥ نيسان/أبريل ١٨٩٦ وافتتحها الملك اليوناني جورج الأول والنبيل الفرنسي بيير دي كوبيرتان صاحب فكرة إحياء الدورات الاولمبية الحديثة وذلك على الاستاد الاولمبي بالعاصمة اليونانية أثينا والذي غطي بالرخام والمرمر. وكانت الدورة مهددة بعدم إقامتها أو بنقلها إلى العاصمة المجرية بودابست لعدم وجود استاد أولمبي في أثينا، بالاضافة لعدم وجود الامكانات المناسبة لدى الحكومة اليونانية لإقامة هذا الاستاد. ولكن الاستاد بني في غضون ١٨ شهرًا فقط بعدما تبرع الثري اليوناني جورج أفيروف أحد أبناء مدينة الإسكندرية المصرية بمبلغ ١٠٠ ألف دولار لتشييد الاستاد الذي اتسع لأكثر من ٧٠ ألف مشجع
- حقًا ، قد تصنع الرياضة ما تعجز عنه السياسة
- نعود إلي الحديث عن البطالمة وقد وصلنا إلي بطليموس الرابع الذي اعتلي عرش مصر بعد بطليموس الثالث

- **عرش مصر والإسكندرية أليس كذلك ؟**

<u>الاسكندرية في عصر البطالمة مدينة إغريقية</u>

- **أنت محق تمامًا فقد كانتا دولتان مختلفتان تمام الاختلاف ولكل منهما شعب وثقافة وحضارة ، فقد كانت الإسكندرية عاصمة البطالمة عبارة عن قطعة من بلاد الإغريق تم انتزاعها ولصقها بمصر بمنازلها وأسواقها ومعابدها ومنشآتها ، أما باقي مصرً فكانت لشعب مصر**
- **إذن هو استعمار استيطاني وليس احتلال عادي**
- **نعم لقد اتخذ الإغريق مصر وطنًا لهم وتركزوا في الإسكندرية ، ولأن الاسكندرية أصبحت تنافس بلاد الإغريق نفسها في حضارتها بل وتتفوق عليها أحيانًا بمكتبتها وعلماءها بحيث أصبحت منارة للحضارة الإغريقية في العالم كله وبالتالي أصبحت منطقة جذب لكل إغريقي ، كما كان البطالمة يشجعون الإغريق علي الهجرة إلي الإسكندرية**
- **شئ عجيب جدًا أن يأتي شعب ويسيطر علي شعب آخر ولا يختلط به ولا يتزوج منه ويحتفظ كل منهم بثقافته وحضارته ولغته**
- **ولكن لا تنسي أن بطليموس الأول قد وضع دينًا جديدًا ليوفق بين الديانتين الفرعونية والإغريقية**
- **إنه قمة العبث أن يضع دينًا جديدًا أو يوفق بين ديانتين فهل كان نبي مثلًا**
- **إنه قد اكتسب عند المصريين قداسة الفراعنة الأوائل ، وكان الكهنة يحتاجون لوجود مثله حتي يستطيعون أن يستمروا في أعمالهم**
- **ولكن أعتقد أن اللغة المصرية القديمة قد تأثرت بالفعل من كل هذا**
- **بالطبع لقد نشأت لغة جديدة نتيجة لكل هذا ، حتي أن حجر رشيد الذي سنتكلم عنه بعد قليل خير دليل علي وجود نص واحد مكتوب بثلاث لغات مختلفة علي هذا الحجر في عصر البطالمة مما سهل فك رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)**
- **ألم يقم البطالمة بتأسيس مدن إغريقية أخري في مصر ؟**
- **كان بطليموس الأول قد قام بتأسيس مدينة في الصعيد تحمل اسمه (مدينة بطلمية) تشبهًا بالإسكندر والغرض منها نشر الحضارة الإغريقية في الجنوب لأن الجنوب دائمًا مصدر المقاومة والاضطرابات ، كما كانت هناك مناطق أخري يتجمع فيها الإغريق منذ العصر الفرعوني ، ولكن بالطبع أصبحت الاسكندرية قلعة الحضارة الإغريقية ليس في مصر ولكن في العالم إلي حد ما**
- **وهل ظلت الاسكندرية علي طبيعتها الخاصة بعد انتهاء عصر البطالمة ؟**
- **بالتأكيد ظلت كذلك وحتي عندما احتل الرومان مصر أعطوا لشعب الإسكندرية وضع خاص يختلف عن شعب مصر فكأن الرومان قد احتلوا مصر واحتلوا الاسكندرية أيضًا**

- **أي أصبح هناك شعبان تحت الاحتلال ، المصري والإغريقي أليس كذلك ؟**
- **في الحقيقة بل ثلاثة شعوب إذا أضفنا الأقلية اليهودية التي كانت مركزة في الاسكندرية أيضًا والشعب الرابع هم الرومان أنفسهم**
- **فماذا سيكون التصنيف إذا صنفناهم كمواطنين بالرؤية الحالية للمواطنة العنصرية إذا جاز التعبير ؟**
- **إنه سؤال وجيه فعلًا ، وأعتقد أن المواطن الروماني كان مواطن من الدرجة الأولي بالطبع فهو سيد الجميع ، ثم يليه الإغريق ثم اليهود ثم المصريين ، ولا تنسي أنهم جميعاَ وثنيين عدا اليهود ، فقد كانوا الوحيدين في العالم الذين يعبدون الله ويدينون بدين سماوي ،ولكن لم يكن وجودهم يقلق أحد لكونهم أقلية علي أي حال**
- **ومن هنا نفهم أن شعب الإسكندرية عندما يُذكر في كتب التاريخ التي تتناول تلك الفترة من تاريخ مصر ليس مقصود به المصريين أطلاقًا**
- **بالتأكيد ، ولقد ظلت الإسكندرية عاصمة لمصر طوال عصر البطالمة ثم عصر الرومان وحتي دخلها القائد عمرو بن العاص فاتحًا فاتخذ عاصمة جديدة لمصر وهي مدينة الفسطاط ، ونعود إلي الحديث عن أهم الأحداث في عصر البطالمة وقد وصلنا لبطليموس الرابع وتعتبر معركة رفح الشهيرة هي أهم حدث وقع في عهه**
- **وماذا قرأت عن هذه المعركة ؟**

<u>معركة رفح تلهب الحماس وتبعث الروح مرة أخري في الشعب المصري</u>

- **حرص حكام مصر في بداية عصر البطالمة علي عدم تجنيد المصريين في جيش دولتهم كما ذكرنا ، فكان اعتمادهم علي المقدونيين والإغريق (اليونانيين) فقط في الحروب ، وكانوا يكتفون من المصريين بخدمة الجيش البطلمي من الناحية الإدارية فقط ونقل ما يحتاجه أثناء الحروب ، وكان مغزي ذلك واضحًا ، حيث أن ابتعاد المصريين عن القتال بشكل عام يفقدهم روح المقاومة ، ونجح بطليموس الأول وتلاه بطليموس الثاني في تكوين جيش بطلمي قوي بدون مصريين واستطاعا تحقيق جميع أهداف دولة البطالمة باستخدام هذا الجيش ، وقلنا أيضًا أن بطليموس الثالث عندما جلس علي عرش مصر لم يكن يعتمد علي القتال في تحقيق أهدافه حيث كان داهية سياسية وكان أعداءه في الخارج مشغولين بالمشاكل والثورات الداخلية في بلادهم والتي كانت تحدث بسببه هو شخصيًا ، وبعد وفاة الملك بطليموس الثالث تولي ابنه بطليموس الرابع فيلوباتور وقد حكم مصر ما يقرب من ١٦ سنة أي من حوالي سنة ٢٢١ قبل الميلاد إلي سنة ٢٠٥ قبل الميلاد ويعتبر عهده بداية النهاية لدولة البطالمة ، وكانت الممالك الإغريقية الأخري تتطلع للنيل من الإمبراطورية المصرية البطلمية وخاصة مملكة السليوكيين بآسيا الصغري ، ففي عهد بطليموس الرابع تقدمت جيوش الدولة السليوكية نحو**

الشام واستطاعت إخضاع سوريا وفلسطين وأصبحت تدق أبواب مصر نفسها ، و كان الجيش البطالمي في حالة يرثي لها عندما وصل بطليموس الرابع للحكم ، وذلك لأن بطليموس الثالث أهمله بعض الشئ لاعتماده علي الدبلوماسية التي حقق بها ما يمكن تحقيقه بالجيوش ، وبالتالي اضطر بطليموس الرابع أن يجند حوالي عشرين ألف مقاتل مصري مع الجنود الإغريق ليدافع عن ملكه ، وحدثت المعركة الشهيرة في التاريخ باسم معركة رفح سنة ٢١٧ ق م ، التي أبرزت معدن ابن وادي النيل بالانتصار الساحق علي القوات السليوكية ، الأمر الذي جعل الملك السليوكي يعترف بالسيادة المصرية علي سوريا ، وذلك نصر اشتاقت إليه نفوس المصريين منذ أيام الفراعنة ، فمنذ ذلك التاريخ حدثت الصحوة الكبري للمصريين في عصر البطالمة ، وبالتالي واجه البطالمة بعد ذلك ثورات عنيفة في البلاد لم تكن لتحدث قبل تجنيد المصريين

- وكأنه كما يقال في الأمثال الشعبية قام بتحضير عفريت مارد ولم يتمكن من صرفه
- بالطبع فقد كان بطليموس الرابع لا يمتلك دهاء بطليموس الثالث ولا قوة جيوش بطليموس الأول والثاني فحدث له ما حدث
- فماذا عن حجر رشيد الشهير والذي قلت أنه كُتِب في عصر البطالمة ؟
- هذا الحجر مكتوب عليه ثلاث خطوط وهي الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية وقد تم كتابة هذا الحجر في عهد الملك بطليموس الخامس بواسطة الكهنة تمجيدًا لأعماله الدينية واهتمامه بالمعابد وكان ذلك حوالي سنة ١٩٦ قبل الميلاد وكان بطليموس الخامس كسائر البطالمة يتودد إلي الكهنة المصريين ويهتم بمعابدهم اهتمام خاص ، وكان في مصر في ذلك الوقت تستخدم أكثر من لغة نتيجة لاندماج الحضارة الإغريقية والحضارة المصرية مما نتج عن ذلك ظهور لغة مشتركة ، وقد استطاع العالم الشهير شامبليون فك رموز هذا الحجر عندما اكتشف أن النص اليوناني ما هو إلا ترجمة للنص الهيروغليفي أي أن المنقوش علي الحجر نص واحد مكتوب بثلاث لغات مختلفة وبالمقارنة استطاع أن يفك الرموز ، وبناءًا علي ذلك تمكن العلماء من معرفة كل هذه المعلومات التاريخية والأحداث التي دونها الفراعنة بلغتهم التي تجمع بين الحروف والرموز في وقت واحد وهذا الحجر موجود في بريطانيا حاليا
- لقد سمعت والله أعلم أن اسم الملك المكتوب داخل خرطوشة ملكية في الثلاث لغات كان السبب في تسهيل عملية المقارنة بينها ، فهل تعرف ما الكلمات التي كانت مدونة علي هذا الحجر ؟
- أعرف مقتطفات قصيرة جدًا وفيما يلي بعض من المكتوب علي هذا الحجر : ملك مصر العليا والسفلي ---- تجسيد حي لآمون ----- ابن رع --- بطليموس الخالد المحبوب من بتاح --- --- (- - - حيث أن الملك يقوم بواجبه نحو الآلهة ويقدم المساعدات المالية للمعابد - --- - - وحيث أنه قدم الهبات إلي محراب عجل أبيس ونظم إجراءات دفنه وحيث أنه أمر بترميم المعابد والمحاريب للآلهة

في كافة أنحاء البلاد وحيث أن الملك قام بجميع هذه الأعمال فإن المجمع قد عقد العزم علي أن يزيد من ألقاب الشرف الممنوحة له ولأسلافه وأن يقيم في كل معبد مصري تمثالًا لبطليموس –)١٠٠

- **آمون ورع وبتاح ، يبدو أننا لم نترك الديانة الفرعونية حتي الآن ، فماذا حدث بعد ضعف دولة البطالمة ؟**
- **لقد صعدت روما كقوة عظمي في العالم وتدخلت في شئون مصر**
- **فهل لديك أمثلة علي ذلك ؟**
- **في حوالي عام ١٧١ قبل الميلاد خرجت روما منتصرة في الحرب التي نشبت بينها وبين مقدونيا فأطاحت بما كان لمقدونيا من سلطان وجاه وأصبحت روما صاحبة الجاه والسلطان في كل العالم كما أصبحت حكمًا في كل الخصومات التي كانت تظهر بين الدول المتنافسة بوجه عام ، وفي ذلك الوقت كان يشترك في حكم مصر ملكان شقيقان من ملوك البطالمة وهما بطليموس السادس الملقب بفيلوميتور ، وأخاه بطليموس الملقب بيورجيتس الثاني بينما كان هناك خطر يهدد مصر من دولة السليوكيين في سوريا كالعادة ، فقد استطاع ملك سوريا أنتيوكوس الرابع احتلال مصر وحصار الإسكندرية واستفحل الأمر وفرض هيمنته علي مصر ، إلي أن لجأ البطالمة إلي روما فتدخلت لصالح البطالمة وأرسلت مبعوثيها لتحذير الملك أنتيوكوس الرابع ، وقد وصف المؤرخون مدي الكبرياء والتعالي الذي قام به مندوب روما وهو يسلم الملك رسالة مجلس الشيوخ الروماني ، ففي هذه اللحظة كان أنتيوكوس يحاول أن يتخلص من هذا الموقف ، غير أنه لما رأي في نهاية الأمر أنه كان مجبرًا علي أن يجيب الرومان علي الرسالة ، قال بصوت متهدج : سأفعل ما يرغب فيه مجلس الشيوخ**
- **لهذه الدرجة بلغت قوة روما ؟**
- **نعم ، فقد كانت القوة العظمي الوحيدة في العالم ولا يجرؤ أحد أن يقف ضد مصالحها**
- **ولكن البطالمة كانوا يتوددون لها كما هو واضح ، فماذا كانت رغبة مجلس الشيوخ الروماني ؟**
- **كان ما يرغب فيه مجلس الشيوخ الروماني من أنتيوكوس هو أن ينسحب من مصر جميعها في الحال علي أن يكون خارج حدودها في توقيت محدد وطبقًا للترتيبات التي قررتها روما وهكذا أنقذ الرومان عرش البطالمة في مصر ، غير أن الرومان لم يتركوا البلاد المصرية وشأنها لتحكم نفسها بنفسها ولكنها كانت تتدخل في شئونها ، وتستغل الانقسام الموجود نتيجة الصراع بين الملكين الشقيقين فتشعل الموقف بينهما تارة وتقوم بدور المصالحة بينهما تارة أخري ، وطبقًا لما يحقق مصالحها وعلي حد تعبير سليم حسن : وهكذا نري أن السياسة الرومانية تحت ستار الصلح والتراضي بين الأخوين قد نقضت العمل العظيم الذي جاهد في إتمامه البطالمة الأول ، فقد ضربت بمعولها البناء الذي كانوا قد أقاموه ، وكذلك نجد أنها إدخرت لنفسها الحق في أن تثير عند الحاجة طمع أحد الأخوين عندما يشعر**

---

١٠٠ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري)صـ ٨٦ ، ٨٧

أنه قد نال نصيبًا أقل من ملك والده ، والجدير بالذكر أن سيطرة روما علي مصر استمرت حتي نهاية عصر البطالمة عندما قررت روما ضم مصر كولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية التي اتسعت حدودها وابتلعت كل دول المنطقة فكانت مصر آخر دولة سقوطًا في يد الرومان ، ودخلها الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس منتصرًا سنة ٣٠ قبل الميلاد[١٠١]

- **أي أننا الآن قد وصلنا إلي عصر اضمحلال بطلمي**

<u>بطليموس الثاني عشر (الزمار) يتذلل لروما</u>

- **نعم والفرق بين العصر الفرعوني والعصر البطلمي أن الفراعنة لهم ثلاثة عصور اضمحلال أما البطالمة فعصر اضمحلال واحد فقط ، فقد حكم مصر في بداية عصر البطالمة بطليموس الأول والثاني والثالث وغيرهم وكانت مصر في عهدهم من أقوي الدول وأعظم الحضارات وكانت الإسكندرية في ذلك الوقت بمكتبتها الشهيرة وعلماءها مركزًا للإشعاع الحضاري ثم بدأ رويدًا رويدًا ينحدر عصر البطالمة نحو الهبوط وبدأ يعتلي عرش مصر بطالمة ضعفاء إلي أن وصل الحال أن أصبح بطليموس الثاني عشر علي عرش مصر وكان أهل الإسكندرية يطلقون عليه لقب (الزمار) لأنه كان يحب الرقص والغناء وشرب الخمر ويحب العزف علي المزمار ، وأصبح هذا البطليموس وصمة عار في جبين الأسرة البطلمية ، وكان الزمار يتذلل لروما ويرسل لها الرشاوى والهدايا ويقول عنه الدكتور سيد الناصري (- - – ولكي يحظي باعتراف الرومان راح الزمار يتذلل ويريق ماء وجهه ويدفع الهدايا والرشاوى ويشتري ذمم القادة الرومان من أمثال بومبي ويوليوس قيصر وغيرهم وكان زعماء الحزب الجمهوري الأرستقراطي في روما يفضلون أن يظل الزمار في هذا الوضع المهين ويدفع لهم الأموال التي لا تقل عن دخل مصر إذا ما ضموها – –)[١٠٢] فكان حكم بطليموس الثاني عشر لمصر أفضل لقادة روما من أن يتم احتلالها وتعيين والي روماني عليها**
- **أعتقد أنه إذا فكر قادة روما في احتلال مصر سيقوم الوالي الروماني المعين عليها بإرسال أموال وقمح مصر إلي روما بصفة رسمية وطبقا لحسابات خاصة بولايات الإمبراطورية ولكنه بالطبع لن يضطر إلي إرسال هدايا ورشاوى شخصية للقادة في بيوتهم أما الزمار فكان يرسل ما يفيد روما بشكل عام ويفيد القادة بشكل خاص وبالتالي هذا الوضع قد يكون أفضل من الاحتلال ولهذا كانت مصر هي آخر ما سقط من تركة الإسكندر في يد الرومان وهذا منطقي إلي حد كبير**

---

[١٠١] نقلًا عن كتاب (موسوعة سليم حسن – مصر القديمة) الجزء السادس عشر (من عهد بطليموس الخامس إلي نهاية عهد بطليموس السابع) مكتبة الأسرة ٢٠٠١ بتصرف من صفحة ٢٤١ – ٢٤٤

[١٠٢] من كتاب (معالم تاريخ وحضارة مصر - من أقدم العصور حتي الفتح العربي) – القسم الثاني – د سيد الناصري- صفحة ١٠٥ دار النهضة العربية (الطبعة الثانية) ١٩٨٠

- **وظل هذا الحال إلي أن ثار علي الزمار شعب الإسكندرية فهرب سرًا إلي روما وأوصي في وصيته أن يتولي عرش مصر من بعده أكبر بناته وهي كليوباترا السابعة التي سيطرت علي قادة روما ولكن بطريقة أخري مستغلة جمالها**
- **أخيرًا وصل الحديث إلي الملكة كليوباترا الشهيرة ، فهات ما عندك**

<u>الملكة كليوباترا السابعة وقصة نهاية دولة البطالمة في مصر</u>

- **كانت مصر آخر الدول سقوطا في أيدي الرومان ويرجع السبب إلي أن البطالمة كانوا علي صلة طيبة بالرومان وكانوا يساعدونهم في حروبهم بتزويدهم بخيرات وقمح مصر حتي أن الرومان في فترة من الفترات وجدوا أن البطالمة في أواخر أيامهم كانوا يحكمون مصر كما لو كانوا ولاة تابعين لروما بحيث كانت تأتي الخيرات من مصر إلي روما دون الحاجة إلي احتلال فعلي ، وكان البطالمة في ذلك الوقت يفعلون ذلك ليأمنوا هجوم الرومان عليهم ، كما زاد نفوذ روما في مصر وتدخلت في شئونها الداخلية في عهد البطالمة الضعفاء في نهاية العصر البطلمي الذي كان يحتضر بل مات فعلًا وينتظر شهادة الوفاة الرسمية ، وعندما تولي بطليموس الثاني عشر حكم مصر وتزوج أخته كليوباترا السادسة كان أهل الإسكندرية يطلقون عليه لقب (الزمار) ، وعندما ثار عليه شعب الإسكندرية هرب سرًا إلي روما وأوصي في وصيته أن يتولي عرش مصر من بعده أكبر بناته وهي كليوباترا السابعة وكان يتحتم عليها أن تتزوج من أخيها الصغير بطليموس الثالث عشر طبقًا لوصية أبوها ولكنها حاولت التخلص منه والانفراد بالسلطة وحدها ، وهنا تدخلت روما أيضا في هذا الصراع حيث حاول يوليوس قيصر التوفيق وفض النزاع بين كليوباترا وأخيها وطلب حضورهما للقصر الملكي في الإسكندرية وهذا يعتبر تدخل سافر وإهانة عظمي**
- **أعتقد أن موكب يوليوس قيصر في شوارع الإسكندرية كان يثير كراهية الجماهير بلا شك أليس كذلك ؟**
- **نعم وقد استطاع يوليوس قيصر أن يدعم موقف كليوباترا ويجعلها ملكة علي البلاد بعد مقتل أخيها أثناء الصراع ، وظل قيصر في مصر مع كليوباترا لفترة ثم عاد إلي روما بعد أن ترك لكليوباترا قوة رومانية لحمايتها ، ثم أنجبت كليوباترا منه ولدا ولم تعترف روما بهذا الزواج ، ثم قامت كليوباترا بزيارة روما ومعها ابنها من يوليوس قيصر ليتم الاعتراف به دون جدوي ، وحاولت كليوباترا أن تعيد أمجاد البطالمة الأوائل وتنهض بمصر مستغلة جمالها وسيطرتها علي قادة روما ، يوليوس قيصر ثم أنطونيوس بعد مقتل يوليوس قيصر ،**
- **طبعًا قصة انطونيو وكليوباترا قد تم صياغتها أدبيًا وأصبحت من أشهر قصص الحب في العالم**

- **نعم ولكن القائد الروماني الشهير أوكتافيوس لم يرض بهذا الوضع لأن أوكتافيوس وجد أن كليوباترا لها تأثير عجيب علي القادة الرومان وتقريبًا تحكم نصف الإمبراطورية الرومانية مستغلة حب أنطونيوس لها ، فقرر حسم الموقف وأن يضم مصر نهائيًا للإمبراطورية الرومانية**
- **فماذا فعل ؟**
- **وقعت معركة بحرية كبيرة (معركة أوكتيوم) انتصر فيها أوكتافيوس ودخل مصر منتصرًا وضمها رسميًا إلي الإمبراطورية الرومانية وكان ذلك في شهر أغسطس عام ٣٠ ق م١٠٣ ،**
- **فماذا حدث لأنطونيوس وكليوباترا ؟**
- **أما أنطونيوس فقد هرب إلي مصر عندما تأكد من هزيمة أسطوله أمام أوكتافيوس وعندما وصل أشاعت كليوباترا أنها انتحرت ولم يتحمل أنطونيوس خبر انتحار كليوباترا فانتحر علي الفور وجاء الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس إلي مصر وأرسل قوة للبحث عن كليوباترا لينتقم منها بعد كل ما فعلته في قادة الرومان يوليوس قيصر ثم ماركوس أنطونيوس ، وعندما شعرت كليوباترا أنها ستُهان وتُعاقب عقاب لا يليق بها قامت بالانتحار عن طريق لدغة ثعبان لتهرب من المصير السئ الذي ينتظرها وتم قتل ابن يوليوس قيصر الذي أنجبه من كليوباترا وبدخول أوكتافيوس تم إعلان وفاة عصر البطالمة للأبد بعد أن استمر أكثر من ثلاثة قرون تزوجت خلالها الحضارتين المصرية والإغريقية١٠٤**
- **يا له من عصر مثير بالفعل وبه أحداث كثيرة**
- **المهم أنهم قد ماتوا جميعًا وتركوا آثارهم لنعتبر ونتعلم**
- **وأصبحت مصر ولاية رومانية**
- **نعم ولمدة ٦٤٨ سنة تقريبًا**
- **كم من الأجيال قد وُلِدت وعاشت وماتت في ظل الاحتلال الروماني إنها مأساة بالفعل**
- **ولكن هذه المدة تتضمن دولتين في الحقيقة الرومانية والبيزنطية ، ولكنه احتلال علي أي حال**
- **وبدأ النهب الفعلي لمصر أليس كذلك**

---

١٠٣ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري)صـ ١١٤

١٠٤ نقلا بتصرف عن كتاب -معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري)

وأصبحت مصر ولاية رومانية

- **بالتأكيد (– – – كان حكم الرومان لمصر يتشابه مع حكم الفراعنة والبطالمة وهو استغلال هذا البلد واعتباره ضيعة خاصة ، سواء للفرعون أو للبطليموس أو للإمبراطور الروماني ، ولكن هناك فرق كبير بين حكم الفراعنة والبطالمة وبين حكم الرومان ففي الحالتين السابقتين كان ثراء مصر يبقي داخلها بالرغم من أنه يذهب إلي خزانة الفرعون أو البطليموس ، أما في العصر الروماني فإن خيراتها كانت تنقل إلي الخارج ، إلي روما ليتمتع بها الشعب الروماني ، وما يذهب لا يعود ، أي أنه مع الحكم الروماني بدأ نهب مصر الفعلي ، وكأن روما كانت الثري الذي يؤجر ضيعته وهو مقيم في أوروبا حيث ينفق ريعها هناك – – –)١٠٥ ، وقد بلغ عدد الأباطرة الرومان في روما الذين سيطروا علي مصر ٢٧ إمبراطور وتولي حكم مصر في عهدهم ٨٦ واليًا رومانيًا١٠٦ لمدة حوالي ٣٥٣ سنة كاملة ثم جاء بعده العصر البيزنطي نسبة إلي مدينة بيزنطة وبدأ هذا العصر سنة ٣٢٣ م وتولي حكم مصر في هذا العصر ٧٩ واليًا عاصروا ٢٢ إمبراطورًا١٠٧**
- **فهل كان الإمبراطور أغسطس من الشخصيات البارزة التي احتلت مصر ؟**
- **شعر الإمبراطور أغسطس بأهمية مصر كولاية غير عادية في الإمبراطورية الرومانية فاتخذ بها عدة إجراءات خاصة بها فقط ، ومن أهم الإجراءات أنه قام بتوزيع عدد ضخم جدًا من القوات الرومانية في مواقع حساسة ومهمة في أنحاء مصر وبلغت هذه القوة ثلاثة فرق رومانية كاملة وعددًا من الكتائب المساعدة وهذا يعادل حوالي ٢٢٨٠٠ مقاتل وهو عدد يفوق بكثير متطلبات الموقف١٠٨ وذلك يعكس حقيقة قلق أغسطس البالغ ، كما قسم مصر إلي ثلاثة مناطق إدارية وأصدر قرار غريب جدًا يمنع بمقتضاه أي شخص من عظماء روما أن يزور مصر إلا بإذنه شخصيًا سواء كان من مجلس السناتو أو من كبار القادة الطموحين١٠٩ لأنه كان يخشي أن يتولي حكم مصر والي ذو طموح يمكنه الاستقلال بها باستغلال إمكانياتها وهذا يدل علي حكمته البالغة وخبرته الواسعة في أمور القتال والسياسة أيضًا ، كما قام بإجراء العديد من الإصلاحات الزراعية ومشاريع الري وتطهير القنوات وشق الترع وإصلاح المرافق وأعطي تعليماته للوالي أن يستكمل كل هذه الأعمال بعد مغادرته إلي روما وكان اهتمام أغسطس بالزراعة وخاصةً زراعة القمح في مصر لأنها ستصبح المصدر الرئيس للقمح في**

---

١٠٥ من كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ١٤٣
١٠٦ موسوعة حكام مصر (ناصر الأنصاري) صـ ٤٥
١٠٧ موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٥٢
١٠٨ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ١٢٣
١٠٩ ويسري هذا القرار حتي علي آل البيت الإمبراطوري الحاكم

الإمبراطورية حيث أصبحت مصر تطعم روما بعد ذلك كما جعل لمصر عملة خاصة بها وأطلق علي هذه الإجراءات (سر الإمبراطورية)[١١٠] ،

- **من الواضح أنه فهم جيدًا طبيعة مصر وشعبها ، كما وضع يده علي مفتاح شخصيتها وأكبر دليل علي ذلك اهتمامه بتنظيم الري**
- **نعم ، (- - ولقد جعل أغسطس مصر إحدي الممتلكات الشخصية والخاصة بالإمبراطور والتي يرتبط حكمها بشخصه مباشرةً ، وقد رأي أغسطس عدم إدماج مصر إدماجًا كاملًا في الإمبراطورية ، بل أصر علي عزلها وعدم المساس بنظمها الإدارية والدينية التي كانت موجودة بها قبل دخول الرومان ، وعين علي البلاد واليًا من طبقة الفرسان يساعده ثلاثة من كبار الموظفين ، هم المشرف علي العدالة والمسئول عن الحسابات الخاصة وأمين الخزانة ، وكان أغسطس بالنسبة للمصريين فرعونًا وابن الإله آمون رع وله كل مظاهر القداسة والتأليه من المصريين ، فحمل الألقاب المقدسة التقليدية حسب العقيدة والفكر المصريين**
- **لا يمكن للكهنة الحياة بدون وجود فرعون مؤله بالتأكيد حتي إذا كان من الرومان**
- **أما بالنسبة للإغريق " شعب الإسكندرية في ذلك الوقت " فقد كان الوريث لسلطان البطليموس ، وقد صادر قسمًا كبيرًا من أراضي المعابد ونقل إدارتها إلي الدولة مقابل صرف رواتب ومنح للكهنة ، ومما أثار حنق السكندريين " الإغريق " علي الحكم الروماني المحاباة التي أظهرها أغسطس لليهود الموجودين بمدينة الإسكندرية - التي كانت بمثابة مدينة إغريقية كاملة علي أرض مصر - إذ وافق علي استمرار كل الإمتيازات التي كان اليهود يتمتعون بها إبان عصر البطالمة ، وقد فعل أغسطس ذلك لإيجاد توازن بين السكندريين واليهود ومكافأة اليهود علي ولائهم للرومان وكذلك لأن الرومان كانوا مطمئنين من ناحية اليهود لأنهم أقلية ، بالإضافة إلي أنهم سيكونون عملاء للرومان في المستقبل ، وكما ترك أغسطس حامية عسكرية بالإسكندرية ، وترك أخري بضاحية بابليون التي كانت امتدادًا لمنف عبر النيل شرقًا ، كما وضع أوكتافيوس أغسطس فرقة رومانية ثالثة عند مدينة طيبة " الأقصر " ، كذلك وزع عددًا من الكتائب المساعدة لترابط عند المناطق الاستراتيجية ، وكان الوالي الروماني جايوس كورنيليوس جاللوس هو أول والي روماني يعينه الإمبراطور أغسطس علي مصر ، وكان قبل ذلك يقوم بدور الاتصال والوساطة بين الملكة كليوباترا السابعة البطلمية والقائد أوكتافيوس أغسطس الروماني وهو أحد قواد أوكتافيوس ، وقد أسدي هذا القائد خدمة جليلة له عندما استولي علي منطقة مرسي مطروح ورد الهجوم البري والبحري الذي قام به ماركوس انطونيوس علي المدينة لاسترداد فرقه العسكرية التي تخلت عنه ، وقد حكم كورنيليوس مصر من سنة ٣٠ ق م إلي سنة ٢٧ ق م أي ما**

---

١١٠ من كتاب (معالم تاريخ وحضارة مصر - من أقدم العصور حتي الفتح العربي) – القسم الثاني – د سيد الناصري – صفحة ١٢٣
١٠٦

يقرب من ٣ سنوات ، وهو أحد رجال الفرسان وكان صديقًا شخصيًا لأغسطس ، وبالإضافة لصفته العسكرية كان أديبًا وشاعرًا معروفًا لدي الأوساط الأدبية ، وأهم ما يذكر في عهده قيام أول حركة تمرد ضد الحكم الروماني بالقرب من خليج السويس ، وقد تمكن جاللوس من القضاء علي هذا التمرد ، ولم يكد يمضي عام حتي هب بركان الثورة في طيبة سنة ٢٩ ق م بمجرد وصول جباة الضرائب الرومان ، وبلغ من شدة هذه الثورة أن قام الوالي الروماني بنفسه بقيادة القوات الرومانية لقمع هذه الثورة ، وأدرك الثوار أنهم أمام والي قاسي جاد لا يسمح بأي تساهل ، واشتبك الجيش الروماني مع الثوار المصريين في معركتين سحق فيهما خمس مدن ، وبعد الانتهاء من هذه المهمة قرر الوالي كورنيليوس جاللوس أن يسير جنوبًا لتأمين حدود الإمبراطورية في أفريقيا ، وقد سمح الوالي كورنيليوس بأن تقام التماثيل من أجله وأن تنقش أخبار انتصاراته علي واجهة المباني العامة ، الأمر الذي أزعج الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس فعزله ونفاه ، فاشتد الحزن بجاللوس حتي انتحر ذلك الوالي الذي كان أول من حمل لقب والي الإسكندرية ومصر)[١١١] ،

- **من الواضح أن أغسطس كان يعرف كل ما يدور في مصر وله عيونه بها ، فهل كانت هناك أحداث مهمة أخري في عصر هذا الإمبراطور ؟**
- **سنذكر حدث من أهم الأحداث التي وقعت في عهده ، ألا وهو زيارة العائلة المقدسة لمصر ، حيث وُلِد السيد المسيح عيسي بن مريم في عهد هذا الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس وكانت مصر ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية ، وقد لجأت السيدة العذراء إلي مصر بولدها وكان يحكم مصر أثناء هذه الرحلة والي روماني يسمي (جايوس تورانيوس) وكان قد تولي حكم مصر سنة ٥ قبل الميلاد ، وفي عهده ولد السيد المسيح في بيت لحم بفلسطين ، حيث كانت فلسطين أيضًا تابعة لنفوذ الإمبراطور الروماني أغسطس وكان يحكم فلسطين الملك اليهودي (هيرودس) الكبير بتكليف من الإمبراطور ، ولقد هربت السيد مريم العذراء بولدها علي ما يروي إنجيل متي إلي مصر ، وإن هناك شبه إجماع علي أن كنيسة أبي سرجة بمصر القديمة شيدت في نفس المكان الذي أقامت به العائلة المقدسة عندما هربت إلي مصر من وجه هيرودس ، وقد جاءت العائلة المقدسة إلي مصر عن طريق صحراء سيناء ودخلوها من جهة الفرما (قرب بورسعيد) ، ومنها إلي مدينة بسطة (تل بسطة بجوار الزقازيق) ، واتجهوا غربًا فعبروا فرع النيل الشرقي عند سمنود وظلوا سائرين غربًا إلي فرعه الغربي فعبروه ومروا بوادي النطرون ، ومن هناك ساروا إلي الوجه القبلي فنزلوا بمدينة الاشمونين ، ثم مضوا إلي القوصية إلي قرية ميرة وهبطوا حيث يوجد دير المحرق ، وبعد أن اقاموا به بضعة أشهر علي الأكثر انحدروا شمالًا حتي جاءوا بابليون (مصر القديمة) وكان بها حي لليهود ونزلوا في الموقع الذي**

---

[١١١] نقلًا عن كتاب (هؤلاء حكموا مصر – من مينا إلي مبارك) إعداد حمدي عثمان – المراجعة العلمية د ناصر الأنصاري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠١٢ – مقتطفات مختصرة من صفحة ١٣٨ إلي صفحة ١٤١ ١١١

به كنيسة القديس سرجيوس المعروفة بكنيسة سرجة ، وغادروها إلي عين شمس ، وكانت مدينة عامرة باليهود فأقاموا يستظلون بشجرة يقال إن موضعها حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة العذراء بالمطرية ، ومن هناك انطلقوا إلي فلسطين عن طريق محافظة الشرقية [١١٢]

- {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } (٥٠) سورة المؤمنون ، صدق الله العظيم ، ، هل يمكنك أن تحدثني عن الأباطرة الرومان بعد انتهاء عصر أغسطس ؟

<u>الإمبراطور كاليجولا ومؤامرة اليهود علي الوالي الروماني بالإسكندرية</u>

- بالطبع إن هناك العديد من الأباطرة الرومان يمكننا التحدث عنهم ولكن سنهتم في هذا الحوار بمن كان لهم مواقف انعكست علي مصر وشعبها ، أو كانت هناك أحداث مهمة في عصورهم كمؤامرة اليهود مثلًا علي الوالي الروماني في عصر الإمبراطور كاليجولا
- لقد سمعت هذا الاسم من قبل فهو من أشهر الأباطرة الرومان ، فماذا حدث في عهده ؟
- كان كل من الشعبين الإغريقي واليهودي علي خلاف دائم ونزاع حول الامتيازات المخصصة لكل منهم فكان الإغريق أصحاب ديانة وثنية أما اليهود فكانوا أصحاب ديانة سماوية ، وبعض المؤرخين عندما يكتبون عن شعب الإسكندرية يطلقون عليهم الإغريق المصريين أو المصريين الإغريق ويقصدون بذلك شعب الإسكندرية ، ومنذ أن تم احتلال مصر بواسطة الرومان كان يلقب الوالي الروماني بوالي مصر والإسكندرية علي أساس أن الإسكندرية تمثل دولة في حد ذاتها داخل الدولة المصرية ، أما عن قصة مؤامرة اليهود علي أحد الولاة الرومان بالإسكندرية وكان اسمه أولوس افيليوس فلاكوس ، فقد وردت في كتاب (هؤلاء حكموا مصر) (إعداد حمدي عثمان) في صفحة ١٤٦ وصفحة ١٤٧ وفيما يلي بعض ماورد عن هذا الموضوع بالكتاب : تولي أفيليوس فلاكوس حكم مصر في سنة ٣٤ م ، وقد اشتهر بالحزم في إدارة شئون مصر ، وقد عاصر حكم فلاكوس أواخر عهد الإمبراطور الروماني تيبريوس وأوائل عهد الإمبراطور كاليجولا ، وأهم ما يذكر في عصر فلاكوس الحرب الأهلية بين الإغريق المصريين وبين طائفة اليهود ، ولذلك أصدر منشورًا يحرم فيه حمل الأسلحة إلا بإذن منه ، ويحدد عقوبة مخالفة ذلك بالإعدام ، فأمر بتفتيش منازل اليهود بحثًا عن الأسلحة ، وقد اندلعت الشرارة الأولي في الحرب الأهلية بين المصريين الإغريق وبين الطائفة اليهودية سنة ٣٨م ،ومن الواضح أن الوالي الروماني وقع ضحية لحرب ذكية بين فريقين متعادلين لأنه لم يكن منحازًا لأهل الإسكندرية ، بل كان رومانيًا مخلصًا يهمه إرضاء سيده الجالس علي العرش قبل كل شئ ، فاستطاع اليهود عن طريق ممثلهم في روما إيغار صدر الإمبراطور كاليجولا علي الوالي فلاكوس ، فأرسل الإمبراطور قوة عسكرية تحت إمرة قائد يدعي (باسوس) وحرصت القوة علي أن تنزل بالميناء ليلًا ، ثم

[١١٢] نقلًا عن كتاب (هؤلاء حكموا مصر – من مينا إلي مبارك) إعداد حمدي عثمان – المراجعة العلمية د ناصر الأنصاري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠١٢ – صفحة ١٤٤

تسللت إلي داخل المدينة واتجهت أولًا إلي بيت قائد الجيش الروماني وأبلغته أمر القبض علي الوالي ، وبعدئذ بحثت عن الوالي فعرفت أنه مدعو في وليمة عند أحد أصدقائه ، فاقتحمت المكان وألقت القبض عليه ونقلته إلي روما في أكتوبر سنة ٣٨م ، حيث قدم للمحاكمة التي قررت إدانته ، وصودرت أملاكه وأمواله ونفي إلي جزيرة أندروس الصخرية الموجودة في بحر إيجة وبقي فيها حتي إعدامه

- **يا لها من مؤامرة أطاحت بشخص مخلص للإمبراطور وماذا حدث أيضًا في العصر الروماني ؟**

<u>الإمبراطور تراجانوس وإعادة القمح إلي المصريين</u>

- **سأحدثك عن الإمبراطور الروماني تراجانوس فبرغم أنه لم يزر مصر ، إلا أن اهتمامه بها كان بالغًا ، فقد تولي الإمبراطور تراجانوس عرش الإمبراطورية الرومانية من سنة ٩٨ م إلي سنة ١١٧ م ، وقد كان الإمبراطور تراجانوس حالة خاصة جدًا في تاريخ الرومان ، فكان ينظر في المظالم والشكاوي بنفسه ، وكثيرًا ما أبدل مركز روما التقليدي من مصر بأن أطعم الثانية علي حساب الأولي ، فقد أراد في إحدي السنوات أن يخفف من وطأة المجاعة التي كانت تجتاح مصر بسبب انخفاض النيل ، فأعاد إلي مصر أسطولًا محملًا بالقمح ،**
- **لقد خشي بالتأكيد أن يموت الفلاحين المصريين فلا يجد بعد ذلك من يزرع القمح**
- **وقد شجع تراجانوس التجارة المصرية مع الشرق وذلك بشق قناة تصل بين البحر الأحمر والبحر المتوسط عن طريق نهر النيل وهذا بالقرب من رأس الدلتا أطلق عليها قناة تراجان ، فعاد هذا العمل علي مصر بالخير فزادت تجارتها إلي حد كبير وأصبحت الهند هدف التاجر المصري المُجِد ، ورغم أن الرحلة كانت تستغرق ١٢ شهرًا فإن الأرباح الناتجة عنها كانت تبرر متاعبها ومشاغلها ، وقد قام تراجانوس إبان حكمه بعدة تغييرات عسكرية وأعمال عسكرية ، منها بناء قلعة بابليون علي ضفة النيل الشرقية ، كذلك أنشأ فرقة عسكرية رومانية جديدة وجعلها تعسكر في حصن بابليون ، (كما فعل من قبل الإمبراطور أغسطس وأنشأ ضاحية النصر بالإسكندرية لتتمركز فيها أحد الفرق الرومانية وهي المنطقة المعروفة حاليًا باسم فيكتوريا بالإسكندرية) ، وقد تولي حكم مصر في عهد الإمبراطور تراجانوس الوالي جايوس فيبيوس ماكسيموس الذي عزله الإمبراطور بسبب اتهامه من شعب الإسكندرية بعدة اتهامات منها الابتزاز والرشوة واستغلال النفوذ ، وكذلك تولي حكم مصر في عهد تراجانوس الوالي روتيليوس لوبوس ، وكذلك تولي حكم مصر في عهده الوالي ماركوس توريو[١١٣]**
- **ألم تحدث أي ثورات علي الحكم الروماني في مصر ؟**

[١١٣] نقلا عن كتاب (هؤلاء حكموا مصر) (إعداد حمدي عثمان)

الإمبراطور ماركوس أوريليوس واندلاع ثورة عارمة في مصر

- **عندما تم احتلال مصر سنة ٣٠ قبل الميلاد بواسطة الرومان في عهد الإمبراطور أغسطس ، اعتني بمصر واتخذ بها مجموعة من الإجراءات الخاصة كي تصبح المصدر الرئيس للقمح**
- **أي كان كمن يعتني بالبقرة قبل أن يحلبها ،**
- **بالتأكيد ، وبمرور الوقت وتعاقب الأباطرة الرومان في حكم الإمبراطورية قل الاهتمام بالعناية بمصر واستمر النهب فقط حتي أصبحت مصر تعاني من الإهمال الشديد ، وفي عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي تولي الحكم سنة ١٦١ ميلاديًا[١١٤] قام المصريون الوطنيون بثورة عارمة وكان قائد الثورة كاهن مصري يُدعي (ايسودوروس) ، ولم يتمكن الرومان من قمع الثورة بالقوة ويقول عنها د سيد الناصري : (-- وكان مبعث هذه الثورة هو تفشي السخط بين الفلاحين المصريين بسبب بهاظة الضرائب وتعددها وبسبب أعمال السخرة المهينة لدرجة أنهم لم يعودوا يتحملون عملية الاستنزاف الاقتصادي والنهب المالي لمواردهم والذي وصل إلي حد تسخير طاقاتهم البشرية ذاتها --)[١١٥] ، وقد أصبحت الإسكندرية العاصمة نفسها في ذلك الوقت مهددة بالسقوط في يد الثوار مما أدي إلي استخدام الرومان أساليب أخري للسيطرة علي الثورة لأن القوة لم تفلح معها ، وكان يوجد في ذلك الوقت قائد روماني يتسم بالمكر والدهاء اسمه (افيديوس كاسيوس) وقام بإحداث وقيعة بين صفوف الثوار أنفسهم فتحولوا من قتال الرومان إلي قتال بعضهم البعض وهكذا انتهت هذه الثورة بالحيلة وليس بالقوة ،**
- **دائمًا يستخدم الطغاة سلاح الانقسام بين الثوار للقضاء علي أي ثورة إذا فشلت القوة في قمعها**
- **وظل الرومان يستنزفون خيرات مصر بأسلوب مبالغ فيه جدًا مما أدي إلي دخول مصر في أزمات اقتصادية حادة فتم اعتماد روما علي قمح شمال أفريقيا في المقام الأول بدلًا من مصر لأن إنتاج القمح المصري لم يعد يسد حاجة روما[١١٦]**
- **أي يأخذونها لحم ويرمونها عظم كما يقال ، فهل من أحداث مهمة أخري ؟**

الملكة زنوبيا تسيطر علي مصر وتتحدي الإمبراطورية الرومانية

- **في عام ٢٧٠ م استطاعت القوات العربية التدمرية غزو مصر وهزيمة القوات الرومانية المستقرة بها حيث قامت قوات الملكة زنوبيا بهزيمة قوات الوالي تيناجينو بروبوس ، الذي آثر الانتحار علي العار ،**
- **يبدو أن الانتحار كان شائعًا بين قادة الرومان عندما يشعرون بالعار**

---

١١٤ موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٤٧
١١٥ معالم تاريخ وحضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري) صـ ٢١٠
١١٦ معالم تاريخ وحضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري) صـ ٢١٨

- **ونودي بالأمير وهب اللات (وابالاثوس) ابن الملكة زنوبيا (الزباء) والذي كان صبيًا في العاشرة من عمره إمبراطورًا حيث رسمت صورته علي عملة مدينة الإسكندرية – عاصمة مصر في ذلك الوقت – جنبًا إلي جنب مع صورة الإمبراطور الروماني كلاوديوس جوثيكوس مع بقاء الإدارة الرومانية ، أي كان الحكم امتزاجًا بين العربي والروماني ، ---وعندما تولي الإمبراطور الروماني أوريليانوس عرش الإمبراطورية الرومانية ، اعترف – مؤقتًا – بوهب اللات شريكًا له في حكم ولايات الشرق وظهرت عملة مدينة الإسكندرية تحمل صورة الإمبراطور أوريليانوس علي الوجه وصورة وهب اللات علي الوجه الآخر ، -- وبعد ذلك بفترة سُكَّت عملة في الإسكندرية سنة ٢٧١ م تحمل صورة وهب اللات علي الوجه وتلقبه باسم (الإمبراطور المؤله) وهو اللقب التقليدي لأباطرة الرومان ، بينما ظهرت صورة أمه علي الوجه الآخر ، ٠وفي ربيع سنة ٢٧١ م تأزمت العلاقات بين وهب اللات العربي والإمبراطور أوريليانوس الروماني ، فأعلن وهب اللات نفسه إمبراطورًا لا علي الشرق فحسب بل علي الإمبراطورية الرومانية كلها ، لأنه كان يطمع في تأييد قوات الشرق له ،**
- **إلي هذا الحد بلغت سلبية الإمبراطور الروماني بعد كل هذا التحدي ؟**
- **ردًا علي ذلك قام الإمبراطور الروماني بإرسال قواته للقضاء علي وهب اللات وأمه حيث استطاع القائد الروماني أن يستولي علي الإسكندرية ولكن باقي مصر ظل خارج سلطان الرومان - - - وبعد العديد من المعارك سقطت زنوبيا ووقعت أسيرة وسار بها الإمبراطور الروماني في شوارع روما مقيدة بسلاسل ذهبية وتوقف سك العملة التي تحمل صورة وهب اللات علي الوجه وصورة أمه زنوبيا علي الظهر ، وحلت محلها العملة التي تحمل صورة أوريليانوس وحده إمبراطورًا[١١٧]**
- **وأين تقع مملكة تدمر ؟**
- **تقع مملكة تدمر العربية في منطقة الشام الحالية**
- **هل معني هذا أن الرومان في تلك الفترة كانوا في عصر اضمحلال ؟**
- **بالفعل بدأ عصر اضمحلال لأباطرة روما من سنة ١٩٣ م إلي سنة ٢٨٤ م[١١٨] نتيجة لوصول شخصيات ضعيفة إلي عرش روما وطبعًا تأثرت مصر بهذه الفترة كثيرًا وسارت الأمور من سيئ إلي أسوأ وأبسط مثال علي سرعة تغير الأحوال في روما أن المصريين تعودوا كتابة اسم أي إمبراطور جديد في نقوشهم الفرعونية ولم يتمكنوا من كتابة أسماء بعض الأباطرة نتيجة سرعة زوالهم من علي العرش ، وقد حدثت عدة اضطرابات في الإمبراطورية الرومانية وفي مصر بالطبع وكل فترة قصيرة يأتي إمبراطور ويذهب إمبراطور وأحيانًا يكون إمبراطور قوي ومسيطر وأحيانًا يكون ضعيف ، والمصريون كانوا بلا شك يشعرون بكل حاكم منهم سواء كان قوي أو ضعيف لأن النوع الأول كان يقوم ببعض**

---

[١١٧] نقلًا عن كتاب (هؤلاء حكموا مصر) حمدي عثمان – صفحة ١٦٧ ، ١٦٨ – الهيئة المصرية العامة للكتاب

١١٨ معالم تاريخ وحضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري) صـ ٢١٩

الإصلاحات أما النوع الثاني فتنتشر في عهده الفوضى ،ولن أشغل بالك يا صديقي بكل هذه التقلبات والصراعات التي حدثت لأنني وعدتك بالالتزام بالاختصار ، والمهم في كل هذا أن مصر لم تعد ولاية مؤثرة علي أمن الإمبراطورية الرومانية ولم تعد تشكل أي خطورة أو ثروة ويبدوا أن الرومان تحولوا إلي نهب مناطق أخري وأهملوا مصر بعد أن نهبوها تمامًا كما أن الخطر الفارسي أصبح يهدد الرومان ويقلقهم ويشغلهم عن أمور أخري كثيرة وسبحان مغير الأحوال ، وقد وصل الشعب المصري في تلك الفترة إلي مرحلة قاسية جدًا من اليأس والقهر والظلم

- **مسكين هذا الشعب**

<u>الديانة المسيحية في مصر</u>

- **وأثناء هذه الفترة من الاضمحلال الروماني سعي المصريون للخلاص وأصبحوا يبحثون عن من ينقذهم من كل هذه الويلات والخراب ثم وجدوا ضالتهم أخيرًا في الديانة المسيحية التي بدأت تنتشر في مصر بشكل ملحوظ ويقول عن ذلك د سيد الناصر (– – وفي أثناء ازدياد التدهور والاضمحلال الإقتصادى برز خطر سياسي عقائدي علي الإمبراطورية الرومانية ، ألا وهو انتشار المسيحية في مصر بين أواسط الفقراء والمعوزين المصريين إيمانًا بفكرة الخلاص من الظلم والجور وتحطيمًا لتلك الفروق الإجتماعية ، لأن الجميع أبناء الله في نظر المسيحية وأن السعادة الكبري هي سعادة الروح والرب – كما أن مبادئ المسيحية التي تدعوا المظلوم لترك الظالم لعقاب الله ، وعدم منازعته – – ولاقت صدي في نفوس المصريين المضطهدين والذين لا يستطيعون مقاومة الرومان)١١٩ ودخل أيضًا في هذه الديانة بنسبة كبيرة المصريين المتأغرقين أو طبقة الإغريقومصريين الذين وجدوا في هذه الديانة البلسم الشافي علي حد تعبير د سيد الناصري ، وقد انتشرت المسيحية في مصر تدريجيًا ، وقد كانت رحلة العائلة المقدسة إلي مصر (السيدة مريم وابنها سيدنا عيسي) هربًا من مؤامرات اليهود وقسوة الرومان كانت هذه الرحلة قد تركت انطباعًا رقيقًا لدي المصريين وتسببت في تعاطفهم مع السيدة مريم (– – ولم يكن هناك شعب أرحم بها ولا أرض أحن عليها وعلي وليدها غير شعب مصر --)١٢٠ وجدير بالذكر أن القديس مرقس الرسول كان قد حضر إلي الإسكندرية سنة ٥٠ م١٢١ وأسس الكنيسة المرقسية بها وكانت الإسكندرية علي درجة عالية من العلم والثقافة ، وبدأ ظهور المسيحية في مصر في عهد الإمبراطور نيرون ثم بدأت في التنامي والإزدياد بعد ذلك وكان الرومان في ذلك الوقت لا يتدخلون في العقائد الدينية لشعوبهم ثم بدأ التدخل بعد ذلك فكانت أول مواجهة حقيقية بين الإمبراطور الروماني وبين الديانة المسيحية في عهد الإمبراطور (ديقيوس ٢٤٩-٢٥١ م) عندما**

---

١١٩ معالم تاريخ وحضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري) صـ ٢٣٥
١٢٠ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٢٤
١٢١ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٢٧

شعر بخطورة هذه الديانة علي مركزه لأن المسيحيين بالطبع كانوا يرفضون مركز الإمبراطور الديني كشخص مؤله ويقول عن ذلك د سيد الناصري (-- ومن هنا فرض ديقيوس علي المصريين تقديم إثبات بأنهم قدموا القرابين والأضاحي -- وذاقوا طعم هذه القرابين توكيدًا للوثنية وعبادة الإمبراطور بالقوة ومن يمتنع عن ذلك الإجراء في حضور اللجنة التي عينها الإمبراطور لهذا الغرض ، يحكم عليه بالموت --)[١٢٢]

- **أعتقد أن الديانة المسيحية انتشرت في مصر بهذا الشكل لأسباب كثيرة من بينها عدم الحاجة لبناء مقبرة بشكل معين وبالتالي فالحياة الآخرة لا تحتاج إلي الطقوس الفرعونية المعقدة ففي هذه الديانة الخلاص من الديانة الفرعونية ومن عبادة الفرعون ومن سيطرة الكهنة كما أنها ديانة سماوية بعيدة عن الأوثان ، والروحانيات فيها تصل إلي أعلي مستوي فلاقت لدي المصريين قبول ووجدوا فيها ضالتهم**
- **لقد كانت المسيحية في مصر في ذلك الوقت بعيدة عن الجدل الذي انتشر بعد ذلك حول طبيعة السيد المسيح فكانت ديانة صافية تدخل القلوب بحب ويسر ، وكانت المحبة شعارها وجوهرها**
- **حسنًا لنستكمل حديثنا عن باقي الأباطرة الرومان الذين تأثرت بهم مصر أو وقعت في أيامهم أحداث مهمة كما اتفقنا**

<u>الإمبراطور دقلديانوس وعندما كانت مصر أتعس ولاية في الإمبراطورية الرومانية</u>

- **عندما جلس الإمبراطور دقلديانوس علي عرش الإمبراطورية الرومانية قرر أن يقوم بإجراء تعديلات جوهرية لتطبق علي جميع الولايات الرومانية ، وشملت هذه التعديلات مجالات عديدة مالية[١٢٣] واجتماعية وعسكرية[١٢٤] ، وقد تأثرت مصر بهذه التعديلات وتغير وضعها تمامًا عن ذي قبل بل إن هذا الإمبراطور بالذات بلغ في عهده الاضطهاد الديني في مصر ذروته ، وكان من ضمن الإجراءات المالية توحيد العملة علي مستوي الإمبراطورية بالكامل بما فيها مصر ولم تعد لمصر العملة الخاصة بها وقام هذا الإمبراطور بنسف كل ما تبقي من إجراءات الإمبراطور أغسطس في مصر والمعروفة بسر الإمبراطورية ، حتي أن عهده يعرف باسم عصر الشهداء وكان طبعًا لليهود دور كبير في محاربة الديانة المسيحية فكانوا يقومون بالوشاية لدي السلطات الرومانية لتعذيب وقتل المسيحيين بل إنهم كانوا يحاولون بث الخلاف المذهبي والفكري بينهم وكان عدد ولاة مصر في عهد هذا الإمبراطور سبعة ولاة[١٢٥] حكموا مصر في عهده حوالي ٢١ سنة ، كانت خلالها مصر أتعس الولايات الرومانية فمثلًا**

---

[١٢٢] معالم تاريخ وحضارة مصر القسم الثاني(د سيد الناصري) صـ ٢٣٦

[١٢٣] من ضمن الإجراءات المالية توحيد العملة علي مستوي الإمبراطورية بالكامل بما فيها مصر ولم تعد لمصر العملة الخاصة بها وقام هذا الإمبراطور بنسف كل ما تبقي من إجراءات الإمبراطور أغسطس في مصر والمعروفة بسر الإمبراطورية

[١٢٤] من أهم الإجراءات العسكرية التي قام بها هذا الإمبراطور هو انسحاب القوات الرومانية من حدود الإمبراطورية إلي خطوط أقوي

[١٢٥] موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٥٠

بعد أن كانت لها عملة خاصة بها تميزها عن سائر الولايات الرومانية أصبح هناك عملة رومانية موحدة للإمبراطورية بالكامل بما فيها مصر ، وكل المزايا والقواعد التي وضعها الإمبراطور أغسطس لمصر هدمها دقلديانوس ، والطريف أن في بداية عهده قامت ثورة في الإسكندرية وكان قائدها ضابط روماني الجنسية ، وقد أعلن التمرد علي روما بل التفت حوله جماهير الإسكندرية فقد أعلن نفسه إمبراطورًا١٢٦ وكانت هذه الصدمة الكبرى الأولي لدقلديانوس مما أدي إلي حضوره بنفسه إلي مصر بقوات ضخمة وحاصر الإسكندرية لمدة ٨ شهور كاملة حتي جاع الناس فيها ، ودخلها بعنف ودمر وحرق العديد من منشآتها ومبانيها ثم قرر أن يتودد لأهلها ، ويقول عن ذلك د سيد الناصرى (– – وربما حاول دقلديانوس شراء صبر السكندريين وولاءهم ، حفاظًا علي هيكل الإمبراطورية الآيل للسقوط ، عندما أصدر قرارًا بأن تخصص نسبة حيازة القمح لرفع الجوع عن أهل المدينة فأقام الوالي الروماني أثرًا ضخمًا لشكر الإمبراطور ، ويعرف حاليًا بعمود السواري – –)١٢٧ ، لكن المشكلة الحقيقية أن دقلديانوس قرر استئصال الديانة المسيحية التي كانت منتشرة في عهده أكثر من العهود السابقة فقد كان يعتبر أن هذه الديانة تحديًا سافرًا لسلطانه المؤله علي شعوب الإمبراطورية لأن المسيحيين رفضوا في عناد عبادة الإمبراطور (– – – ومما دفع الإمبراطور إلي فقدان اتزانه ، أن يحدث هذا في مصر التي عرفت بعبادة فراعنتها ثم عبادة ملوك البطالمة كفراعنة وعبادة أباطرة الرومان كآلهة وفراعنة فلماذا يحدث هذا لشخصه دون أسلافه ، ولهذا اعتبر هذا الرفض تحديًا لشخصه ولم يفهم الدوافع النفسية أو العقائدية وراء هذا الإصرار – –)١٢٨ ،

- **أي أنه اعتبر عدم عبادته مسألة شخصية ، فما الفرق بينه وبين كل من سبقه من أباطرة رومان وبطالمة وفراعنة حتي لا يعبده المصريون كما تعودوا ذلك دائمًا إنه شئ مثير للأعصاب بالفعل بالنسبة له**
- **وتم قتل مئات الآلاف (– – وقد بلغ من هول الجريمة أن المسيحيين المصريين رغم مرور أكثر من خمسة عشر قرنًا من الزمان علي ذلك إلا أن ذكراها لم تخبو ولهذا بدأت الكنيسة المرقسية القبطية المصرية تقويمها فيما بعد بتاريخ اعتلاء ديوقلديانوس عرش الإمبراطورية "٢٨٤م" حيث أطلقوا علي هذا التاريخ عام الشهداء – –)١٢٩ ،**
- **التاريخ القبطي حاليًا تم حسابه منذ حكم هذا الإمبراطور ، إنها معلومة مفيدة جدًا ولكنها محزنة بالطبع لما قاساه المصريون من ألوان العذاب والتنكيل في عهده**

---

١٢٦ معالم وتاريخ حضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري)صـ٢٥٤
١٢٧ معالم وتاريخ حضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري)صـ ٢٥٥
١٢٨ معالم وتاريخ حضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري)صـ ٢٦١
١٢٩ معالم وتاريخ حضارة مصر (القسم الثاني) (د سيد الناصري)صـ ٢٦٢

- (- - وكان المسيحيين يتسابقون نحو الشهادة وهم فرحون ويرتلون أغاني الحمد والشكر لله الذي أهلهم أن يموتوا من أجله - -)١٣٠ ، وقد بلغ عدد القتلى أكثر من ٨٠٠٠٠٠ نسمة١٣١ وكانت أساليب القتل والتعذيب في عهد دقلديانوس متعددة ومختلفة مثل الحرق بالنار والزيت المغلي وتمزيق الأجساد بالآلات الحادة وإطلاق الحيوانات المفترسة عليهم في أماكن مغلقة وغير ذلك من أفظع الوسائل وأبشعها
- هذه المعلومات لكل من يعتقد أن مصر لم تمر بفترة أسوأ من الفترة التي عاصرها
- ليست هذه الفترة فقط هي الفترة السيئة الوحيدة في تاريخ مصر فقد عاني الشعب المصري العديد من الفترات السيئة علي مر التاريخ ولا يشترط أن يكون بسبب القتل أو التعذيب بل سنجد فترات مجاعات وأوبئة أفنت ما لم يستطع المؤرخون حصره من أعداد
- فماذا فعل أيضًا هذا الإمبراطور ؟
- لقد قام دقلديانوس من ضمن إجراءاته وتعديلاته بتقسيم الإمبراطورية الرومانية إلي قسمين رئيسيين قسم شرقي وقسم غربي وجعل علي كل قسم حاكم بلقب أغسطس ونائب بلقب قيصر وبعد أن مات تصارع خلفاءه علي العرش ووصل الأمر إلي نشوب القتال بين الفريقين واستمر هذا الصراع والتنافس بين الأباطرة والقياصرة إلي أن استطاع قسطنطينوس (والد قسطنطين) أن يهزم منافسه ويجلس علي العرش ، واتخذ بعد ذلك قسطنطين عاصمة جديدة له وكانت عبارة عن مدينة قديمة اسمها بيزنطة وأطلق عليها اسمه لتكون القسطنطينية (مدينة استنبول حاليًا بتركيا) والتي أصبحت بعد ذلك عاصمة الجزء الشرقي للإمبراطورية الرومانية١٣٢
- ومدينة بيزنطة هذه هي التي سُمِّي العصر الروماني بعد ذلك بالعصر البيزنطي نسبةً لها أليس كذلك؟

<u>العصر البيزنطي</u>

- بالتأكيد فيعتبر هذا الإمبراطور هو مؤسس العصر البيزنطي نسبة إلي اسم هذه المدينة وبدأ هذا العصر سنة ٣٢٣ م وتولي حكم مصر في هذا العصر ٧٩ واليًا عاصروا ٢٢ إمبراطورًا١٣٣ أشهرهم بالنسبة لنا حاليًا قسطنطين الأول وهرقل ، وقد حدث أن الإمبراطور قسطنطين اعترف بالديانة المسيحية فهو يعتبر أول إمبراطور مسيحي في الرومان بالكامل وقد أسعد ذلك بالطبع المصريين في البداية ولكن سرعان ما اختفت هذه السعادة لظهور خلاف بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة القسطنطينية فقد حدثت المشاكل وبدأ الاضطهاد بعد حدوث هذا الخلاف الحاد بين الكنيسة بالإسكندرية وكنيسة الإمبراطورية حول طبيعة السيد المسيح نفسه ويقول د سيد الناصري عن ذلك (- - - ولكن ثبت أن اضطهاد

---

١٣٠ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٤١
١٣١ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٥٢
١٣٢ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٦٣
١٣٣ موسوعة حكام مصر (د ناصر الأنصاري) صـ ٥٢

الأباطرة الوثنيين كان عاملًا مساعدًا، ليس في انتشار المسيحية فحسب بل في توحيد جبهتها وتناسي خلافاتها العقائدية إذ سرعان ما برزت هذه الصراعات العقائدية حول قانون الإيمان المسيحي والأسس الفلسفية للعقيدة الجديدة وكان الصراع الأكبر بين الأسقف الكسندر روس وشماسه أثناسيوس من ناحية وبين خصم لدود هو أسقف آخر اسمه آريوس حول علاقة الأب بالابن وهل الابن هو نفس الأب أم شبيه به ، لقد رفضت الكنيسة المرقسية في الإسكندرية بشدة رأي آريوس الذي رأي أن الابن لا يمكن أن يكون وجوده مع الأب بل يليه وبالتالي فهو ليس نفسه بل شبيه به ، بينما تمسكت الإسكندرية بأن الأب ظهر في جسم الابن الذي هو المسيح وكانت خطورة هذا الجدل اللاهوتي ما نتج عنه من ردود فعل سياسية ، هددت الإمبراطورية بالعودة إلي الحروب الأهلية – –)١٣٤

- **نفهم من هذا أن الضغط الرهيب الذي كان موجودًا علي المسيحيين في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية جعلهم متحدين أمام القهر الإمبراطوري ، أما بعد أن أصبحت الإمبراطورية تعترف بالديانة المسيحية فقد أعطاهم الفرصة للجدل حول طبيعة السيد المسيح فهل هي طبيعة إله أم طبيعة إنسان أم الاثنين معًا فهل فارقته طبيعته اللاهوتية أثناء وجوده علي الأرض فمثلًا عندما كان ينام من الذي كان يدير الكون وما إلي ذلك**
- **وهكذا استمر الجدل حول علاقة الابن بالأب وهل كلاهما واحدًا أم اثنين والمؤكد أن هذا الجدل أصبح مشهور جدًا في بيزنطة حتي أننا اليوم عندما نجد شخص ما كثير الجدال نقول له علي سبيل المثال (لا داعي للجدل البيزنطي) الذي لا يؤدي إلي أي نتيجة**
- **هل الاضطهاد الوثني تحول إلي اضطهاد من نوع آخر لاختلاف الكنيستين ؟**
- **لقد كان هذا الخلاف بين الكنيستين من أسباب عودة الاضطهاد الديني مرة أخري بعد أن فشلت جميع محاولات قسطنطين في احتواء هذه الأزمة ويأس من توحيد الإمبراطورية علي مذهب واحد بوضع أساس قانون الإيمان المسيحي وكان قد اعتقد أن بصفته إمبراطورًا يمكنه السيطرة علي الكنيسة ويقول د سيد الناصري عن ذلك (– – – وقد ردت الكنيسة التي كانت قد أصبحت قوية ومسيطرة بأن الإمبراطور مسيحي قبل أن يكون إمبراطورًا وأنه قبل توليه العرش يجب أن تباركه الكنيسة بالشعائر الخاصة ومن حق الكنيسة عدم الموافقة علي أداء مثل هذه الشعائر – –)١٣٥ بل إن الكنيسة ادعت لنفسها الحق في الاستقلال المالي والإداري ، وهكذا عادت الإسكندرية إلي التمرد علي الرومان ولكن بزعامة الكنيسة هذه المرة ، ويبدوا أن السكندريين (الإغريق) كانوا يتمنون أن تكون عاصمة الإمبراطورية هي الإسكندرية بدلًا من بيزنطة التي اختارها الإمبراطور وكان هذا سببًا آخر لزيادة السخط علي الإمبراطور وحدثت مشاكل بين الإسكندرية والإمبراطور رغم محاولته تفاديها ، وبالمناسبة**

---

١٣٤ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٦٣ -

[١٣٥] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٦٦

تم تقسيم الإمبراطورية بالفعل بعد موت قسطنطين إلي شرقية وغربية وأصبحت الإمبراطورية الشرقية هي الأقوى والأكثر ازدهارًا وحضارة بينما انهارت الإمبراطورية الغربية بعد ذلك نتيجة لتعرضها لغزوات وحروب خارجية ليس هذا مجالًا للحديث عنها

- **فمتي تم استخدام تعبير أقباط مصر أو قبط مصر ؟**

العصر القبطي

- **مصطلح العصر القبطي في مصر هو الذي أصبح سائدًا بعد أن فرضت اللغة القبطية نفسها والتي نشأت في البداية في ريف مصر لإحياء اللغة المصرية القديمة وكتابتها بحروف أبجدية إغريقية مع بعض التعديلات ، وأصبح لفظ القبط والأقباط والعصر القبطي وغير ذلك هو الذي متداولًا حتي أن هناك ما يعرف بالفن القبطي واللغة القبطية والآثار القبطية وغير ذلك ، وعندما كان يتحدث رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أهل مصر فقد كان يستخدم لفظ القبط والله أعلم ، وقد استمر الاضطهاد للمسيحيين في مصر والكنيسة المرقسية بالإسكندرية حتى أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تفرض علي الكنيسة المصرية أسقفًا عليها من طرفها وكان في حراسة قوة رومانية وطبعًا هذا الأسقف كان علي علاقة سيئة برجال الكنيسة المصريين (ويقوم هذا الأسقف باضطهاد رجال الكنيسة المصريين الذين كانوا يهربون إلي الكهوف والأديرة في الصحراء)١٣٦**
- **معني ذلك أنه عندما نقول الكنيسة القبطية فمعناها الكنيسة المصرية لأن القبطية هنا جنسية وليست ديانة لأن مصر هي بلاد القبط**
- **نعم ، حتي أن كلمة قبط ستلاحظ أنها كلمة (مصر) حاليا باللغة الإنجليزية وباقي اللغات (إيجيبت) (EGYPT)، ولمزيد من التوضيح فإنه بعد دخول عمرو بن العاص مصر وفتحها أسلم العديد من الأقباط وظل أقباط آخرين علي ديانتهم المسيحية ، والذين أسلموا تزاوجوا بعد ذلك بقبائل عربية وشعوب وعناصر من المسلمين غير مصريين ، وبالتالي فقد تكون أنت أو أنا قبطي مسلم أو قبطي مسيحي بمعني مصري مسلم أو مصري مسيحي ، والفرق أن القبطي المسلم قد دخل في أصوله جنسيات مسلمة أخري تزاوجت مع المصريين .**
- **وهل ظل العداء بين الكنيستين مستمر ولم تحدث أي محاولات لتحسين العلاقة بينهما ؟**
- **جدير بالذكر أن العلاقة بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة القسطنطينية تحسنت إلي حد ما في عهد الإمبراطور ثيودسيوس الأصغر (٣٨٠-٤٥٠ م) وتوقفت الاضطهادات١٣٧ وكان الأسقف كيرلس هو أسقف الإسكندرية في ذلك الوقت وقد قاد المعارضة ضد شخص اسمه نسطوريوس وكان بطريرك القسطنطينية وكان يدعوا إلي الفصل بين الصفات الربانية والصفات البشرية للسيد المسيح بينما كان**

---

١٣٦ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٨١
١٣٧ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٨١

يصر البطريرك كيرلس علي إدماج الصفتين الربانية والبشرية في جسد المسيح ، وأصبح الأسقف كيرلس ذو مكانة خاصة عند الإمبراطور

- **عظيم جدًا فهي فترة هدنة لتخفيف التوتر**
- **ثم عادت المشاكل مرة أخري في عهد الإمبراطور مرقيانوس عام ٤٥٤ م (فقد اندلع عام ٤٥١ م خلاف بين كنيسة روما والإسكندرية أدي إلي انقسام الكنيستين حتي يومنا هذا حيث أصبح أتباع كنيسة الإسكندرية ومن سار علي نهجهم يعرفون باسم الأرثوذوكس أي أتباع النظرية السليمة وقد انضم إليها السوريان ، وقد أطلق علي هذه الجبهة اسم اليعاقبة بينما أصبح أتباع كنيسة روما يطلقون علي أنفسهم اسم الكاثوليك أي أصحاب المذهب الجامع لكل الآراء علي مستوي العالم بأسره أما أتباع كنيسة القسطنطينية فقد عرفوا باسم الملكيين أي أتباع مذهب الملك " الإمبراطور ")١٣٨ وفي عهد مرقيانوس عاد العنف ضد أقباط مصر والكنيسة المرقسية بالإسكندرية مرة أخري بسبب مذهب الطبيعتين ومذهب الطبيعة الواحدة للمسيح (وقامت ثورات دموية ضد القسطنطينية ، وتعرض الأقباط -- لمذابح بشعة فاقت حتي تلك التي قام بها الأباطرة الوثنيون ضدهم ، بل إن عدد الذين استشهدوا من الأقباط -- علي أيدي أتباع مذهب الطبيعتين يفوق بكثير عدد الذين استشهدوا علي أيدي الأباطرة الوثنيين)١٣٩**
- **هذا نستنتج منه أن بابا الإسكندرية هو بابا الأرثوذوكس في العالم كله وليس في مصر فقط والشعب المصري المسكين شعر بسعادة كبيرة جدًا بعد أن أصبح الإمبراطور الروماني يدين بنفس ديانة الشعب المصري المسيحي وأعتقد الشعب أن الاضطهاد والقتل سوف ينقشع ولكن للأسف كان اختلاف المذاهب أبشع من الوثنية نفسها التي كان عليها الأباطرة الوثنيون**
- **كان الشعب يعاني من الاضطهاد والظلم والفقر والضرائب الباهظة فإن مشكلة المذاهب لم تكن المشكلة الوحيدة رغم أنها الرئيسية وكان الرومان قد قرروا أن يكون والي مصر هو نفسه الأسقف في نفس الوقت مما أدي إلي أن المصريين كانوا ينتخبون البطريرك الخاص بهم سرًا (وأول بطريرك تم انتخابه سرًا هو بطرس الرابع وذلك عام ٥٧٦ م)١٤٠ وفي عام ٦٢٢ تم انتخاب الأنبا بنيامين الذي عاصر ظهور الإسلام والفتح العربي لمصر ، وظلت هذه الأوضاع إلي أن بدأت تعود الإمبراطورية الفارسية للأضواء مرة أخري وأصبح لها جيوش جرارة تنافس بل تتفوق علي الرومان وتجتاح ممتلكاتهم وتضم ولاياتهم إليها ومن بينها مصر**
- **مسكين والله هذا الشعب المصري فهل يواجه الرومان أم الإغريق أم الفرس أم اليهود ؟**

---

[١٣٨] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٨٢

[١٣٩] معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٨٣

١٤٠ معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ ٢٨٥

- **صحيح فهو علي الرغم من اعتناقه الديانة المسيحية التي شعارها وجوهرها المحبة والتسامح {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ*وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (٨٢-٨٣) سورة المائدة ، هكذا وصف المولي عز وجل النصارى في القرآن الكريم ، فهم أقرب الناس مودة للمؤمنين علي عكس اليهود تمامًا وقد قرأت في كتاب المسيحية والإسلام في مصر للدكتور حسين كفافي صفحة ٣٤ ما يلي (أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلي مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم فمن لا يعرف المحبة لا يعرف الله – إنجيل متي الإصحاح ٥) ، وبالرغم من أنهم كانوا يهربون إلي الصحراء في الأديرة المختلفة التي أصبحت مراكز للإشعاع الديني ومقرًا للعبادة والرهبنة إلا أن المصائب والمشاكل لم تتركهم في حالهم رغم تسامحهم مع الناس جميعًا طبقًا لتعليمات دينهم ، وبالمناسبة يعتبر أقدم دير في العالم علي الإطلاق هو دير الأنبا أنطونيوس علي ساحل البحر الأحمر (ولذلك فإن الأنبا أنطونيوس الذي أنشأ الدير المسمي باسمه يسمي أبا الرهبان أو كوكب البرية الشرقية أي الصحراء الشرقية)[١٤١] وعلي الرغم من كل هذا إلا أن الاضطهاد الديني الروماني للمصريين أصبح روتينيًا ومألوفًا فالحاكم الروماني نفسه أصبح هو البطريرك المخالف للمذهب بينما كان هناك البطريرك المصري المنتخب سرًا ، وفي أثناء كل هذه الأحداث من اضطهاد وظلم وفقر وتدهور استطاع الفرس إلحاق هزيمة ساحقة بالرومان "" الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦) "" سورة الروم**
- **فمن كان الإمبراطور الروماني عند ظهور الإسلام ؟**

<u>الإمبراطور البيزنطي هرقل</u>

- **كان الإمبراطور هرقل وهو يُعد من أعظم أباطرة الروم وأكثرهم شهرة في المصادر العربية ، لأن اسمه اقترن بالفتوحات الإسلامية وتحرير بلاد الشام ومصر من الحكم الروماني ، فبعد تمكُن الدعوة الإسلامية حرص النبي عليه الصلاة والسلام على بعث الرسائل إلى كسرى وهرقل وغيرهم ليعرض عليهم الإسلام، وقد بعث برسالة إلى هرقل يطلب فيها منه أن يُسلِم حتى يسلم، ويأتيه الله أجره مرتين، وعندما وصل كتاب رسول الله إلى هرقل قرأه وهو مقيم في بيت المقدس، وقد كان عنده أبو سفيان بن حرب حيث طلبه هرقل ليسأله عن النبي الذي بُعِث فيهم. وتشير الروايات التاريخية إلى أن هرقل كاد**

[١٤١] المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٤٨

أن يسلم ويؤمن بدعوة الإسلام لولا خوفه من قساوسته، ومن حوله الذين كانوا يكرهون العرب كرهًا شديدًا، وقد توفي هرقل في سنة ٦٤١ ميلادي بعد أن شهد هزيمة الروم في اليرموك ورحيلهم عنها سنة ٦٣٦ ميلادي. ومن أبرز الأحداث التي وقعت في عهده زيارة عمرو بن العاص رضي الله عن لمصر قبل الإسلامي

- **فهل لديك معلومات عن هذه الزيارة ؟**
- **قد وردت بعض تفاصيل عن هذه الزيارة في بعض المراجع كالآتي : زار عمرو بن العاص مصر قبل الإسلام تقريبًا في (صيف عام ٦٠٢ م)١٤٢ ففي أثناء رحلة من رحلاته التجارية إلي الشام وأثناء وجوده في جنوب فلسطين (- - - فإذا به يقابل شماسًا مصريًا وقد أصابه عطش شديد في يوم صيف قائظ شديد الحرارة ، فسقاه عمرو من قربه له فشرب حتي ارتوي ونام الشماس مكانه من فرط الإعياء والتعب وكان الشماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس ويبدو أنه كان يتعبد في جبال المنطقة التي تقابل فيها مع عمرو بن العاص وأثناء نوم هذا الشماس في ظل شجرة هائلة عجفاء خرجت حية من حفرة لها بجوار الشماس فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها)١٤٣ وعندما أحس الشماس بأن عمرو أنقذ حياته مرتين أصر علي أن يعطيه مكافأة مقابل لذلك فسأله كم تكون دية القتيل عندكم في بلاد العرب وما نظير ذلك من الدنانير فأخبره عمرو أنها ألف دينار فقرر الشماس أن يدفع لعمرو ديتين أي ألفي دينار نظير إنقاذ حياته مرتين وعرض عليه أن يصحبه إلي مصر كي يتمكن من تنفيذ وعده (فقال عمرو : كم يكون مكثي في تلك الرحلة ؟ قال له الشماس : شهرًا ، تنطلق معي ذاهبًا عشرة أيام وتقيم عندنا عشرة أيام وترجع في عشرة أيام ولك علي أن أصحبك وأحفظك ذاهبًا وأن أبعث معك من يرافقك ويحفظك راجعًا - -)١٤٤ وبعد أن شاور عمرو أصحابه انطلق مع الشماس إلي مصر وكانت أول زيارة له لمصر ، وأثناء الرحلة استطاع عمرو أن يعرف الكثير عن مصر وشاهد في مصر (- - مرورًا بالقري والريف والمدن ومخالطة للأهالي الفقراء والأغنياء والريف والتجار والفلاحين والكهان والرهبان والقساوسة ، هذا بالإضافة إلي جحافل الاستعمار البيزنطي من ضباط وجنود وموظفين ، وخلال هذا الحشد الهائل من البشر سواء كانوا مصريين مستعبدين أو بيزنطيين مستعمرين ، عرف الكثير والكثير عن بعض الأمور ، وعرف خلالها المداخل والطرق والمسالك والوديان والجسور والأماكن التي يمكن الإقامة فيها ، واستطاع أن يحس بالشعب المصري وما يعانيه من جنود الروم وما يقاسيه من ظلم وقهر - -)١٤٥**

---

١٤٢ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٩٣
١٤٣ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٩٤
١٤٤ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ٩٥
١٤٥ المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي) صـ ١٠١

- **وبالطبع كان الشماس المصري يتحدث مع عمرو في الطريق عن أحوال مصر والمصريين وعن سر الاضطهاد الديني للمصريين من أباطرة بيزنطة**
- **نعم كما تحدث معه عن حضارة الإسكندرية العريقة وانبهر عمرو بالإسكندرية ومبانيها المختلفة وتجول في أنحاءها ودخل أسواقها وشواطئها وأحياءها ومكث بها عشرة أيام كاملة فكانت هذه الزيارة تمهيد وإعداد لفاتح مصر بعد ذلك ولقد كان العالم في ذلك الوقت قد وصل إلي مرحلة وصفها العقاد وصفًا رائعًا في كتابه الممتع عبقرية محمد صلي الله عليه وسلم ، حيث كتب ما ملخصه : (كان عالمًا متداعيًا قد شارف النهاية – – خلاصة ما يقال فيه أنه عالم فقد العقيدة كما فقد النظام – – أي أنه فقد أسباب الطمأنينة في الباطن والظاهر – – طمأنينة الباطن التي تنشأ من الركون إلي قوة في الغيب تبسط العدل وتحمي الضعيف وتجزي الظالم وتختار الأصلح والأكمل من جميع الأمور ، وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من الركون إلي دولة تقضي بالشريعة وتفصل بين البغاة والأبرياء وتحرس الطريق وتخيف العائثين بالفساد)[١٤٦] هكذا وصف العقاد بأسلوبه الرائع الأحوال في العالم ثم يشرح بعد ذلك موقف كل دولة علي حدة فيقول (بيزنطة قد خرجت من الدين إلي الجدل العقيم الذي أصبح بعد ذلك علمًا عليها وتضاءلت سطوتها في البر والبحر حتي طمع فيها من كان يحتمي بجوارها ، وفارس قد سخر فيها المجوس من دين المجوس – وكمنت حول عرشها كوامن الغيلة وبواعث الفتن ونوازع الشهوات ، والحبشة ضائعة بين الأوثان المستعارة من الحضارة تارة ومن الهمجية تارة – عالم يتطلع إلي حال غير حاله – عالم يتهيأ للتبديل أو للهدم ثم البناء – –)[١٤٧] ، ووسط هذا كله بعث المولي عز وجل نبيه محمد صلي الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل عليه السلام الذي تركه أبوه سيدنا إبراهيم عليه السلام بجوار بيت الله الحرام {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١٢٩)}[١٤٨]**
- **بالتأكيد كان لظهور الإسلام تأثير علي شعوب المنطقة بما فيها مصر**
- **بظهور الإسلام في الجزيرة العربية تم تحرير شعوب المنطقة بالكامل من بطش الفرس واضطهاد الروم لتصبح القومية الإسلامية فقط أعلي من أي قومية أخري وليس العربية أو الفارسية أو الرومانية أو أي جنسية أخري ليعيش البشر طبقًا لمنهج الله سبحانه وتعالي فليس لأحد أن يضع منهج بشري**

---

[١٤٦] عبقرية محمد (صلي الله عليه وسلم) (عباس محمود العقاد) صـ٩

١٤٧ عبقرية محمد (صلي الله عليه وسلم) (عباس العقاد) صـ ٩

[١٤٨] البقرة ١٢٦-١٢٩

ويفرضه علي الناس وتم هزيمة الروم والفرس علي يد المسلمين ، ولقد كان النصر حليفهم لأنه دائمًا من عند الله سبحانه

- **فهل كان العرب علي استعداد للقيام بهذا الدور قبل الإسلام ؟**
- **لقد كان العرب مؤهلين لهذه المعارك قبل الإسلام ولكن كان ينقصهم أحد أهم أسباب النصر كما يقول العقاد رحمه الله (فالذي لا ريب فيه أن الصحراء قد تعاقبت فيها الأجيال علي حروب العصابات التي تشترك فيها القبائل أبدًا بين عادية ومعدو عليها وأن البدوي قد عاش زمنًا كما جاء في التوراة " يده علي كل إنسان ويد كل إنسان عليه " فحصل من ذلك حكمة مطبوعة يصح أن تسمي " حاسة الحرب " أو أهبة الميدان الخالد التي لا تفارقه في ليل أو نهار فلا يزال حياته في حيطة المدافع واستعداد المهاجم ويقظة القلب للنضال الذي يتعرض له بين مضطر مغتصب أو طائع مختار وهذه الملكة لا تحصل لأبناء المدن الذين يندبون للقتال بين آونة وأخري ويتدربون عليه كأنه عمل يؤدي في مكان العمل ثم يطرح عن العاتق في سائر الأوقات)١٤٩ ويؤكد العقاد في كتابه الرائع عبقرية خالد أن العرب كانوا علي دراية بكافة أنواع الخطط الحربية وفنون القتال ويؤكد أيضًا أن (-- النهضة العربية لم يكتب لها النصر لأن الفرس والروم كانوا يستحقون الهزيمة وكفي بل هي قد انتصرت لأنها كانت تستحق النصر بأسبابه التي لا مصادفة فيها ولا محاباة ولا محل لها لفلتة نادرة لا تقبل التكرار وإنما كانت أسباب النصر عند العرب ناقصة فتمت في أوانها فغلبوا بوسائل الغلبة جميعها –)١٥٠**
- **أتمني أن تحدثني بشكل أكثر تفصيلًا عن العرب قبل الإسلام وكيف أصبحوا بالإسلام خير أمة**
- **الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (١١٠) سورة آل عمران وسوف نتكلم عن نشأتها وظهورها واتساع حدودها من داخل الجزيرة العربية إلي خارجها ومن المهم جدًا أن تعرف أن الإسلام هو السبب الرئيسي بل الوحيد الذي أعز الله به هذه الأمة ، فقد كان العرب قبل الإسلام لا تربطهم رابطة واحدة (كانوا متفرقين بغير باعث إلي الوحدة والنهوض فجاءتهم الدعوة الإسلامية تجمع شتاتهم وتبعث كرامتهم وتنطلق بهم في سبيلهم فتم لهم ما نقص وتهيأت لهم ذرائع النصر في شرعة الأرض والسماء)١٥١ ولو كان الإسلام نزل علي أمة قوية ناهضة بالفعل علمًا وحضارة وقوة وثروة لأرجع البعض السبب في عزتها إلي المقومات الموجودة بالفعل فيها ولكن الرسالة نزلت في قوم متفرقين ونبي أمي صلي الله عليه وسلم مما يؤكد أن الرسالة هي التي صنع الله بها هذه الدولة القوية ، وظلت عزة هذه الأمة مقرونة بالتمسك بتعاليم الإسلام دائمًا فكل من تولي أمر المسلمين بعد ذلك وأدرك هذه الحقيقة ستجده يحقق بفضل الله تعالي النصر والمجد**

---

١٤٩ عبقرية خالد (عباس العقاد) صـ ٦
١٥٠ عبقرية خالد (عباس العقاد) صـ ١١
١٥١ عبقرية خالد (عباس محمود العقاد) صـ ١١

للأمة ، أما من يبتعد عن هذه الحقيقة في هذه الأمة فستراه يذل لغير الله ويخضع هو وقومه لدول وأمم أخري ، وعندما أمسكت دولة الإسلام بعجلة القيادة العالمية إذا جاز التعبير اختلفت عن الدول الأخرى التي ذكرناها في هذا الحوار اختلاف شاسع في تطبيق المنهج والثقافة والحضارة ، فالأمم التي أخضعت العالم لحكمها مثل الفراعنة والإغريق والفرس والروم كانوا ينشرون منهجهم البشري علي البشر أما هذه الأمة فقد قامت بنشر منهج الله سبحانه وتعالي

الكتب والمراجع

- كتاب مصر الفرعونية "لأحمد فخري"
- كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الأول– د سيد توفيق
- كتاب معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري)
- كتاب شخصية مصر – د جمال حمدان
- كتاب القاهرة – د جمال حمدان
- موسوعة مصر القديمة – سليم حسن
- كتاب (مصر علمت العالم) للدكتور وسيم السيسي – الدار المصرية اللبنانية – الطبعة الأولي ٢٠١٣
- كتاب عندما دخلت مصر في دين الله للدكتور محمد عمارة
- كتاب هؤلاء حكموا مصر – من مينا إلي مبارك – إعداد حمدي عثمان – المراجعة العلمية د ناصر الأنصاري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠١٢
- كتاب (تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة)– من فجر التاريخ إلي الفتح العربي– تأليف عبد الرحمن الرافعي – دار المعارف
- موسوعة تاريخ مصر للأستاذ أحمد حسين
- موسوعة حكام مصر – د ناصر الأنصاري
- قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير تحقيق عصام الدين الصبابطي دار الفجر للتراث(الطبعة الأولي) ١٩٨٠
- كتاب (مختارات٣– من شخصية مصر) د جمال حمدان – مكتبة مدبولي
- كتاب دراسات في العصر الهللينستي ، إعداد د فادية محمد أبو بكر أستاذ مساعد التاريخ القديم كلية آداب جامعة الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية
- كتاب المسيحية والإسلام في مصر (د حسين كفافي)
- كتاب عبقرية محمد (صلي الله عليه وسلم) (عباس محمود العقاد)
- كتاب عبقرية الصديق (عباس محمود العقاد)
- كتاب عبقرية خالد (عباس محمود العقاد)
- كتاب السيرة النبوية –د علي الصلابي
- كتاب تاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي راجعه وعلق عليه جمال محمود مصطفي دار الفجر للتراث(الطبعة الأولي)١٩٩٩